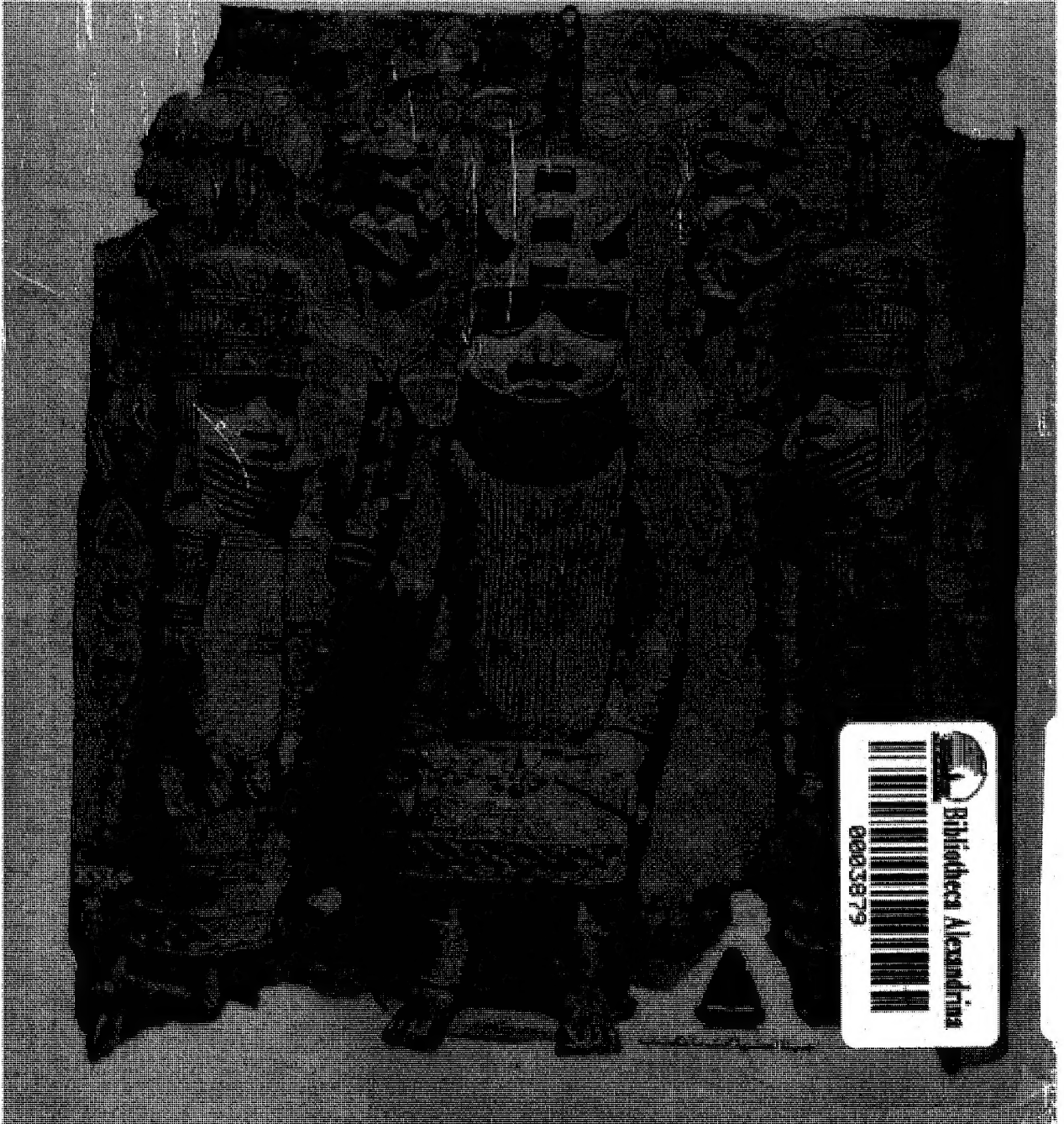


أطلس التاريخ الإفريقي

تأليف: كولين ماكشيدى ترجمة: مختار السويفى





أطلس التاريخ الإفريقي

الغلاف والاعراج الفني
سعد عبد الوهاب

أطلس التاريخ الإفريقي

تأليف: كولين ماكيفيدي

ترجمة: مختار السويفي

مراجعة: محمد الغزب موسى



المهنية المصرية العتامة للكتاب

١٩٨٧

هذه ترجمة لكتاب :

**THE PENGUIN
ATLAS OF
AFRICAN HISTORY.
BY: COLIN MCEVEDY.**

* الصور الداخلية منقولة من كتاب :

**THE ART OF BENIN
BY : PAULA BEN - AMOS**

● مقدمة المترجم :

عرفت نهر النيل لأول مرة في الأربعينات . وكنت آنئذ تلميذاً بالسنة الثانية بمدرسة خليل أغا الابتدائية الأميرية . وكنت أفضل حصص الجغرافيا عن بقية حصص العلوم الأخرى . وأذكر جيداً كيف جاهد أستاذ الجغرافيا لإفهامنا أن النيل « نهر » وليس بحراً كما نقول . . فقد كان الشائع أيامئذ تسميته ببحر النيل . . بل وكان يسمى في أغلب الأحيان « البحر » فقط دون إقرانه بكلمة النيل .

وعندما كان يفيض هذا النهر العظيم كل عام . . كان الأطفال من الصبيان والبنات ، في كل القرى والمدن المصرية ، وفي جميع الأزقة والحارات والشوارع ، يغنون أغنية شعبية ذات لحن عذب وكلمات بسيطة ، وإن كان بعضها غير مفهوم : « البحر زاد . . عوفى الله . . فاض ع البلاد . . عوفى الله » . . !

أما الآباء والأمهات فقد كانوا يسكون أنفاسهم وقت الفيضان ، فهو الوقت الذي يزمت فيه الجو ويمتلئ بالرطوبة ، ويتشرب فيه بين الأطفال مرض جلدى عارض اسمه « حمى النيل » . . !

وفي يوم ما ، قال لنا أستاذ الجغرافيا : إن نهر النيل ينبع من قلب أفريقيا . . وكانت هذه أول مرة أسمع فيها كلمة أفريقيا ، التي كانوا يصفونها دائماً ، سواء في الكتب أو في الدروس الملقاة على تلاميذ المدارس بأنها : القارة السوداء . . القارة المظلمة . . القارة المجهولة . . أرض الغابات حيث تصبح الدنيا كلها أشجاراً في أشجار . . وحيث

الأسود والنمور والوحوش الضارية تتجول في كل مكان ، والشعابين والحيات الضخمة التي يصل طولها إلى تسعة أمتار . . وملايين القروذ تتسلق كل شيء . . أما الناس الأفريقيون ، فكلهم سود مثل سواد الفحم ، وأغلبهم يأكلون لحوم البشر ، وبعضهم أقزام لا يزيد طول الفرد منهم عن متر واحد . . !

هذا بالضبط ما كان يريد الاستعمار الخبيث أن يثبت في عقول الناس في جميع قارات العالم الأخرى ، بل وبما في ذلك قارة أفريقيا نفسها ، خصوصاً بالنسبة لسكان المناطق العربية شمال الصحراء الكبرى .

وهكذا تخفى الفكر الاستعماري وراء أفلام طرزان ، يدعم بها أكاذيبه التي كان يطلقها عن أفريقيا والأفريقيين . . حيث تظهر القبائل الأفريقية في صورة الهمج المتوحشين ، وحيث يظهر الفرد الأفريقي في شكل قبيح بشع خفيف ، يدل على أنه بدائي جاهل مخرف وغير متحضر ، عدواني الطبع ، يتلذذ بتعذيب الرجل الأبيض قبل أن يقتله بأبشع أنواع القتل والإعدام ، تمهيداً لالتهامه وأكله بالهناء والشفاء . . !

ومامن قارة من قارات العالم حاقت بها وبتاريخها الأكاذيب مثل أفريقيا . وللأسف الشديد فإن معلومات الناس في مختلف أنحاء العالم عن قارة أفريقيا ، كانت عن طريق تلك الأكاذيب التي حاكتها الدول الاستعمارية الأوربية ، التي تكالبت كالوحوش الضارية على جسم القارة وأجسام أهلها . . تتنازع فيما بينها لتنهش أكبر نصيب مستطاع من تلك القارة ، التي تمزقت أوصالها بالفعل بين أنياب الدول البيضاء التي كانت تدعى دائماً أنها جاءت إلى القارة لتحضر هؤلاء الهمج البدائيين ، وتخرجهم من الظلمات إلى النور . . وهذا في حد ذاته كذب وافتراء . فقد كان دخول المستعمر الأبيض إلى أرض القارة ، يعتبر أكبر كارثة ومصيبة حقيقية لحقت بالقارة وأهلها .

استعبد الاستعمار الأرض ومن عليها من شعوب وقبائل وجماعات . وانقلبت حياة الأفريقيين جميعاً رأساً على عقب ، فتألبوا بعضهم على بعض ، وجعلوا الحياة الآمنة الوادعة التي كانت تعيشها الشعوب الأفريقية أمراً بعيد المنال ، بل وحولوها إلى جحيم يقوم على الدماء وقنص العبيد ، تماماً مثل قنص واصطياد الحيوان . وهكذا أصبحت بعض الشعوب الأفريقية تمارس تجارة العبيد بما فيها من عمليات القنص والاصطياد ، وتقوم بنفسها بتوريد هؤلاء العبيد — وهم إخوانهم من الأفريقيين — إلى النخاسين لتسويقهم في مناطق العالم الجديد .

وإلى جانب استنزاف البشر على مثل هذا النحو المشين ، استنزفت الدول الاستعمارية الأوربية كل ثروات القارة بمختلف أنواعها وعلى أي شكل تكون . . وهكذا سرقت من أفريقيا مئات الملايين من أطنان الحديد والنحاس والصفائح والمنجنيز

والفوسفات والذهب والماس واليورانيوم والأخشاب والجلود والعاج والبن والكاكاو والشاي ، وغير ذلك من الممتلكات الأفريقية التي لا يمكن تقديرها إلا بملايين الملايين من الدولارات .

ورغم هذا الشراء الفاحش الذي كانت تتحصل عليه الدول الاستعمارية الأوروبية ، فقد حرص الاستعمار بصفة عامة على استمرار الجهل والفقر سائدين في أساليب الحياة اليومية لمعظم الأفريقيين ، لضمان بقاء عيونهم مغمضة عن عمليات السلب والنهب المنظمة التي تقوم بها الدول الاستعمارية ضد ممتلكات الأفريقيين .

وكل هذه الحقائق المؤكدة عن دور الاستعمار الأوربي لأفريقيا ، تكشف تباعاً منذ بداية منتصف هذا القرن ، حين بدأت الصحة الوطنية تمس شغاف قلوب الشعوب المغلوبة على أمرها في كل من قارتي آسيا وأفريقيا ، وحيث بدأ الكفاح الوطني في كل من الهند ومصر - في أعقاب الحرب العالمية - يؤكد بما لا يدع مجالاً للشك أن أيام الاستعمار أصبحت معدودة ، وأن الأوان قد آن لوضع حد لسيطرة المستعمرين على رقاب الشعوب ، ولأن تطوى تلك الصفحة البشعة من تاريخ الإنسانية ، ليبدأ عصر جديد تتولى فيه الشعوب أمر نفسها ، وأن يؤول الحق إلى مستحقه وأصحابه .

وبعد حصول مصر على استقلالها عن الاستعمار البريطاني الذي جثم على صدرها واستنزف خيراتها لأكثر من سبعين عاماً ، حاول الاستعمار التقليدي القديم - وهو يلفظ آخر أنفاسه - أن يستعيد ذكريات الماضي الأسود حين كان يستعمل الأساطيل الحربية كمقدمة للأساطيل التجارية التي ستستخدم لشحن ما يتم نهبه وسلبه من خيرات البلاد . ولذلك فقد تعرضت مصر لهجمة شرسة ، سميت بالعدوان الثلاثي ، بسبب اشتراك إسرائيل مع كل من القوى الاستعمارية في فرنسا وإنجلترا .

ومن الغريب أن جميع الدول والشعوب في معظم أنحاء العالم ، قد وقفت إلى جانب مصر التي واجهت هذا العدوان بشجاعة لا حد لها ، واستماتت في مكافحته حتى انتصرت عليه ، وخرجت جيوش الاستعمار القديم تجر أذيال الخيبة والفشل الذريع . . وتأكد لكل المستعمرين التقليديين أن عصرهم الذهبي قد ولى إلى غير رجعة .

ومازال جيلنا يذكر الدور الرئيسي والهام الذي قامت به مصر منذ منتصف الخمسينات وكل فترة الستينات ، حيث بدأت مصر بتوجيه الإذاعات باللغة السواحلي المنتشرة بين شعوب شرق أفريقيا ، وبأشهر اللغات واللهجات المحلية السائدة بين شعوب مناطق غرب أفريقيا .

وقادت مصر آنثذ حملة إعلامية وسياسية واسعة النطاق ، لتبصير الأفريقيين في

مختلف مناطق القارة بالدور الإجرامى الذى قام به الاستعمار فى امتصاص دم القارة ، وتشجيع الأفريقيين فى كل مكان لإعلان الكفاح ضد الاستعمار والمستعمرين ، وأن معارك الشعوب الصادقة ضد المستعمرين ستؤدى بالضرورة إلى إزاحتهم وطردهم وتخليص البلاد منهم ومن أطماعهم ، وإنهاء التبعية والنفوذ الاستعماري من كل أفريقيا ، وعودة القارة إلى أهلها حرة مستقلة .

ويقول بعض المؤرخين الأوروبيين المحدثين ، أن مصر قد استنفدت الكثير من مواردها الاقتصادية التى كانت تحتاجها للتنمية الداخلية بسبب تأييدها للأفريقيين ومساعدتهم بكل طريقة لإنهاء الاستعمار التقليدى فى معظم مناطق القارة .

وفى تلك الآونة بدأنا نعرف الكثير من الأوضاع السياسية عن أفريقيا والأفريقيين ، وعن تلك الدول الأفريقية التى أخذت تحصل على استقلالها وتحرر من الاستعمار واحدة بعد أخرى ، وعن تلك الشعوب الأفريقية التى مازالت تكافح الاستعمار فى مواطنها وتحاول القضاء عليه ، وعن هؤلاء السود الذين أصبحوا يستमितون ويستشهدون فى سبيل مقاومة سيطرة البيض على موارد بلادهم .

وبجانب هذا الفيض الهائل من النشاط الإعلامى للتعريف بأفريقيا الحديثة ، كان هناك نشاط قليل - ولكنه ملحوظ على نحو ما - فى التعريف بتاريخ القارة وتاريخ شعوبها وقبائلها ، خصوصاً بالنسبة للمناطق الواقعة جنوب الصحراء الكبرى . غير أن هذا لم يكن من المدهش أو الغريب . فأفريقيا - لسوء حظها - كانت أقل قارات العالم من ناحية اهتمام المؤرخين القدماء والمحدثين على حد سواء . بل ولم يصبح التاريخ الأفريقى محل دراسة علمية على أسس صحيحة إلا فى بداية الخمسينات ، حين ظهرت الأقسام الجديدة فى مختلف الكليات والمعاهد والجامعات الأوربية والأمريكية [ثم المصرية فيما بعد] لدراسة تاريخ القارة طبقاً للمناهج العلمية السليمة ، ولإبراز تاريخ الشعوب والقبائل الأفريقية وفقاً لمعلومات ودلائل جادة بعيدة عن منهج التهريج الذى انتهجه الاستعمار فيما مضى .

ولسنا نعى بهذا أن هذه الدراسات التاريخية الحديثة عن أفريقيا والأفريقيين ، تعتبر جديدة تماماً أو غير مسبوقة ، أو أنها تنشأ الآن إنشاءً . ذلك لأننا لا نستطيع أن نغفل ما ذكره المؤرخون القدماء عن تاريخ أو جغرافية القارة . وعلى سبيل المثال نشير إلى ما ذكره « هيرودوت » من أخبار تلك الرحلة التى أمر بإعدادها أحد فراعنة مصر - الملك نخاو - فى سنة ٥٩٥ ق.م لتقوم بالدوران حول أفريقيا . . وإلى ما ذكره « بوليبيوس » من أخبار الرحلة البحرية التى قام بها القرطاجيون سنة ٤٧ ق.م لزيارة سواحل غرب أفريقيا حتى وصلوا إلى ما بعد السنغال . . وإلى ما ذكره « بليني » عن أعمال الرومان داخل حدود امبراطوريتهم فى مناطق شمال أفريقيا . . وإلى تلك التحفة

التاريخية النادرة التي تركها العالم المصرى القديم « بطليموس الجغرافى » الذى رسم - فى القرن الثانى الميلادى - أول خريطة عرفها العالم عن تصور شكل أفريقيا ومناخها .

ونذكر كذلك ما دونه الأفريقيون - فى شمال القارة وجنوبها - فى خلال العصور الوسطى من تاريخ القارة وتاريخ أهلها . وإن كانت ثمة اختلافات بين منهج التدوين فى كل من الشمال والجنوب . فبالنسبة للشمال كان المؤرخون والرحالة العرب الأفريقيون أمثال ابن بطوطة وابن خلدون ، يملكون وسائل التدوين بالقلم والقرطاس . أما فى أواسط القارة وجنوبها ، فقد دون الأفريقيون تاريخ آبائهم وأجدادهم فى ذاكرة الشعوب على شكل حكايات مروية تتناقلها الأجيال جيلاً بعد جيل . ولعل أوضح الأمثلة على ذلك المنهج ، التاريخ التفصيلى المرتب زمنياً [كرونيكال Chronicle] لمنطقة بوجندا ، والذى يغطى مساحة زمنية تستغرق نحو أربعمئة سنة من تاريخ تلك البلاد . وقد تميزت البحوث التاريخية التى قام بها العلماء العرب والأوروبيون الذين تناولوا عرض تاريخ القارة وأهلها ، بأنها تعتمد تماماً على وصف المشاهدة والمعينة ، مع تدوين ما يستمعون إليه من الرواة الأفريقيين المحليين المتخصصين فى حفظ تاريخ ويطولات الآباء والأجداد وما تعرضت إليه بلادهم من ملومات وأحداث .

كما نذكر أيضاً ما دونه المؤرخون ذوو الطابع الخاص من الأوربيين والأفريقيين الذين ظهروا فى أواخر القرن التاسع عشر والعقود الأولى من القرن العشرين . ونقول أن هؤلاء المؤرخين كانوا ذوى طابع خاص لأن أغليبتهم كانت من الرواد والمستكشفين والمبشرين الأوربيين الذين أخذوا يذرعون أنحاء القارة طولاً وعرضاً ، ومن بعض المؤرخين المغرضين الذين أرخوا الأعمال التى قام بها عتاة المستعمرين وقواد الحروب الاستعمارية ممن كانوا يسموهم « بناء الامبراطوريات » . فقد ظهرت على سبيل المثال بحوث عن سياسة سيسل رودس الذى كان يدعى أن أفريقيا بريطانية من القاهرة إلى الكيب ، وبحوث عن سياسة ليوبولد ملك بلجيكا الذى كان يدعى أنه يملك أفريقيا الاستوائية من الأطلنطى إلى الهندى .

وفى مثل هذا المجال أيضاً ظهرت بحوث تاريخية دونها بعض المقيمين الأوربيين من موظفى الإدارات والمصالح التابعة للدول الأوربية المستعمرة ، حيث قام بعضهم بكتابة تاريخ المناطق التى أوفدوا للإقامة فيها . ونذكر منهم ، كلاريدج البريطانى الذى كتب فى سنة ١٩١٥ مختصراً لتاريخ منطقة ساحل الذهب . . . ودلجادو البرتغالى الذى كتب عن تاريخ أنجولا . . . وجرى الذى كتب بحثاً عن نييجيريا تحت الحكم البريطانى ، وروبرت الذى كتب عن تاريخ الاستعمار الفرنسى فى أفريقيا ، ومارق الذى كتب عن تاريخ مناطق غرب أفريقيا ، وديلافوس الذى كتب عن تاريخ السنغال والنيجر ، وسير چون جراى الذى كتب فى سنة ١٩٣٤ بحثاً مستفيضاً عن تاريخ كل من أوغندا

وتنجانيقا وزنجبار وأفريقيا الشرقية البرتغالية وزامبيا . وقد اعتمد سير چون جرای في مدوناته على ما سمعه من شيوخ القبائل الأفريقية ومن المتخصصين الأفريقيين في رواية التاريخ الذي توارثوه جيلا بعد جيل .

ومن المدهش حقا أن نشير إلى بعض المؤرخين الأفريقيين المحليين الذين تعلموا على أيدي البعثات التبشيرية وأصبحوا قسسا يبشرون بالمسيحية بين القبائل الأفريقية بجنوب الصحراء . وقاموا بعملية التأريخ إلى جانب عملية التبشير . ونذكر منهم : أبولو كاجوا الذي ألف في نهاية القرن التاسع عشر خمسة كتب نشرت لها البعثات التبشيرية ، وهي كتب تاريخية تنحون نحو اجتماعيا ، وتتناول تسجيلات تفصيلية عن العادات والتقاليد وأنواع الفنون الشعبية السائدة بين بعض شعوب وسط القارة ، وعلى الأخص بين شعب أوغندا . وأهم كتاب من هذه الكتب الخمسة كتاب يسمى « ماكولا » [أى الكنز] وقد استغرق تأليفه نحو عشرين سنة ، ويبلغ عدد صفحاته نحو ألفين وأربعمائة صفحة . . .

ومن هؤلاء القساوسة الأفريقيين الذين كتبوا في التاريخ الأفريقي ، نذكر أيضا كارل رياندورف الذى كتب في سنة ١٨٩٥ تاريخ ساحل الذهب ، وصمويل جونسون الذى كتب في سنة ١٩٢٠ تاريخ قبائل اليوروبا التى تعيش في مناطق نيجيريا ، وقد نشرته أيضا إحدى البعثات التبشيرية . كما نشرت بعثة تبشيرية أخرى ما كتبه القس الأفريقي سوجا عن تاريخ قبائل البانتو في جنوب شرق أفريقيا ، وعن تاريخ المعتقدات والعادات والتقاليد السائدة بين قبائل الاكسهوسا .



ولا ينكر أحد فضل جميع المؤرخين القدماء والمحدثين في الإبانة عن تاريخ أفريقيا والأفريقيين . ولكن الظاهرة الجديرة بالتسجيل هنا ، هي تلك الدراسات التاريخية العلمية الحديثة التى أخذت في الانتشار سريعا بين الأوساط العلمية والثقافية في قارتي أوروبا وأمريكا . فقد صدرت حديثا عشرات ، بل مئات ، من الكتب التى تتناول الشؤون الأفريقية من سياسية واقتصادية وتاريخية وعقائدية وأدبية . . وكلها تحفل بمعلومات مبهرة لم تكن معروفة من قبل أو بالأحرى لم تكن منتشرة مثل هذا الانتشار الواسع الذى أصبحت عليه الآن .

وقد لاحظت أثناء زياراتي لعديد من الدول في أوروبا وأمريكا ، أن الأغلبية العظمى من تلك الكتب متاحة — هى نفسها — بعدد من اللغات الأوربية كالانجليزية والفرنسية والألمانية والإيطالية والأسبانية وغير ذلك من اللغات الأوربية الأخرى . ومعنى هذا أن الكتاب يصدر بلغة مؤلفه الأصلية أولاً ، ثم يترجم على الفور إلى مختلف اللغات الأوربية الأخرى ، ليصبح في متناول أوسع نطاق ممكن من القراء والمتطلعين إلى

الثقافة والمعرفة . ومعناه أيضا أن هناك رغبة عارمة واسعة الانتشار بين معظم شعوب العالم لمعرفة التاريخ الحقيقي غير المزيف لأفريقيا وأهلها ، بدليل هذا السيل المنهمر من الكتب الذى أخذ يتصدر رفوف المكتبات فى مختلف دول العالم .

ولعل هذا هو السبب الحقيقى وراء حرصى على متابعة ما أستطيع الوصول إليه من الكتب التى صدرت حديثاً عن تاريخ أفريقيا ، وحرصى فى الوقت نفسه وكلما أتاحت لى الظروف أن أقدم بعض هذه الكتب النفيسة إلى القارئ العربى بعد ترجمتها إلى اللغة العربية التى يتكلمها جزء عظيم من سكان القارة . وقد سبق لى أن ترجمت كتاب : **VOODOO: AFRICA'S SECRET POWER** من تأليف العالم النمساوى « جيرت شيزى » . وكتاب : **BLACK AFRICAN EMPIRES** من تأليف العالم الانجليزية « جوان جوزيف » . كما أقوم حالياً بترجمة كتاب : **THE ART OF BENIN** من تأليف بولابن آموس . بالإضافة إلى هذا الكتاب الذى أتشرف بتقديمه إلى القارئ العربى : **THE PENGUIN ATLAS OF AFRICAN HISTORY** من تأليف العالم المتخصص فى الأطالس التاريخية « كولن ماكشيدى » الذى أصدر حتى الآن ثلاثة أطالس أخرى غير أطلس التاريخ الأفريقى ، وهى : [أطلس التاريخ القديم ، وأطلس تاريخ العصور الوسطى ، وأطلس التاريخ الحديث] . كما ألف بالاشتراك مع آخرين : أطلس تاريخ السكان فى العالم ، وأطلس تاريخ العالم .

وهذا ما جعلنى على يقين من أن المعلومات التى يتناولها « أطلس التاريخ الأفريقى » كانت محل بحث وتحصيل معتنى به من جانب عالم متمرس فى كتابة التاريخ بذلك المنهج الحديث ، معتمداً على الخرائط البيانية التى توضح أماكن وأزمان كل الأحداث التاريخية لقارة أفريقيا ، منذ أن كانت كتلة مندوجة فى « بانجايا » وهى القارة العظمى التى طفت كالقشرة على سطح الكرة الأرضية منذ ١٧٥ مليون سنة ، والناتجة كانت تضم جميع قارات العالم فى كتلة متماسكة واحدة تفتت تباعاً . ثم تتبع هذا التاريخ حتى ظهور الإنسان وتطوره على مدى الزمن ، حتى سنة ٢٠٠٠ ونهاية القرن العشرين بعد الميلاد .

ولعل القارئ سيلاحظ معى مدى الدقة المتناهية والتركيز الشديد الواضحين تماماً فى صياغة المؤلف للمعلومات الواردة بهذا الكتاب ، وهو أمر جعل ترجمته من الصعوبة بمكان ، كما جعلنى أضطر إلى ذكر بعض الهوامش البسيطة لتوضيح بعض الأمكنة والشخصيات والأحداث . كما دفعنى أيضاً إلى بذل مزيد من الجهد فى التدقيق عند اختيار الكلمات والمرادفات العربية لأسماء الأماكن وأسماء القبائل والدول والممالك التى ورد ذكرها فى هذا البحث التاريخى المركز . كما بذلت جهداً لا يستهان به فى ترجمة البيانات التى تضمنتها الخرائط التوضيحية التى يقوم عليها هذا الأطلس . وقد عاوننى فى هذا كله بجهد لا يمكن نكرانه الصديق الأستاذ محمد العزب موسى الذى قام أيضاً

بمراجعة الكتاب بعد ترجمته ومطابقته على النص الأصلي .

هذا وقد حرصت على إعداد فهرس تصنيفي علمي في آخر الكتاب ، يتضمن حصراً دقيقاً وشاملاً لجميع أسماء الأماكن والقبائل والأشخاص والأحداث التي ورد ذكرها في صفحات هذا الأطلس ، مرتبة ترتيباً أبجدياً ، حتى يسهل للقارئ الوصول إلى المعلومات التي يطلبها بطريقة مباشرة .

والكتاب أساساً يقوم على منهج الكرونيكال حيث يورد المعلومات التاريخية حسب تسلسلها الزمني ، وهي طريقة تسهل للقارئ معرفة التاريخ في شكل حكاية تتابع أحداثها كما يتتبع ظهور شخصياتها ، على مدى تلك الملايين الطويلة من السنين ، من تاريخ أفريقيا والأفريقيين . ولعلها طريقة حديثة مجدية ، تحبب القارئ في العلم والثقافة ، ولا تخلو أيضاً من المتعة والطرافة .

مختار السويقي

مقدمة المؤلف :

يتضمن هذا الكتاب تسعاً وخمسين خريطة مشروحة لأفريقيا ، تغطي فترة زمنية تمتد من ١٧٥ مليون سنة ، حتى نهاية القرن العشرين بعد الميلاد .

وقد وضعت أسس الشرح والتعليق على هذه الخرائط طبقاً لما ساد الكرة الأرضية بأكملها من ظروف طبيعية ومناخية أثناء تحرك القارات وانفصالها عن بعضها واستقرارها أخيراً في أمكنتها المعروفة في عالم اليوم .

وبطبيعة الحال فإن التركيز يقع على خريطة قارة أفريقيا نفسها باعتبارها محل البحث في هذا الكتاب ، ومع ذلك فقد وضع تصميم الخريطة الأساسية بحيث تتضمن الجزء الجنوبي من قارة أوروبا ، والجزء الجنوبي الغربي من قارة آسيا .

ويضيف الجغرافيون عادة بعض الجزر باعتبارها توابع لأفريقيا ، القارة الأم ، مثل جزر : « موريشيوس » Mauritius و « ريونيون » Reunion و « سيشل » seychel- les . غير أننا استبعدنا تلك الجزر من نطاق بحثنا في هذا الكتاب ، ولم نشر إلى تاريخ تلك الجزر ضمن المعلومات التي أوردناها عن القارة الأم .

وتتضمن قارة أفريقيا أكبر عدد من الدول بالمقارنة ببقية قارات العالم الأخرى . ففي عام ١٩٧٨ مثلاً ، تضمنت قارة أفريقيا خمساً وأربعين دولة ، بالإضافة إلى أربع دول أخرى في الجزر التابعة لها وهي : مجموعة رأس فيرد [جزر الرأس الأخضر] ،

ومجموعة ساو تومي ، ومدغشقر ، ومجموعة كوموروس [جزر القمر] . بالإضافة إلى ناميبيا التي استقلت في أوائل عام ١٩٧٩ . ومعنى ذلك أن أفريقيا حتى ذلك العام كانت تتضمن خمسين دولة .

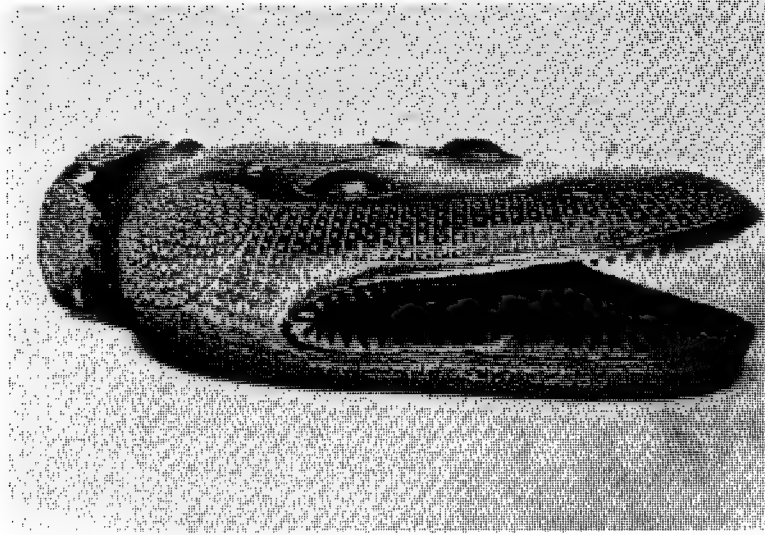
ولاشك في أن هذا العدد من الدول يعتبر كبيراً إذا قورن بعدد الدول في قارة أوروبا مثلاً ، حيث لا يتعدى الثلاثين دولة .

وبالإضافة إلى ذلك ، فإن قارة أفريقيا تفتح أمام علماء الجغرافيا السياسية ، مجالات واسعة من البحوث المثيرة ، أكثر من أية قارة أخرى ، وهو أمر سيظهر جلياً في جميع النصوص التاريخية الواردة في هذا الكتاب .

ولم نقصد أن تكون الخرائط الواردة بهذا الكتاب مرجعاً علمياً ، وإنما جعلنا الخرائط تقوم أساساً على المعالم الجغرافية العامة لقارة أفريقيا ، وصممت الخرائط لتوضيح ما يقابلها من النصوص والشروح المصاحبة لكل خريطة .

وعلى هذا فالقارئ الذي يريد معرفة موضوع ما من الموضوعات التي يتضمنها هذا الكتاب ، يمكنه أن يصل إلى مبتغاه بأحد طريقتين : الطريق الأول مباشر ، حيث أن الكتاب مسلسل تاريخياً . أما الطريق الثاني فغير مباشر ، أي باللجوء إلى الفهرس التصنيفي الملحق بآخر الكتاب .

ولا ندعى أننا سنوفى القارئ بحصيلة وافرة من المعلومات ، وإنما سنوضح له بقدر الإمكان المعالم العامة لقصة الإنسان في أفريقيا . وهذه القصة المثيرة هي الغرض الأساسي لهذا الكتاب .



نحفة من النحاس يرجع تاريخها إلى القرن السابع عشر تمثل رأس ثعبان الأصلية .
من معروضات متحف جامعة بنسلفانيا بالولايات المتحدة الأمريكية .



منذ ١٧٥ مليون سنة

منذ ١٧٥ مليون سنة

من : [أمريكا الجنوبية وأفريقيا وجنوب آسيا
وانتاركتيكا - القارة القطبية الجنوبية -
واستراليا] .

وكانت حلقة الوصل هذه ، والمتمثلة في
التواء الشمالى الغربى لأفريقيا ، معبرا لمجموعة
الشديدات الأولى ومجموعة الحيوانات الجرابية
- ذوات الجراب كالقنغر - لكى تنتشر فى معظم
أنحاء اليابسة .

ثم أصبحت عملية الانتقال والانتشار أكثر
صعوبة حين بدأت «بانجايا» تتكسر وتنفصل
أجزاءها وتبتعد عن بعضها ، وهى العملية التى
بدأت من نحو ١٦٠ مليون سنة .

منذ مائة وخمس وسبعين مليون سنة ، كانت
القارات جميعها مندمجة مع بعضها فى كتلة
واحدة ، تكوّن قارة عظمى واحدة ، إسمها
«بانجايا» Pangaea تقع أفريقيا فى منتصفها .

وكانت كتلة التواء الشمالى الغربى للقارة
الأفريقية حلقة وصل بين الكتلتين الرئيسيتين
اللّتين تتكون منهما القارة العظمى «بانجايا» :

الكتلة الأولى وكانت تسمى «لاوراسيا»
Laurasia ، وتتكون من : [أمريكا الشمالية
وأوروبا وشمال آسيا] .

والكتلة الثانية وكانت تسمى
«جوندوانالاند» Gondwanaland ، وتتكون



منذ ٥٠ مليون سنة

وحدث الانكسار التالى فى كتلة جوندوانالاند بانفصال جزيرة مدغشقر التى أصبح يفصلها عن الكتلة الأم مضيق موزمبيق . وفى مدغشقر كان أقصى تطور لحق بمجموعة «ما قبل القرديات» هو ظهور حيوان «الليمور» Lemurs أو «الهبار» . وهو حيوان من فصيلة القردة ذات الذنب الطويل .

ولهذا السبب يوجد الليمور بمدغشقر مثلما توجد الحيوانات الجرابية باستراليا . ولم تظهر فى أى من هاتين الجزيرتين فصائل القردة على الإطلاق .

ثم انكسرت بعد ذلك كتلة قارة أمريكا الجنوبية وانفصلت عن الكتلة الأم ، وأخذت معها نوعاً من القردة العريضة الأنف ، خرجت منه «قردة القشة» Marmoset - وهى نوع من القردة الأمريكية صغيرة الحجم - والقردة العنكبوتية Spider Monkeys ، وهى نوع آخر من القردة الأمريكية ذات قوائم طويلة هزيلة ، ولها ذيل طويل قادر على الإمساك بأغصان الشجر والالتفاف حولها .

أما فى البقية المتبقية من الكتلة الأم ، فقد حدثت عدة تطورات للقردة الأول ، وظهرت قردة «المكاك» Macaques ، وقردة «البابون» أو «الرباح» Baboons ، وهى قردة ضخمة الجسم قصيرة الذيل . وذلك كخطوة أولى نحو تطورات أخرى لاحقة .

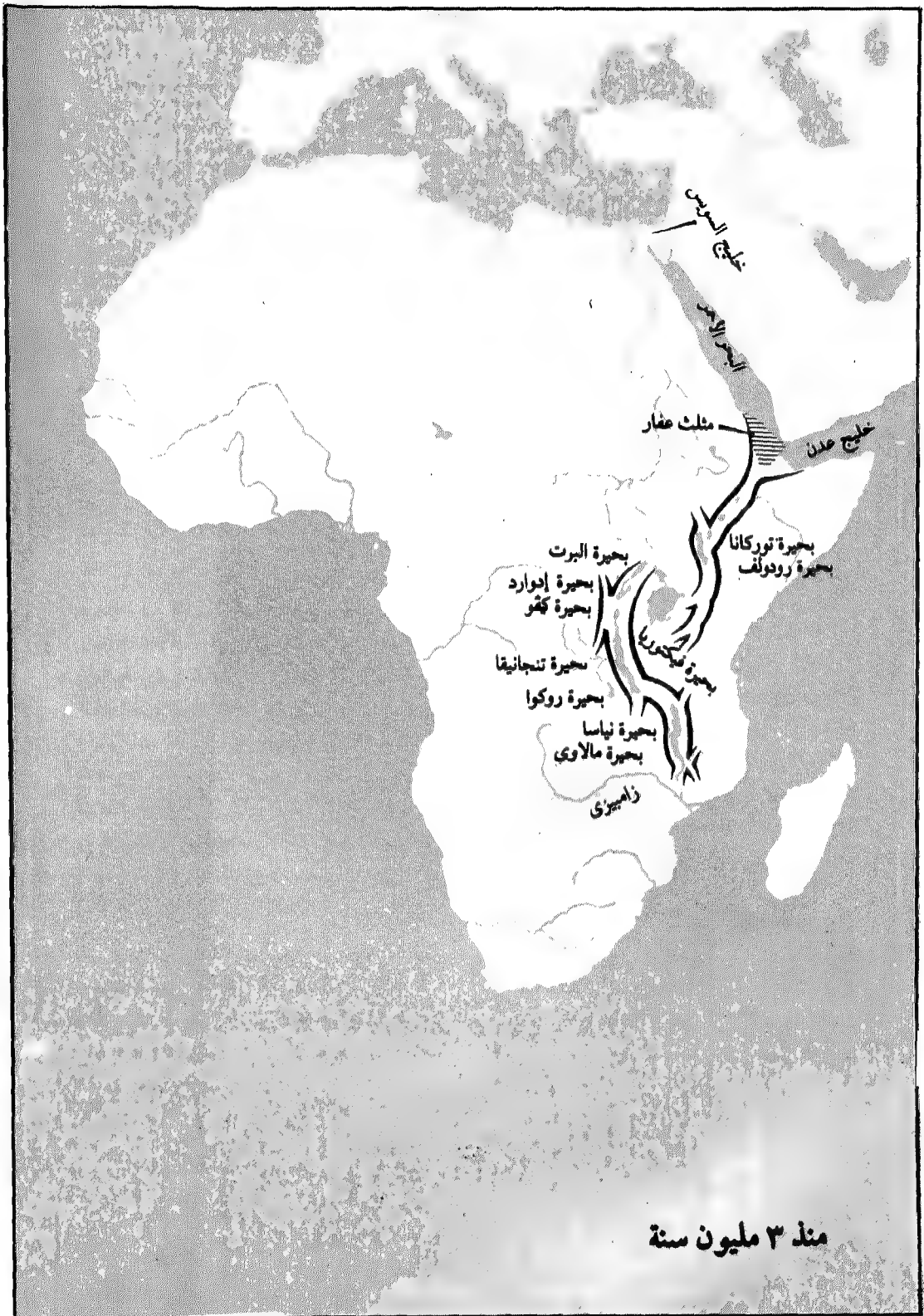
كان أول جزء انكسر وانفصل عن «بانجاليا» هو الكتلة التى تتضمن قارة انتاركتيكا [القطبية الجنوبية] وقارة استراليا . وكان ذلك منذ نحو ١٦٠ مليون سنة :

وقبل تباعد هاتين القارتين عن القارة العظمى الأم ، أخذتا معها الحيوانات الجرابية أو ذوات الكيس Marsupials .

وظلت بقية القارة العظمى الأم متماسكة فى كتلة واحدة لمدة ٥٠ مليون سنة [رغم حدوث بوادر التشقق والانكسار] .

وفى خلال تلك الفترة ظهرت مجموعة جديدة من الحيوانات الثديية ذات المشيمة Placentals . وهى أكثر كفاءة من الحيوانات الجرابية ذوات الكيس . ولذلك فقد استطاعت هذه الحيوانات ذات المشيمة أن تحمل محل الحيوانات الجرابية فى معظم أنحاء العالم . وبطبيعة الحال فإن الثدييات ذات المشيمة لم تستطع الوصول إلى قارة استراليا التى انفصلت وتباعدت ، لذلك فما زالت بقايا فصائل الحيوانات الجرابية تعيش فى استراليا حتى الآن [القنغر] .

ومن أول فصائل الثدييات ذات المشيمة مجموعة تسمى «ما قبل القرديات» Prosimii . ومن هذه المجموعة البدائية خرجت القردة Monkeys ، وتطورت إلى أن خرج منها أسلاف القردة العليا والإنسان .



منذ ٣ مليون سنة

أفريقيا ، ابتداء من منطقة القرن الأفريقي ، حتى مصب نهر زامبيزي ، وانفصال هذه الكتلة الهائلة عن جسم القارة ، لتسبح في مكان ما بالمحيط الهندي .

ولا شك أن تتبع اتجاه كل من هذه التشققات والانكسارات الكبرى التي حدثت بشرق أفريقيا ، يحتاج إلى معرفة المزيد من المعلومات الجيولوجية . ومع ذلك فيمكن ملاحظة الأثر الذي أحدثته هذه الانكسارات بالنظر إلى أية خريطة مبسطة . فهناك تطابق تام بين سواحل البحر الأحمر الشرقية والغربية ، بحيث أنك إذا طبقت الساحلين على بعضهما لتطابق كل منهما على الساحل الآخر . وذلك فيما عدا منطقة بالساحل الجنوبي الغربي للبحر الأحمر ، وهي المنطقة المعروفة بثلاث عفار Afar Triangle^(١) . وقد تكون هذا المثلث نتيجة لنشاط بركاني - حديث نسبياً - ملأ هذا الفراغ باللائات وتراكمات الحمم البركانية . ولو لم يحدث ذلك لكان التطابق كاملاً .

أما مظاهر وجود الأخدودين الآخرين ، فتبدو في مجموعة البحيرات التي حدثت في قاع كل منها . فبالنسبة للأخدود الشرقي ، توجد سلسلة من البحيرات الصغيرة التي يمكن رؤيتها بالخرائط التفصيلية ، بالإضافة إلى بحيرة توركانا Turkana التي تبدو كبيرة نسبياً عند مقارنتها بالبحيرات الأخرى .

وبالنسبة إلى الأخدود الغربي ، فتبدو سلسلة البحيرات الكبيرة واضحة جلية ، متمثلة في

آخر الانكسارات والتشققات الكبرى في كتلة القارة الأفريقية ، حدثت منذ نحو خمسة ملايين من السنين ، حين حدثت ثلاثة انكسارات بالجانب الشرقي من القارة .

حدث الشق الأول فأزاح شبه الجزيرة العربية عن كتلة القارة ، وأدى إلى ظهور خليج عدن ، والبحر الأحمر ، وانتهى ببرزخ السويس Isthmus of Suez الذي يمثل الآن حلقة الوصل بين كتلتى آسيا وأفريقيا .

أما الشقان أو الانكساران الآخران فلم يكونا بهذا الطول أو الاتساع ، على الأقل حتى الآن . ويمكن مشاهدتهما الآن في شكل الأخدودين العظيمين اللذين يتراوح اتساعهما إلى نحو ثلاثين ميلاً .

ويبدأ الأخدود الأول - الشرقي - من خليج عدن ويتجه جنوباً بغرب مخترقاً هضبة الحبشة ، ثم ينحني نحو الجنوب ماراً بالحدود التي تفصل الآن دولتي أثيوبيا وكينيا بمنطقة شرق بحيرة فيكتوريا ، إلى أن يتلاشى نهائياً في منطقة شمال تانزانيا .

أما الأخدود الثاني - الغربي - فيبدأ من منطقة نهر زامبيزي الأدنى متجهاً نحو بحيرة فيكتوريا ، ولكنه ينحني غرباً قبل الوصول إليها ، إلى أن يتلاشى في منطقة أوغندا .

ولولا هذا الانحراف الذي حدث في اتجاه كل من هذين الأخدودين وجعلهما يلتفان حول بحيرة فيكتوريا - شرقاً وغرباً - لتلاقى الأخدودان مع بعضهما ، الأمر الذي كان سيؤدي حتماً إلى انكسار كل الجانب الشرقي لقارة

(١) بجمهورية جيبوتي الآن [المترجم]

شكل طبق مفلطح ، وهى البقعة التى تكونت فيها وشغلتها بحيرة فيكتوريا .

ولهذا فإن بحيرة فيكتوريا فى حقيقة الأمر عبارة عن بركة كبيرة من المياه التى تجمعت فى هذا الطبق . وبصرف النظر عن مساحتها الهائلة - حيث تعتبر أكبر وأوسع بحيرة فى أفريقيا - فإنها أقل عمقا من أية بحيرة أخرى من البحيرات التى تقع داخل الأخدودين .

بحيرات ألبرت ، وادوارد ، وكيقو ، وتنجانيقا ، وروكوا ، ونياسا .

أما بحيرة فيكتوريا نفسها ، فتعتبر نتيجة غير مباشرة لحدوث هذين الأخدودين . فعند حدوث الأخدود ، يهبط قاعه وترتفع جوانبه ، ولهذا فعند ارتفاع الجزء الجنوبى الغربى من جانب الأخدود الشرقى ، وارتفاع الجزء الشمالى الشرقى من جانب الأخدود الغربى ، حدث أن تكونت فيما بينها بقعة هائلة من الأرض أخذت



تحفة فنية من النحاس . يرجع تاريخها إلى القرن الثامن عشر ، خاصة بأحد ملوك بنين القدماء .
من معروضات المتحف البريطاني بلندن .



● المواقع التي عاش فيها الإنسان القرد الحبوب أفريقي

منذ ١,٥ مليون سنة

منذ مليون ونصف المليون سنة

وقد اعتمدت كل من هاتين الفصيلتين في حياتها على الأشجار . وبالرغم من ثقل وزن افراد الفصيلة الأولى The Apes إلا أنها اعتمدت في حياتها على أشجار الغابات ، مثلها في ذلك مثل الفصيلة الثانية The Monkeys .

ومع ذلك فقد انتقلت بعض أنواع من هاتين الفصيلتين لتعيش في المناطق العشبية . وعلى الأخص قرود البابون^(٢) التي تعتبر أنجح تطور لفصيلة القرود Monkeys . أما القردة العليا Apes فتعتبر أسلاف «الانسان القرد - الجنوي» Australopithecines طبقاً لمفهوم «نظرية التطور» التي وضعها تشارلس داروين في القرن الماضي . والتي ترى أن «الانسان القرد» هذا هو حلقة الوصل بين فصيلة القردة العليا والانسان .

وطبقاً لمفهوم هذه النظرية ، فقد حدث التطور الذي أدى إلى ظهور «الانسان القرد - الجنوي» على مدى مراحل طويلة . ويمكن

(٢) البابون : نسناس كبير من جنس بابيو Papiو يستوطن افريقيا وبلاد العرب [ويسمى أحياناً القرد الافريقى أو القرد العربى] . ووجهه خصوصاً الأنف والفكين . يشبه وجه الكلب . وله انياب طويلة وأطراف قوية . وفي مؤخرته كتلة صلبة من اللحم . تحل محل الردفين . وله ذيل قصير مقوس . ويتقل البابون في جماعات ، ويتغذى على العقارب والحشرات ويأكل أيضاً المواد النباتية . وأغلبه أصفر أو بنى اللون ويدربه بعض الناس في مصر على تقليد بعض الأعمال . وكان قداما المصريين يقدسونه ، ووجدت الكثير من انواعه منحطة أو منقوشة بالرسوم خصوصاً نوع الميمون ونوع الشاكما . [المترجم]

خلال معظم المليونى سنة الماضيين ، غطى الجليد شمال أوروبا وكندا . وخلال هذه العصور الجليدية ساد جو بارد وجاف كل منطقة جنوب أوروبا والولايات المتحدة . أما في افريقيا فلم يكن الجو أبرد مما هو عليه الآن ، وإن كان أكثر جفافاً . وأصبحت الصحراء الكبرى تمثل حاجزاً لا يمكن اجتيازه بالنسبة للحيوانات . بينما بقيت المنطقة الواقعة جنوب الصحراء حافلة بمناطق الغابات في نفس الحدود التي هي عليها الآن . أما في شرقي وجنوب القارة ، فقد سادت المناطق العشبية المفتوحة ذات الأشجار المتباعدة .

ومن المحتمل أن منطقة الغابات قد تكونت منذ نحو خمسة ملايين من السنين . وهى نفس الفترة التي ظهرت بها فصائل وأنواع القرود^(١) Monkeys And Apes .

(١) هناك فصيلتان أساسيتان للقرود : الفصيلة الأولى تسمى The Apes وهى قرود لا ذيل لها وتشمل الغوريلا Gorilla والشمبانزى Chimpanzee والاورانج أوتان Orang Utan والجيون Gibbon . والفصيلة الثانية تسمى The Monkeys ، وهى أقرب الحيوانات شبيهاً بالانسان ، خصوصاً الأنواع الصغيرة منها الطويلة الذيل . وفي هذه القرود الشبيهة بالانسان تطورت الأطراف [الأرجل والأذرع والأقدام] لتصبح قادرة على القبض والإمساك بالأشياء . كما تطور جهازها العصبى تطوراً عالياً . ويشمل هذا النوع من القرود : المارموسيت Marmosets [وهى القرود الأمريكية المعروفة باسم القشة] والبابون Baboons والمكاك Macaques .

[المترجم]

يديه في تشذيب بعض الأحجار الصلبة
ليستخدمها كأدوات قاطعة . وكان هذا
الاستخدام هو خطوة الانسان الأولى في التطور
وصنع الأدوات .

وتبين الخريطة المواقع التي عثر فيها على
عظام «الإنسان القرد الجنوب - افريقي» . ولم
يعثر على مثل تلك العظام أو البقايا في أية قارة
أخرى غير افريقيا . بل ولا في المناطق الافريقية
شمال الصحراء الكبرى .

ومعنى هذا أنه بالرغم من تطور «الإنسان
القرد الجنوب - افريقي» فإنه لم يستطع اجتياز
الصحراء ، وظل على مدى مليوني أو ثلاثة
ملايين سنة ، مرتبطا بالمناطق العشبية في قارة
افريقيا ، وهى المناطق التي نشأ فيها وتطور .

وصف هذا الانسان بصفة عامة بأن جسمه جسم
انسان ، ونحو مخ قرد من فصيلة الإيب Ape .

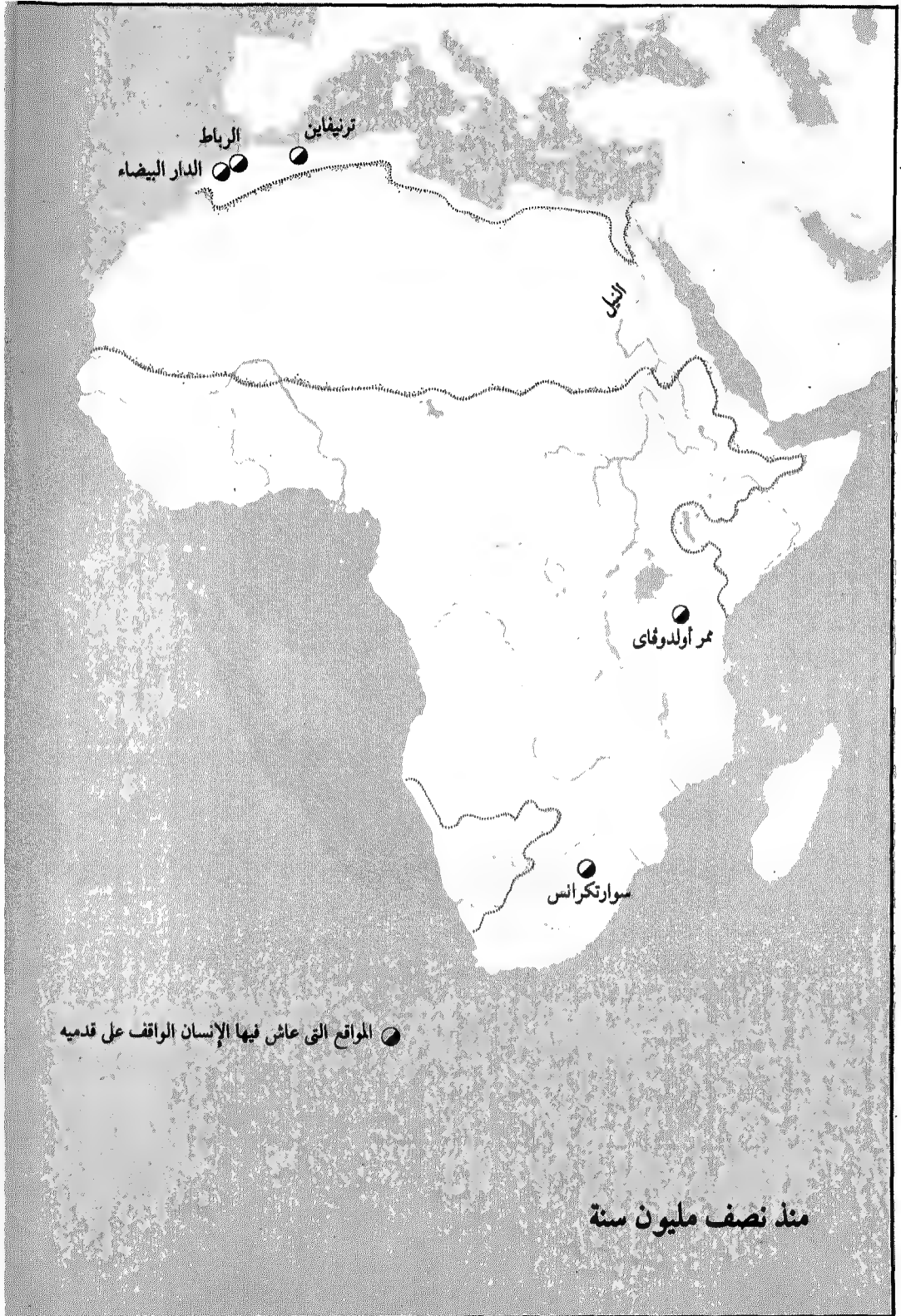
وقد اقتضت ظروف البيئة في المناطق العشبية
حدوث تطور بكل من هاتين الفصيلتين . فقد
ظلت القروود من فصيلة «المانكى» The Monk-
eys تسير على أربع . أما القروود من فصيلة
«الايب» The Apes فقد استقام جسمها
وأخذت تسير معتمدة على رجلها الخلفيتين .

وكان من نتيجة هذا التطور أن أصبح
«الإنسان القرد الجنوبي» يتمتع بذراعين حرتين
استطاع أن يستخدمهما في أغراض شتى تعود عليه
بالنفع وتسهل له سبل الحياة في البيئة التي يعيش
فيها .

ولم تمض حقبة طويلة من الزمن ، حتى
استطاع «الإنسان القرد الجنوبي» أن يستخدم



نخعة ملكية مصنوعة من النحاس كانت تستخدم في أغراض دينية .
من معروضات متحف الثقافات الشعبية ببرلين .



منذ نصف مليون سنة

القرود الجنوبي فحسب ، بل أهله أيضا إلى التفوق عليه في ميادين المنافسة . ولم يمض وقت طويل حتى انقرض الانسان القرود الجنوبي تماما ، إما بسبب تعرضه لمذابح وإبادة على يد الانسان الواقف على قدميه ، أو لأن هذا الانسان الأخير قد أزاحه بعيداً إلى مناطق وبيئات لم يستطع ان يواصل الحياة فيها .

وقد اثبت هذا الانسان قدرة فائقة على الحركة والهجرة ، فكسر حاجز الصحراء ، ربما عن طريق وادي النيل ، واستطاع أن ينتشر في مختلف انحاء العالم القديم . فقد عثر على عظامه في أوروبا [قرب هايدلبرج] وفي الصين [قرب بكين] وفي اندونيسيا [في جاوه] كما عثر عليه أيضا في شمال افريقيا [في الدار البيضاء والرباط وترينفاين] . ولكنه لم يستطع الوصول إلى الأمريكتين ولا جزر المحيط الهادي .

منذ نحو مليون سنة ، تطور «الانسان القرود» الذي كان يعيش جنوب الصحراء ، وخرج منه نوع من «الانسان الواقف على قدميه» أو «الانسان المنتصب القامة» Homo Erectus . وكان له مخ يزيد مرة ونصف بالمقارنة بمخ «الانسان القرود الجنوبي» .

وقد استطاع هذا النوع الجديد من الانسان ، أن يشعل النار ، وأن يصنع أدوات من الطران [الصوان] متماثلة في الشكل صنعها بحذق ومهارة . ومن المؤكد أنه كان يستطيع الكلام ، نظراً لوجود صلة وثيقة بين المهارة والقدرة على الكلام .

وهذه القدرات التي اكتسبها الانسان الواقف على قدميه أو الانسان المنتصب القامة ، لم تجعله مختلفاً من الناحية البيولوجية مع الانسان



⊙ المواقع التي عاش فيها الانسان البدائي الحديث

٤٠٠٠ سنة قبل الميلاد .

منذ ٤٠,٠٠٠ سنة قبل الميلاد

نياندرتال الذي عثر عليه في أوروبا في بعض المعالم البسيطة .

وبطبيعة الحال ، فإن وجود بعض الاختلافات بين إنسان روديسيا وإنسان نياندرتال هو أمر متوقع ومحتمل ، رغم أن العثور على جمجمة واحدة لإنسان روديسيا لا يكفي للحكم بالتعميم ووضعها في تصنيف منفصل عن إنسان نياندرتال الذي عثر عليه في أوروبا .

وبعد مرور نحو عشرين سنة على العثور على جمجمة إنسان روديسيا ، عثر علماء الأنثروبولوجيا [علم الإنسان] على جمجمة أخرى لهذا الإنسان في منطقة خليج سالدانها Sal-danha Bay قرب كيب تاون بجنوب أفريقيا . ولسوء الحظ فقد كانت تلك الجماجم التي عثر عليها في أماكن أخرى جنوب الصحراء مهشمة ومشكوك في أمرها بحيث لا يمكن الاعتماد عليها في إعداد خريطة سليمة دقيقة مقنعة ، تبين توزيع هذا الإنسان بمناطق جنوب الصحراء الكبرى في أفريقيا . ومع ذلك فإن هذه الموجودات تبدو كافية لتأكيد أن «إنسان نياندرتال» الذي عثر عليه في جنوب الصحراء الكبرى ، من جنس متميز عن إنسان نياندرتال الذي كان يعيش في بعض مناطق أوروبا وفي بعض المناطق الأفريقية شمال الصحراء الكبرى .

غير أن هذه النتيجة لا تثير الدهشة ، فمن الحقائق المسلم بها أن أصناف الإنسان تختلف فيما بينها طبقاً لاختلاف الجو والظروف المناخية . وبطبيعة الحال فقد كانت هناك اختلافات كبيرة في هذه الظروف المناخية بين قارتي أوروبا وأفريقيا في أثناء العصر الجليدي الأخير .

عندما وصل العصر الجليدي الأخير إلى أقصى ذراه ، عاش نوع من الإنسان في المناطق التي كانت مأهولة في ذلك الوقت في أوروبا وآسيا وأفريقيا ، وهو الإنسان الذي اصطلح على تسميته بالإنسان البدائي الحديث Homo Sapiens .

وهذا الإنسان شديد الشبه بالإنسان المعاصر الذي يعيش في عالم اليوم ، وإن كان يختلف عنه من عدة نواح مثل كثافة شعر الحواجب ، وكبر الفكين وصغر عظام الذقن . أما حجم مخه فهو مماثل تماماً لحجم مخ الإنسان المعاصر . ولهذا يمكن اعتبار هذا الإنسان ضرباً أو نوعاً من الإنسان المعاصر ، بدلاً من إدراجه في تصنيف منفصل .

وقد أطلق أيضاً على هذا الإنسان إسم آخر هو «إنسان نياندرتال» Neanderthalers . وذلك نسبة إلى مكان العثور عليه في ألمانيا ، حيث عثر على أول جمجمة له هناك في سنة ١٨٥٦ م .

وفي سنة ١٩٢١ ، عثر على أول جمجمة لهذا الإنسان في منطقة جنوب الصحراء الكبرى بأفريقيا ، وذلك أثناء حفر منجم في منطقة تسمى التل المكسور Broken Hill في زامبيا . ولذلك فقد أطلق عليه اسم «إنسان روديسيا» لأن زامبيا كانت معروفة في ذلك الزمن باسم روديسيا الشمالية .

هذا ويختلف إنسان نياندرتال الذي عثر عليه في جنوب الصحراء الأفريقية عن إنسان

وعلى ذلك فيمكننا أن نفترض بحق أن «إنسان روديسيا» كان داكن البشرة إذا قورن بإنسان نياندرتال الذي كان يعيش في أوروبا . وذلك لأن المادة الملونة في انسجة البشرة تحميها من الآثار المدمرة لضوء الشمس . كما نفترض أيضا أن إنسان روديسيا كان قليل الشعر الذي يغطي جسمه باعتبار أن الشعر يؤدي إلى احتفاظ الجسم بالحرارة ، وإلى فقدان هذه الحرارة بطريقة أبطأ .

كذلك فإن الفاصل الحقيقي الذي كان يفصل إنسان نياندرتال الأوربي عن إنسان روديسيا ، كان متمثلاً في الصحراء الكبرى

وليس متمثلاً في البحر المتوسط . ويؤكد ذلك أن بقايا إنسان نياندرتال التي عثر عليها بمنطقة هوافتيح بشمال افريقيا ماثلة تماماً لبقايا إنسان نياندرتال الأوربي . ومختلفة عن بقايا إنسان روديسيا التي عثر عليها بجنوب الصحراء الكبرى .

والقول بأن البحر المتوسط لم يكن يشكل مانعاً أو فاصلاً بين هذين النوعين ، إنما يرجع بصفة أساسية إلى أن تجمد مياه البحار في اثناء العصر الجليدي الأخير قد جعل البحر المتوسط أقل عمقا بكثير مما هو عليه الآن .



تحفة فنية من النحاس ، تمثل مقعداً كان يستخدم في بعض الأغراض السحرية
من متروحات متحف الثقافات الشعبية ببرلين



٨٠٠٠ سنة قبل الميلاد

سنة ٨٠٠٠ قبل الميلاد

بالضخامة وسواد البشرة أيضاً ، ولكن أجسامهم ووجوههم أنحف من أجسام ووجوه الزنوج . ومن المحتمل أنهم كانوا يعيشون في ذلك الزمن في مناطق الثلث الأوسط من وادي النيل وما يحيط بها مباشرة .

أما مناطق افريقيا جنوب الصحراء ، فقد كانت مقسمة بين الأقزام والبوشمن .

وقد استوطن الأقزام منطقة الغابات المطيرة بحوض الكونغو [زائير] . وهم قصار القامة بشكل ملحوظ ، إذ يبلغ متوسط طول الفرد منهم نحو أربعة أقدام وست بوصات [١٣٧ سم] وبشرتهم بنية تميل إلى السواد وانوفهم عريضة وشعرهم قليل .

أما البوشمن فهم أطول قليلا من الأقزام ، إذ يبلغ متوسط طول الفرد منهم نحو خمسة أقدام وبوصتين [١٥٧ سم] وبشرتهم تميل إلى اللون الأصفر أكثر منه إلى اللون البني أو الاسود ، وشعرهم مفلقل . وهم يعيشون الآن في منطقة صحراء كالاهارى في جنوب غرب القارة . أما في ذلك الزمن موضع البحث فقد كانوا منتشرين في كل مناطق شرق وجنوب افريقيا .

أما المناطق الافريقية شمالي الصحراء الكبرى ، فكان الوضع فيها مختلفاً إلى حد كبير . فقد كانت مأهولة باجناس بيضاء تنتمي إلى الساميين في شبه الجزيرة العربية ، وينقسمون إلى جماعات تختلف فيما بينها لغوياً ، ويطلق عليهم بصفة عامة اسم «الحاميين» . ففي الغرب [مراكش والجزائر وتونس] كان يعيش البربر .

جاء تحول كل من انسان نياندرتال وانسان وديسيا إلى الانسان المعاصر الذى يعيش في عالم ليوم ، نتيجة لتكوين بعض جينات الوراثة الجديدة . وبصرف النظر عن المكان الذى لهرت فيه هذه الجينات لأول مرة ، فإنها انتشرت بين جميع افراد الجماعات الانسانية التى نانت تعيش في العالم ، وذلك قبل انتهاء العصر الجليدى الأخير .

وقد اختفت من افريقيا كلها السمات الخاصة بثقل الحواجب ونوء الجبهة ، كما اختفت هذه السمات من الانسان الذى كان يعيش في وريا وآسيا . وبصفة عامة يمكن القول بأن كل نوع في ملامح وصفات الانسان المعاصر ، كان موجودا ايضا في ملامح وصفات ذلك الانسان لقديم المعروف باسم Homo Sapiens . لكن هذا لا يعنى ان كل الناس كانوا متشابهين . لكل قارة كانت تختلف عن القارات الأخرى من ناحية الأجناس البشرية التى كانت تعيش فيها .

وبالنسبة لقارة أفريقيا ، فقد عاشت فيها نحو خمسة أجناس متميزة . بل وأن أربعة من هذه الاجناس لا يوجد لها مثيل في أية قارة أخرى غير افريقيا . وهذه الاجناس هى : الزنوج ، والشعوب النيلية الصحراوية ، والأقزام ، والبوشمن .

وقد استوطن الزنوج مناطق الغابات والمناطق العشبية بغرب افريقيا . وهم يتميزون بضخامة الأجسام وسواد البشرة والانوف العريضة .

أما الشعوب النيلية الصحراوية ، فيتميزون

وفى الشرق [وادى النيل] كان يعيش
المصريون . وفى جنوب الصحراء الشرقية المظلة
على البحر الأحمر ، كان يعيش الكوشيون
[النوبيون] ، وهم ذوو بشرة داكنة وأكثر سمرة
من البربر والمصريين . ويرجع هذا التميز فى لون

بشرة النوبيين إلى سبب جوهري هو وجودهم فى
المناطق الجنوبية ، الأمر الذى هيا لاختيار
الطبيعى أن يؤدى دوره فى تلوين بشرتهم باللون
الاسمر ، بالإضافة إلى وفر الجينات السوداء
نتيجة اختلاطهم بجيرانهم السود .



لوحة من النحاس يرجع تاريخها إلى القرن السادس عشر، تمثل ثلاثة من
قارهي الطبول أثناء أحد الاحتفالات الطقسية. من معروضات المتحف
البريطاني بلندن.



سنة ٢٧٥٠ قبل الميلاد

وهكذا ظهر التمايز الجوهري بين البدوى والفلاح . أى بين سكان المناطق العشبية «الاستبس» Steppes التى لا تصلح لأى شىء سوى رعى القطعان ، وبين الفلاحين الذين يعيشون مستقرين بالقرى ، ويؤهلون أنفسهم لحياة حضرية جديدة ، ازدادت فيها المعدلات السكانية .

ولم تلعب افريقيا أى دور على الاطلاق فى هذه التطورات ، بل وظلت بعيدة عن التأثير بهذا التطور حتى حوالى سنة ٥٠٠٠ قبل الميلاد ، حيث انتقل هذا الأسلوب الجديد للزراعة من وادى الأردن إلى وادى النيل ، أى من فلسطين إلى مصر^(١) .

ثم انتقل هذا الأسلوب من مصر ببطء إلى السواحل الافريقية الشمالية المطلة على البحر المتوسط [تونس والجزائر والمغرب] . كما انتقل جنوباً إلى السودان [نحو سنة ٣٠٠٠ ق . م] .

وكمرحلة أخيرة ، كما هو مبين بالخريطة ، تدفقت موجات الفلاحين والرعاة من السودان متجهة نحو الغرب عبر الساحل [وهو الحزام العشبي الذى يقع جنوبى الصحراء الكبرى مباشرة] .

ورغم أن ثورة الاستقرار الزراعى فى العصر الحجري الحديث قد وصلت إلى أفريقيا متأخرة ،

(١) أرجو أن يتناول القارئ رأى المؤلف فى هذا الشأن بشىء من التحفظ فهذه النظرية محل خلاف ، والرأى الراجح هو ظهور الزراعة بمصر أولاً . [المترجم]

فى خلال العصر الباليوليتى Palaeolithic العصر الحجري القديم [والعصر الميسوليتى Mesolithic] العصر الحجري الوسيط [، كان لانسان يعتمد فى حياته على جمع الطعام كصيد لحيوانات والاسماك وقطف الثمار وحفر الأرض لمبحث عن الجذور .

أما السمة الأساسية التى تميز بها العصر لنيوليتى Neolithic [العصر الحجري الحديث] فهى انتقال الانسان من عملية جمع طعام إلى عملية انتاج الطعام المتمثلة فى زرع البذور وجنى المحاصيل الصالحة للطعام وفى تربية الحيوانات المستأنسة ورعى القطعان .

وقد حدث هذا التحول فى منطقة الشرق الأدنى ، خلال الألف السابعة قبل الميلاد ، حيث تمكن الانسان من زرع القمح والشعير واستئناس الأغنام والماعز والخنازير والمواشى . وقد أدت هذه العملية التحولية الجديدة إلى زيادة أعداد الانسان . وقد بدأت هذه الزيادة بمعدل بطيء فى البداية ، ثم ارتفع معدل الزيادة بمرور الوقت .

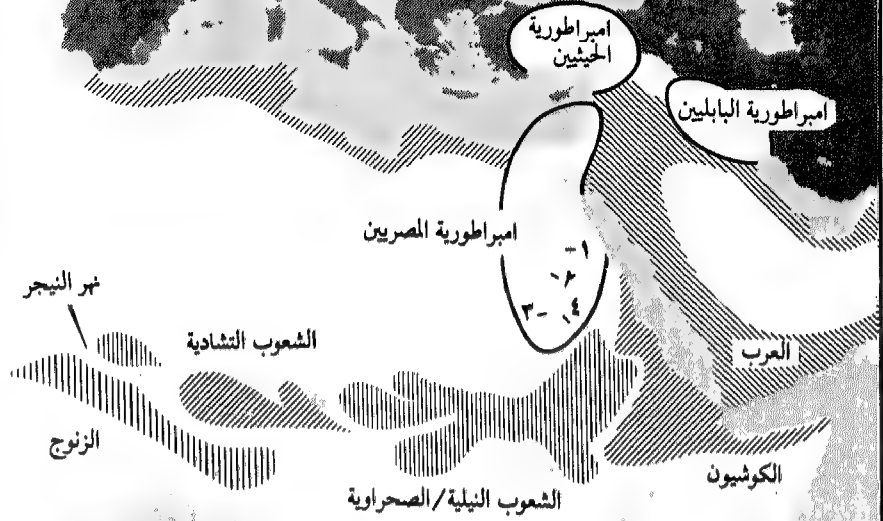
وكانت معظم المجتمعات الإنسانية التى انتهجت الزراعة واستئناس الحيوانات كأسلوب جديد للحياة ، تعيش مستقرة فى أماكن محددة أخذت شكل القرى التى تحيط بها الأسوار أحياناً رغم هذا الزمن الضارب فى القدم .

أما المجتمعات الانسانية التى اعتمدت على رعى القطعان فقد عاشت حياة التنقل حيث كانت ترحل باستمرار ومعها قطعانها إلى حيث توجد المراعى الصالحة حسب فصول السنة .

وبهذه الخلفية الاقتصادية ، حققت افريقيا
أول الانتصارات الحضارية بين القارات
الأخرى ، حيث استطاع المصريون أن ينشئوا
نظام «الدولة» حين قام الملك مينا [سنة ٣٠٠٠
ق . م على وجه التقريب] بتوحيد مصر العليا
«الوجه القبلى» مع مصر السفلى «الوجه البحرى»
فى دولة واحدة ، هى بلا أدنى شك أول وأقدم
دولة فى العالم .

وتطورت بعد ذلك ببطء ، إلا أنها أحرزت
نجاحاً بالغاً فى نقطة دخولها ، أى فى مصر . فقد
تعلم المصريون بسرعة كيف يستفيدون من
الفيضانات الموسمية لنهر النيل فى رى
محاصيلهم ، وبالتالي فقد أصبحت مصر – أو
بالتحديد الأجزاء المأهولة منها – أكثر البلاد
تكديسا بالسكان فى العالم فى ذلك الزمن .





٤٠٣٠٢٠١ جنادل النيل

سنة ١٢٥٠ ق. م

سنة ١٢٥٠ قبل الميلاد

المصري لبلاد النوبة حتى منطقة الجندل الرابع .
وهي المنطقة التي تعتبر العتبة المؤدية إلى عالم
جنوب الصحراء الكبرى .

في تلك المنطقة توقف المصريون القدماء عن
التقدم نحو الجنوب ، لأن هذه المناطق الجنوبية
كانت فقيرة للغاية ، بل وأفقر من أن تستحق
تكاليف الاستمرار في اقتحامها ، بالإضافة إلى
صعوبة المواصلات بينها وبين مصر .

أما القبائل التي كانت تعيش جنوب الحدود
المصرية مباشرة ، فقد كانت من الشعوب النيلية
الصحراوية التي تستوطن منطقة واسعة تمتد غرباً
عبر « الساحل » العشبى حتى بحيرة تشاد .

وفي المنطقة الممتدة من بحيرة تشاد حتى
وسط نهر النيجر ، كانت تعيش الشعوب
التشادية Chadic . وهي قبائل كانت تنتمي في
الأصل إلى الكوشيين ، ولكنها كانت قد انفصلت
عن أصولها منذ زمن طويل ، واكتسبت سمات
مستقلة من خلال انتمائها إلى المجموعات الناطقة
باللغات الحامية . Hamitic Language Group .

أما الزنوج الذين كانوا يعيشون بالمناطق
الواقعة جنوب غرب المناطق التي تعيش فيها
الشعوب التشادية ، فقد دخلوا بدورهم إلى نطاق
التأثر بالثورة التي أحدثها العصر الحجري
الحديث . فإلى جانب حرفة الرعى تعلموا حرفة
الزراعة ، وأصبحوا ينتجون محاصيل زراعية
أهمها حبوب السرخس Sorghum المعروفة بالذرة
السكرية .

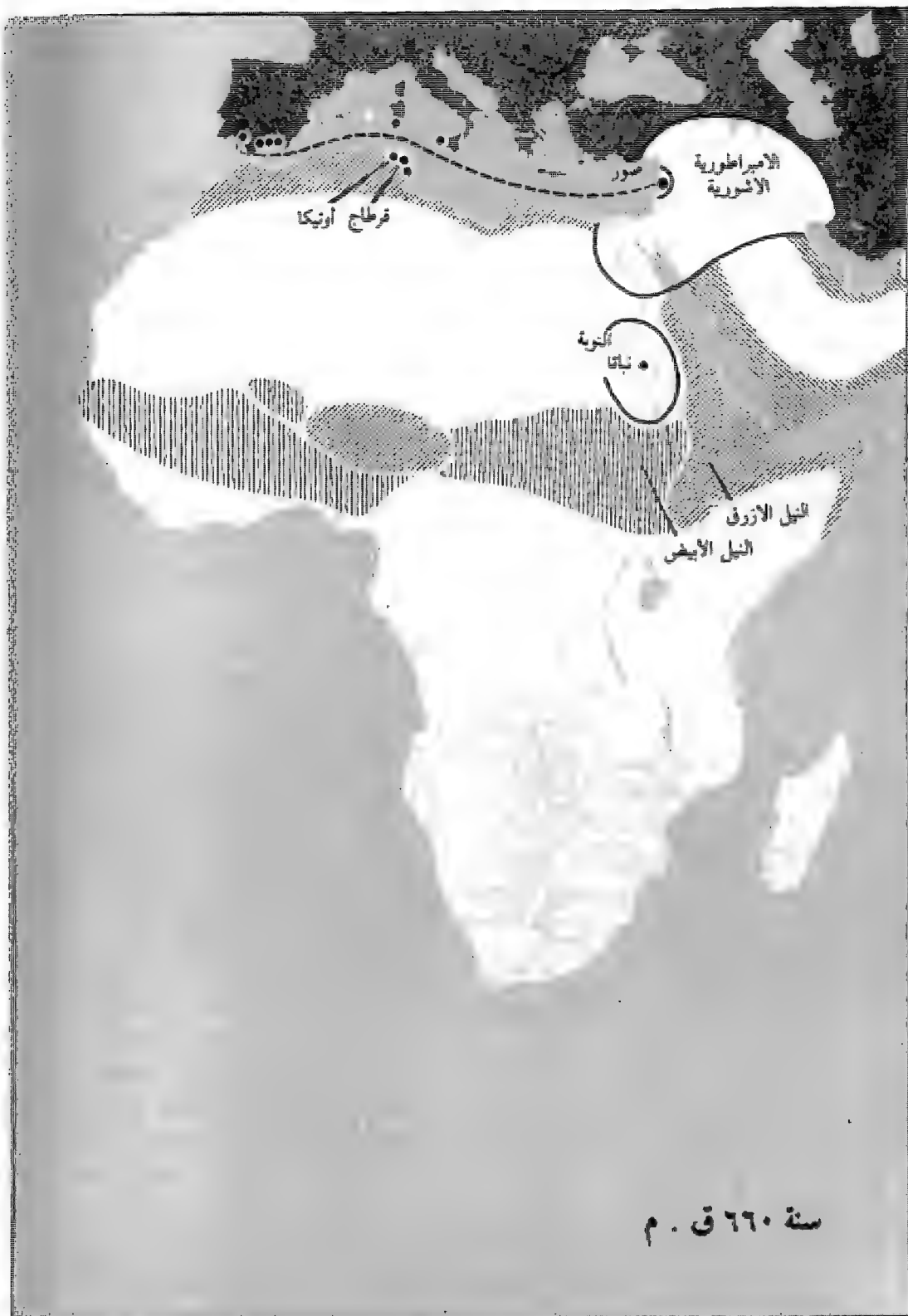
ظلت المملكة المصرية أهم مملكة في العالم
لحقبات طويلة من الزمن ، ولم تنافسها في الوجود
أية مملكة أخرى حتى سنة ٢٣٠٠ ق . م حين قام
سرجون الأكبر بتوحيد ميزوبوتاميا
Mesopotamia [بلاد ما بين النهرين - العراق
حالياً] .

وبعد نحو ألف سنة أخرى ، لم يكن في
العالم سوى دول ثلاث كبرى هي : الامبراطورية
المصرية [التي ضمت المناطق الفلسطينية]
والامبراطورية البابلية [التي خلفت سرجون في
بلاد ما بين النهرين] وامبراطورية الحيثيين [التي
تمركزت في النصف الشرقي من تركيا] .

وبما لا شك فيه أن الامبراطورية المصرية
كانت الامبراطورية الأكثر رسوخاً والأكثر قدرة
على البقاء من جميع هذه الامبراطوريات . فقد
بدت مصر وكأنها وجدت لتبقى إلى الأبد ، وهو
أمر لم تستطع بلوغه أية امبراطورية أو مملكة
أخرى .

وقد وضع قدماء المصريين حدود بلادهم من
ناحية الجنوب ، عند النقطة التي لا يصبح فيها
النيل صالحاً للملاحة ، حيث تعترض مجراه
صخور متناثرة صلبة يصعب اجتيازها ملاحياً .
وهي النقطة المعروفة باسم الجندل الأول بمنطقة
أسوان .

وابتداء من الجندل الأول ، تمتد جنوباً
المنطقة المعروفة بأرض كوش Cush [النوبة] .
وفي حوالى سنة ٢٠٠٠ ق . م ، قامت القوات
المصرية باحتلال النوبة حتى منطقة الجندل
الثاني . وفي سنة ١٥٠٠ ق . م امتد الاحتلال



سنة ٦٦٠ قبل الميلاد

الفينيقية . فقد كانت مدينة تجارية تتمتع بموقع حصين عبارة عن جزيرة صغيرة قرب الشاطئ ، اللباني ، كما كانت تمتلك أقوى اسطول في منطقة البحر المتوسط . ولذلك فقد عجزت جيوش الاشوريين عن اقتحامها .

أما القوة الاقتصادية التي ساندت الفينيقيين في صور ، فترجع إلى اكتشافهم أسرار مناجم الفضة في اسبانيا . الأمر الذي أدى إلى قيامهم بتأمين وحماية الطريق البحري الذي يربط بين مدينتهم وبين السواحل الاسبانية ، فأنشأوا مجموعة من التحصينات في شكل مستعمرات في منطقة الممر البحري المنحصر بين سواحل تونس وسواحل جزيرة صقلية ، وذلك لضمان الدفاع عن هذا الطريق البحري ضد أية دولة تفكر في المنافسة أو في استخدام هذا الطريق .

وفي الزمن محل بحث هذه الخريطة ، أصبحت بعض المستعمرات التي أنشأها الفينيقيون بسواحل تونس - خصوصاً في قرطاج وأوتيكا - مدناً غنية وقوية ، بل ونافست في قوتها وغناها مدينة صور نفسها .

وتظهر أهمية هاتين المدينتين في التاريخ الافريقي في أنها أدخلتا الحضارة إلى مناطق شمال افريقيا . فعن طريقهما عرفت تلك المناطق حرف الزراعة والتعدين وفنون الكتابة ، كما استطاع القرطاجيون أخيراً الاستقلال عن صور ، وأنشأوا لأنفسهم امبراطورية مستقلة في شمال افريقيا .

هذا وتعتبر المهارات التعدينية أبسط المقاييس لتحديد مدى التقدم التكنولوجي في

فقد المصريون سيطرتهم على بلاد النوبة حوالي سنة ١٠٠٠ ق . م . وليست لدينا أية سجلات تاريخية تدلنا عما حدث بتلك البلاد في خلال القرنين التاليين .

وفي مطلع القرن الثامن قبل الميلاد ، ظهرت النوبة من جديد على خريطة العالم باعتبارها دولة مستقلة ، على رأسها ملوك أقوياء استطاعوا ان يحتلوا الوجه القبلي [المصري] في عهد بعض الفراعنة الضعاف من الاسرة الرابعة والعشرين .

وفي نفس الوقت امتدت حدود المملكة النوبية جنوباً حتى وصلت إلى ما بعد التقاء النيلين [الأزرق والأبيض] . وقد بلغت هذه المملكة أقصى اتساع لها ، في عهد الملك بعنخي [٧٥١ - ٧١٦ ق . م] الذي استطاع ان يخضع الوجه البحري [المصري] أيضاً ويكون بذلك أول فراعنة الاسرة الخامسة والعشرين .

ولكن هذه الاسرة لم تستمر في حكم مصر طويلاً ، فقد ارتكب أحد أبناء الملك بعنخي وهو الملك طهرقا [٦٨٨ - ٦٦٣ ق . م] حماقة اغضاب الاشوريين الذين كانوا يعتبرون في ذلك الوقت سادة معظم انحاء الشرق الأدنى . فأرسل الاشوريون جيشاً إلى مصر اكتسح النوبيين وطردهم من مصر بسهولة . ومنذ ذلك الوقت لزم النوبيون حدود بلادهم الأصلية ، ولم يظهروا مرة أخرى شمال الجندل الثاني .

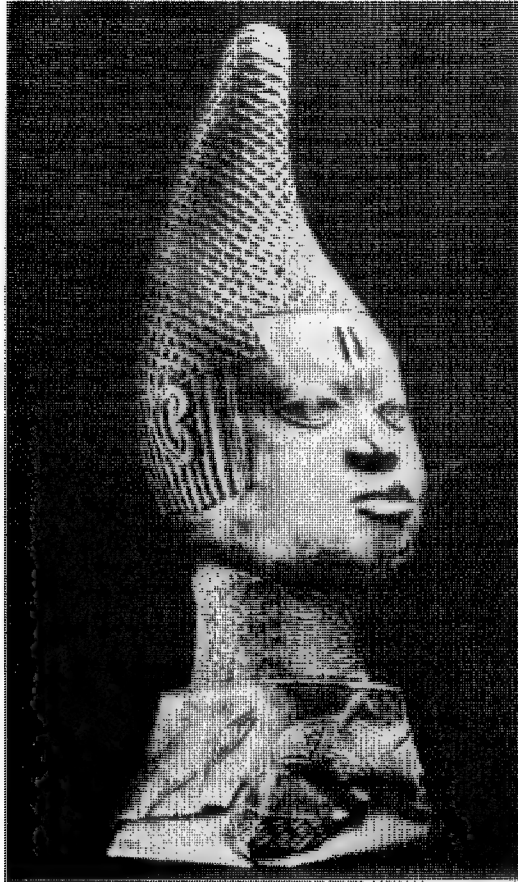
وقد سيطر الاشوريون تماماً على معظم دول ودويلات الشرق الأدنى ما عدا مدينة « صور »

المجتمعات الانسانية ، الأمر الذى دعا علماء الآثار إلى تقسيم الأزمنة والعصور الحضارية على أساس علاقة المجتمعات الانسانية بالمعادن المختلفة ، وعلى ذلك فقد قالوا بوجود العصر الحجرى ، ثم عصر البرونز ، ثم عصر الحديد ، وذلك طبقاً للتعاقب الزمنى .

ولا يلعب عصر البرونز دوراً ذا أهمية فى افريقيا سوى فى مصر التى عرفت هذا العصر ودخلت إليه فى سنة ٣٠٠٠ ق . م . وبلاد النوبة التى دخلته فى سنة ١٥٠٠ ق . م . أما بقية انحاء القارة فلم تزل تعيش فى العصر الحجرى إلى أن

أدخلت الدولة الآشورية الحديد إلى افريقيا .

وهذه الخريطة توضح لنا انتهاء عصر البرونز المحدود ، وبداية دخول القارة إلى عصر الحديد ، كما تبين لنا أهمية التغيرات التى حدثت بمناطق القارة التى كانت مازالت تعيش فى العصر الحجرى . ففى مرتفعات الحبشة وفى مناطق غرب القارة عاشت المجتمعات الانسانية المنتجة للطعام جنباً إلى جنب مع المجتمعات الانسانية الجامعة للطعام . وبدأت هاتان المنطقتان بالتالى ، تدخلان مرحلة النمو السكانى المرتبط بهذا التحول الحضارى .



تمثال من النحاس يمثل رأس أم أحد ملوك بتن القدماء . من معروضات
متحف الثقافات الشعبية ببرلين .



سنة ٥٠٠ قبل الميلاد

ولم يستطع المستعمرون الفرس أو الفينيقيون ، ولا سكان المدن والمستوطنات التي انشأوها على سواحل شمال افريقيا ، أن يتغلغوا إلى داخل القارة ، أو يقيموا أية علاقة مع المجتمعات الانسانية البدائية التي تقيم بالداخل .

ولهذا فقد ظل الطابع الذي يميز مناطق شمال افريقيا [غربى مصر] هو الانفصال التام بين الحضريين الذين يمارسون الزراعة ويعيشون في مدن الشاطئ ومستوطناته ، وبين البدائيين الذين يعيشون على الفطرة في داخل الأراضي الافريقية جنوبي تلك المدن والمستوطنات .

ولم يكن القرطاجيون هم الساميين الوحيدين الذين استعمروا بعض مناطق افريقيا ، فقرابة زمن هذه الخريطة هاجرت بعض القبائل العربية من شبه الجزيرة وعبرت البحر الأحمر واستوطنت منطقة إريتريا ، وسرعان ما جعلت لنفسها السيادة على الشعوب والقبائل الكوشية [النوبية] التي كانت تعيش على السواحل الغربية للبحر الأحمر . بل وفصلت تماما بين مجموعتين أساسيتين من القبائل النوبية هما : البجة Beja في الشمال والدناكل Danakil في الجنوب .

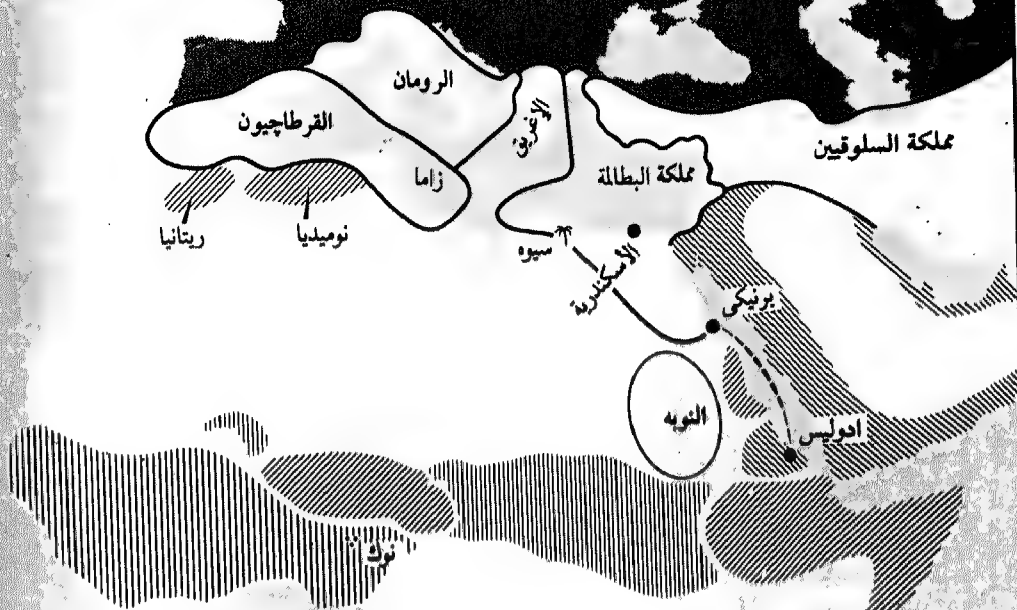
ثم سرعان ما تغلغلت القبائل العربية إلى داخل القارة . وليس من الغريب أن هضبة الحبشة نفسها قد استمدت اسمها من اسم قبيلة « حبش » وهي قبيلة عربية . بل إن اللغة الحبشية السائدة والتي تسمى لغة « الجيز » Geez قد استمدت تسميتها من اسم قبيلة الأجازى وهي أيضا قبيلة عربية .

دالت امبراطورية الآشوريين وحلت محلها مبراطورية أخرى أكبر وأوسع نطاقا ، هي لامبراطورية الفارسية التي ضمت جميع مناطق لشرق الأدنى ، وامتد نطاقها عبر مساحة شاسعة تبدأ من حدود أوروبا حتى الهند .

أما الجزء الافريقى من تلك الامبراطورية ، فقد انضم إليها في سنة ٥٢٥ ق . م حين قام الملك نصف المجنون قمبيز بالاستيلاء على مصر وعلى سيريناىكا Cyrenaica [برقه] . وقد عزم قمبيز على فتح وضم بلاد النوبة ، ولكن حملته فشلت فشلا ذريعا ، ومع ذلك فقد أدت هذه الحملة إلى انتقال عاصمة النوبيين من « نباتا » Napata إلى « مروى » Meroe . أما الحدود الفاصلة ما بين مصر والنوبة فقد ظلت كما هي عند منطقة الجندل الثالث .

وينسب اسم سيريناىكا [برقه] إلى اسم سيرين أو قورينه ، وهي مدينة اغريقية أنشأها الاغريق حوالى سنة ٦٢٥ ق . م . وبالرغم من سيادة الفرس على تلك المنطقة الافريقية ، إلا أن ذلك لم يمنع الاغريق من انشاء المزيد من المدن في تلك المنطقة . وفي القرن الثامن قبل الميلاد ، وصل عدد المدن الاغريقية في تلك المنطقة إلى خمس مدن . وكان هذا هو السبب في اطلاق الاسم الكلاسيكى على تلك المنطقة ، وهو « بنتابوليس » [المدن الليبية الخمس Libyan Pentapolis] .

كذلك فقد تمكن الفينيقيون من انشاء ثلاث مبيتوطنات على الساحل الليبى ، وأطلقوا عليها اسم « تريبوليتانيا » Tripolitania أى المستوطنات الثلاث [طرابلس] .



سنة ٢٠٢ ق.م

سنة ٢٠٢ قبل الميلاد

غرب البحر المتوسط ، نشب بين روما وقرطاج من أجل محاولة السيطرة والهيمنة على العالم الكلاسيكي القديم .

وفي سنة ٢٠٢ ق . م ، انتهى هذا الصراع في موقعة زاما Zama بتونس ، حيث استطاع فيلقان من جيوش الرومان بمساعدة فرسان نوميديا^(١) Numidia القضاء على جيش القرطاجيين بالرغم من أن هذا الجيش الأخير كان يستخدم في المعركة ثمانين فيلاً مدرباً على خوض الحروب .

وكان الهنود هم أول من استخدم الأفيال في المعارك الحربية . وقد واجه الاسكندر هذه الافال الحربية لأول مرة عند غزوه للينجاب . ولكن يبدو أن الاسكندر لم يكن مقتنعاً بفاعلية هذه الأفيال وكيفية ادائها في المعارك الحربية ، فلم يتم باستخدامها ، ذلك على عكس الحال بالنسبة لسلوكس الذي جلب نحو خمسمائة فيل أسبوى من أفغانستان . أما البطالمة فقد ردوا على ذلك باستخدام الفيلة الأفريقية التي استجلبوها

(١) نوميديا : إقليم في شمال غرب إفريقيا [مكان الجزائر تقريباً] كانت في البداية جزءاً من امبراطورية القرطاجيين ، إلى أن انضمت لمساندة الرومان في الحرب البونيقية الثانية في سنة ٢٠٦ ق . م ، ومنحت حق الاستقلال في سنة ٢٠١ ق . م . ثم ناصرت المملكة القائد الروماني بومبي ضد قيصر سنة ٤٧/٤٦ ق . م . وبعد انتصار قيصر عزلت الأسرة المالكة لنوميديا واعتبرت ولاية رومانية باسم إفريقيا الجديدة . ثم غزاها القائد في القرن الخامس الميلادي ، وغزاها العرب في القرن الثامن الميلادي . [المترجم]

في الفترة ما بين سنة ٣٣٤ ق . م وسنة ٣٢ ق . م ، قام ملك مقدونيا الاسكندر بأكبر بالاستيلاء على امبراطورية الفرس . وقد تسلمت الحامية الفارسية التي كانت تحتل مصر نبوش الاسكندر دون مقاومة .

وقد أقام الاسكندر الأكبر فترة قصيرة بمصر شتاء ٣٣٢/٣٣١ ق . م [ولكنها كانت كافية اختيار موقع عاصمة جديدة هي مدينة الاسكندرية ، وذلك في موقع فريد قرب مصب فرع الكانوبي Canopic لنهر النيل ، كما اجتاز لاسكندر أيضاً الصحراء الليبية لزيارة قدس لاقداش بمعبد الإله زيوس - آمون المقام بواحة سيوه . حيث أخبره الإله بأنه يباركه كابن له ، هو أمر صادم هوئى كبيراً في نفس الاسكندر لدى نفذ وصية الإله على خير وجه .

وبعد موت الاسكندر في سنة ٣٢٣ ق . م تقسيم امبراطوريته بين كبار قادة جيوشه ، صبحت مصر من نصيب أحد هؤلاء القادة بطليموس Ptolemy الذي أسس المملكة لبطلمية في مصر . كما أن معظم امبراطورية لاسكندر قد أصبحت من نصيب قائد آخر هو سلوكس Seleucus الذي أسس مملكة السلوقيين .

وقد استمرت هاتان المملكتان في الحكم فترة طويلة دخلتا فيها معارك وصراعات عديدة وإن كانت غير حاسمة ، من أجل أن تسيطر إحداها على فلسطين .

وإلى جانب هذا الصراع المرير في شرق البحر المتوسط ، كان هناك صراع مرير آخر في

من بلاد النوبة ومن المناطق الواقعة بين مينائى برنيكى وأدوليس [عدولى]^(١) بالبحر الأحمر [منطقة اريتريا] . وكانت هذه الأفيال الافريقية صغيرة الحجم وأسهل استئناساً وتدريباً بالمقارنة بالأفيال الضخمة الأخرى فى المناطق الأكثر تطرفاً نحو الجنوب .

أما الأفيال التى استخدمها القرطاجيون فى معاركهم فكانت أفيالاً محلية المنشأ كانت موجودة ببعض مناطق شمال افريقيا ، ولكنها انقرضت تماماً نتيجة لكثافة صيدها فى العصر الرومانى .

ويعتبر القائد القرطاجى هانيبال أشهر القادة العسكريين الذين استخدموا الأفيال فى المعارك الحربية . ويذكر التاريخ انه اصطحب معه خلال محاولته غزو ايطاليا مجموعة كبيرة من الأفيال ليستعين بها فى معارك الحرب الثانية بين روما وقرطاج [سنة ٢١٨ ق . م] . ولكنه فقد الكثير من تلك الأفيال اثناء اجتيازه جبال الألب ، كما أن الأفيال المتبقية لم تساعد كثيراً فى معاركه هناك . وبعد عودة هانيبال إلى افريقيا ، جمع عدداً آخر من الأفيال وضمها إلى جيوشه . ومع

ذلك فقد هزم هزيمة منكرة لأول مرة فى تاريخه العسكرى الطويل ، وذلك فى موقعة « زاما » .

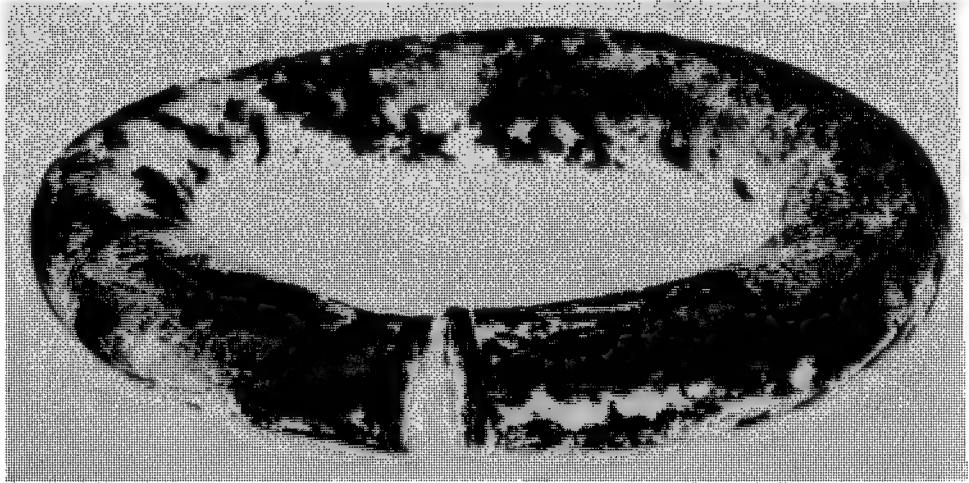
ولم يبق الرومان بضم قرطاج بعد تلك الهزيمة ، ولكنهم وسعوا رقعة مملكة البربر الجديدة فى نوميديا على حساب القرطاجيين .

وفى تلك الفترة ظهرت مملكة أخرى للبربر ، وهى مملكة موريتانيا التى كان يقع مركزها فى مملكة المغرب الحالية .

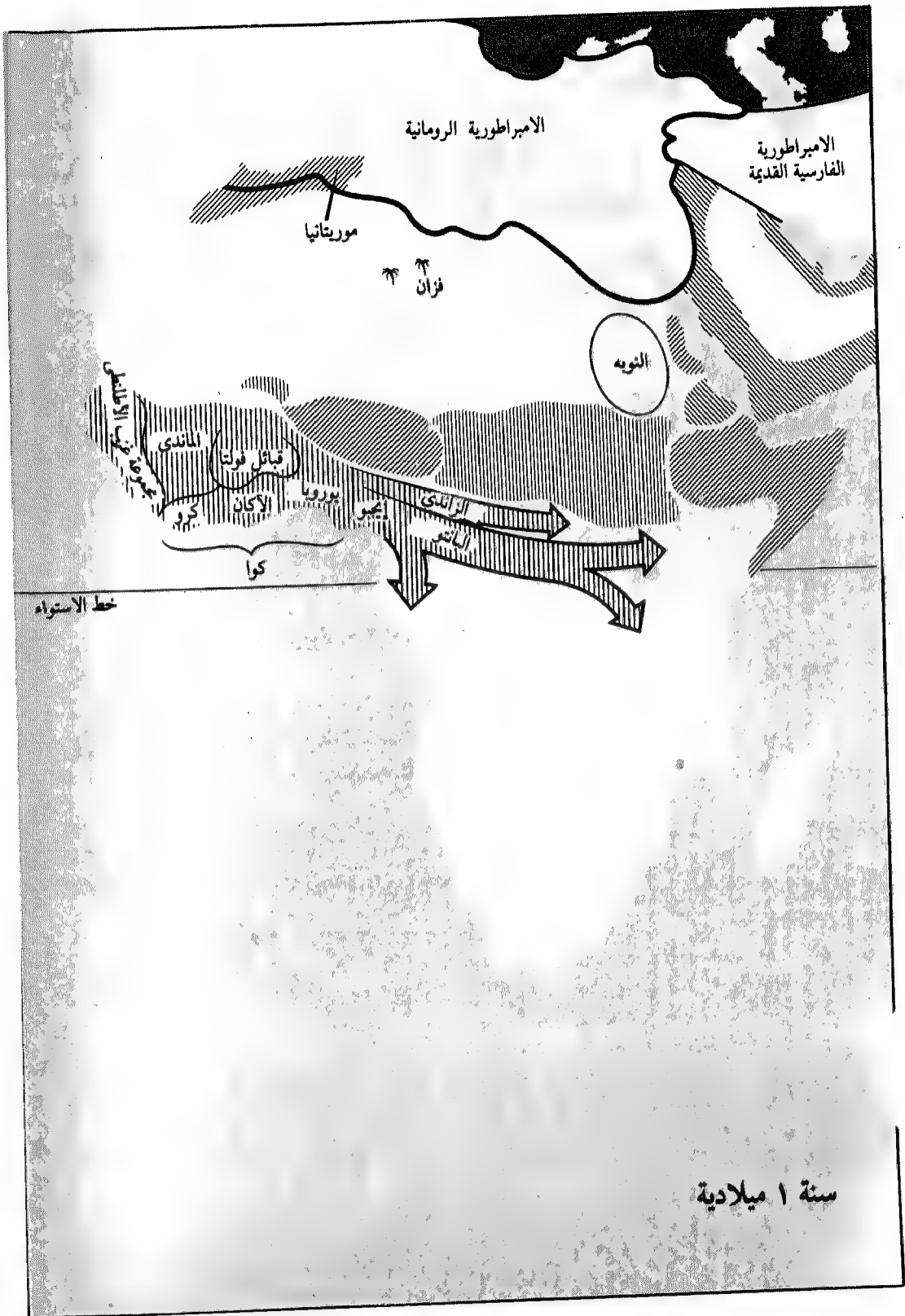
أما فى المناطق الافريقية جنوب الصحراء الكبرى ، فلم تقع تطورات ذات أهمية ، سوى ظهور بعض المجتمعات الانسانية التى تحتترف صناعة تعدين الحديد [حضارة قبائل النوك Nok بأواسط نيجيريا] . وقد عرفت هذه القبائل أسرار تلك الصناعة بعد أن انتقلت إليها من مصر عن طريق بلاد النوبة وعبر الساحل العشبى . وهذا هو رأى الراجح ، لاستحالة انتقال هذه الصناعة إلى قبائل النوك من مناطق شمال افريقيا لعدم وجود وسائل اختراق الصحراء فى ذلك الزمن . وكذلك لاستحالة احتمال أن تكون هذه الصناعة قد نشأت محلياً فى تلك المنطقة .

(١) أدوليس : وتسمى الآن « عدال » أو « عدولى » وهى ميناء قديم على الساحل الغربى جنوب البحر الأحمر قرب مصوع . وتعتبر بداية لطريق القوافل الرئيسى الذى يمتد قلب افريقيا . وقد استخدم البطالة هذا الميناء لصيد واستجلاب الفيلة الافريقية . وظل ميناء تجارياً على درجة كبيرة فى الأهمية لافريقيا لفترة طويلة .

[المترجم]



سوار من البرونز يرجع تاريخه إلى القرن الثالث عشر. من معروضات متحف
بنين القوي .



سنة « ١ » ميلادية

أرسلت حملتان تأديبيتان إحداهما إلى واحات فزان والأخرى إلى نباتا في بلاد النوبة . وأوضحت الحملتان أنه لا جدوى من التوسع جنوباً في المناطق الافريقية حيث لا يوجد إلا أعداد قليلة من الناس الفقراء ، ومناطق شاسعة مجدبة لا نفع ولا كسب وراءها ، بالاضافة إلى صعوبة المواصلات بينها وبين روما .

وبما يدل على صحة نظرة اغسطس إلى حدود الامبراطورية الرومانية ، أن هذه الحدود قد ظلت قائمة - مع تعديلات بسيطة - على مدى ٤٠٠ سنة تالية .

وبالرغم من وضوح الأهمية التاريخية لإنشاء الحكم الروماني في مناطق شمال افريقيا ، إلا أن هذه الأهمية تتضاءل أمام حدث يعتبر أهم الأحداث في تاريخ القارة الافريقية ، وهو تدفق هجرات قبائل الزنوج من غرب القارة إلى وسطها . وقد تدفقت هذه الهجرات في تيارين متوازيين هما هجرات قبائل الزاندي Zande وهجرات قبائل البانتو Bantu .

وقد بدأت هذه الهجرات من منطقة جبال الكاميرون التي تعتبر الحدود الشرقية الأصلية للقبائل الزنجية ، واخترقت حوض نهر زائير متجهة إلى منابع النيل الأبيض .

وهكذا بينما كان الامبراطور الروماني اغسطس يضع اللمسات الأخيرة لحدود الامبراطورية الرومانية ، كانت قبائل الزاندي وقبائل البانتو تفتح افريقيا الاستوائية . وبينما كانت مصالح الرومان تتلاشى في الأراضي الصحراوية المجدبة ، استطاعت قبائل البانتو أن

نشبت الحرب الثالثة والأخيرة بين روما وقرطاج في الفترة ما بين سنة ١٤٩ ق . م وسنة ١٤٦ ق . م . وانتهت بانتصار الرومان الذين خربوا المدينة وضموا أراضيها ، مما اعطاهم اقلية تعادل مساحته نصف مساحة تونس الحالية .

وعلى مدى القرنين التاليين استولى الرومان على كل الشمال الافريقي : استولوا على سيريناىكا [برقة] سنة ٧٤ ق . م ، وعلى نوميديا في قضمتين سنة ٤٦ ق . م وسنة ٢٥ ق . م ، وعلى مصر في قضة واحدة سنة ٣٠ ق . م .

أما مملكة موريتانيا فقد ظلت مستقلة ، ولكن لا الملك جوبا الثاني الذى كان يحكم موريتانيا في زمن هذه الخريطة ، ولا الامبراطور الروماني اغسطس الذى أجلس هذا الملك على عرش بلاده ، كانا يعتبران استقلال موريتانيا استقلالاً تاماً من كافة الوجوه ، فلم تكن موريتانيا بالفعل سوى ولاية رومانية تتمتع باستقلال محدود ، ولم يكن ملكها سوى قائمقام القنصل .

وقد اهتم اغسطس بجعل حدود الامبراطورية الرومانية حدوداً طبيعية ، ففي أوروبا اختار نهري الراين والدانوب ، وفي آسيا امتدت حدود الامبراطورية إلى نهر الفرات ، وفي افريقيا امتدت الحدود إلى حواف الصحراء .

وربما وضع اغسطس احتمالات توسيع حدود الامبراطورية لتشمل مناطق أخرى وراء هذه الحدود . ولكن في افريقيا اتضح انه ليس هناك احتمال لآى توسع في المستقبل ، فقد

تصل إلى الأراضي الخصبة بمناطق الأخدود الغربى والأقاليم المحيطة ببحيرة فيكتوريا . وهناك استطاعت هذه القبائل أن تستقر وتتكاثر وتزداد قوة ، استعداداً للمزيد من التوسع في هجرات تالية .

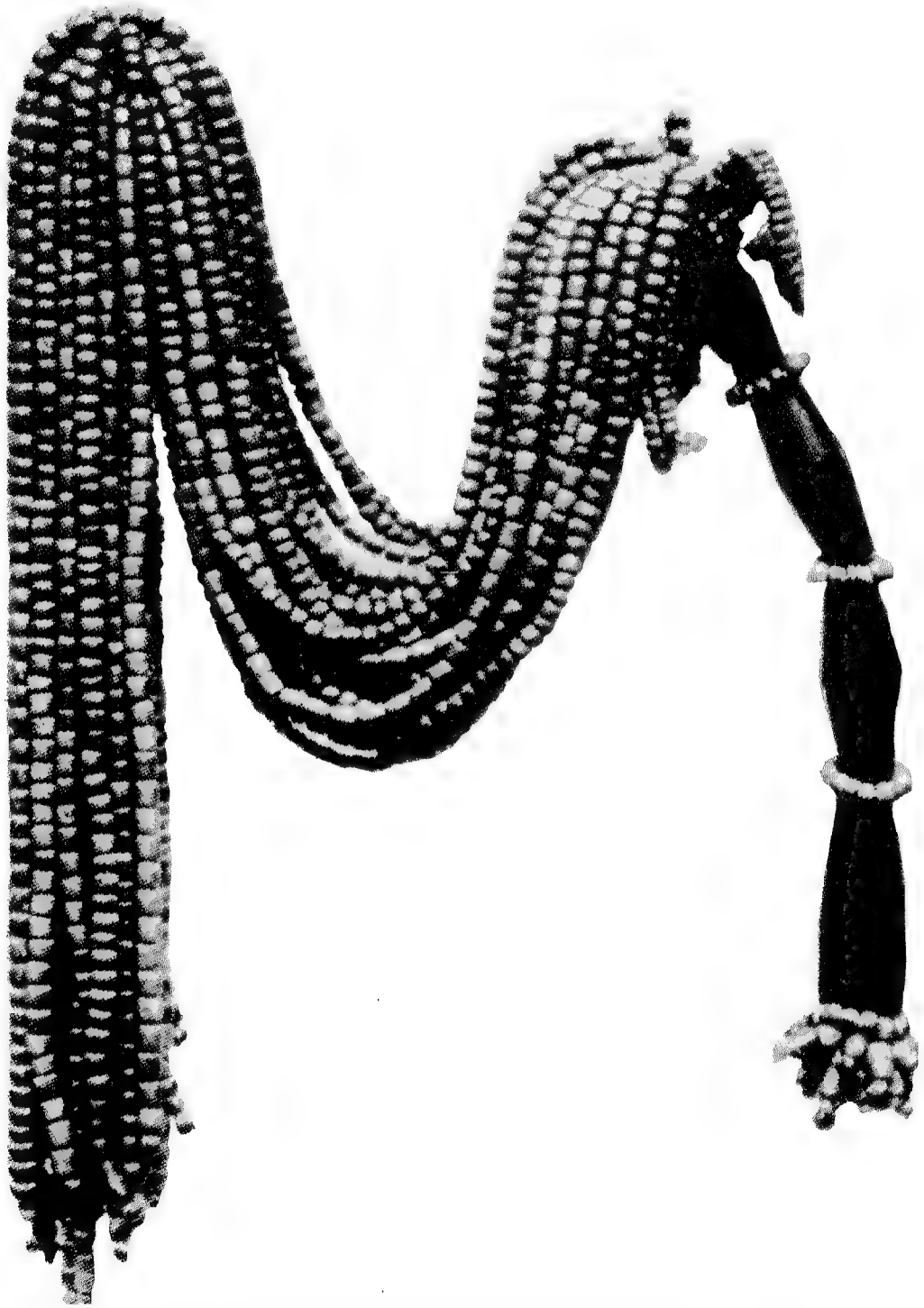
أما اللغات التى كانت تتكلمها القبائل والشعوب الزنجية فى زمن هذه الخريطة ، فتنتمى كلها إلى عائلة لغوية واحدة هى عائلة « النيجر/ الكونغو » . وتنقسم هذه العائلة اللغوية إلى ستة أقسام : قسمان منها وهما الزاندى والبانتو كانا نتيجة للهجرات التى تمت خلال عصر الحديد . أما الأقسام الأربعة الأخرى وهى : « مجموعة غرب الاطلنطى » ، والكوا Kwa والماندية Mande والفولتية Voltaic ، فقد ظلت قاصرة على غرب أفريقيا فى زمن هذه الخريطة ، بحيث يمكن القول بأن كل قسم منها ظل سائداً بنفس المنطقة التى ظهر فيها من مناطق غرب إفريقيا .

وكما يظهر على الخريطة فإن الساحل الأفريقى الغربى كان مأهولاً بقبائل تتكلم لغات ولهجات تنتمى إلى عائلة غرب الاطلنطى اللغوية [وأشهرها الآن لغه الولوف Wolof ولغة الفولانى Fulani] .

أما الساحل الجنوبى فقد كان مأهولاً بالقبائل التى تتكلم لغات تنتمى إلى عائلة الكوا Kwa [وأشهرها لغات الكرو Kru والأكان Akan واللغات السائدة فى مناطق جنوب نيجيريا وهى لغة اليوروبا Yoruba ولغة الإيغبو Igbo] .

أما مناطق أعلى السنغال وأعلى النيجر ، فقد كانت مأهولة بالقبائل المتكلمة بلغة الماندى [وهى قبائل المالينكى Malinke والسونينكى Soninke والبامبارا Bambara] .

أما منطقة قولتا العليا فكانت مأهولة بالقبائل التى تتكلم اللغة الفولتية [وأشهرها قبائل موسى Mossi] .



عقد مصنوع من خرز المرجان . خاص بأحد ملوك بنين القدماء . من معروضات المتحف البريطاني بلندن .

الامبراطورية الرومانية

الامبراطورية
الفارسية القديمة

النوبة
• مروى

أكسوم
•

الانتو

الأفرام

كالاهارى

البحر

سنة ٢٠٠ م

سنة ٢٠٠ ميلادية

ولكن الأهالى المحليين فى افريقيا كانوا أسعد حظاً من الأهالى المحليين فى الأمريكتين . فقد تعلم الأقزام كيف يتعايشون مع قبائل البانتو التى احاطت بهم من جميع النواحي ، وهم اليوم يتكلمون لغات البانتو .

أما قبائل البوشمن فقد طردت من معظم مواطنها ، ولكنها ظلت تحتفظ بصحراء كالاهارى ، كما ظلت محتفظة بصفات العرقية ، ولغاتها الشبيهة بالقرقة Clicks .

وفى شمال افريقيا ، تقلصت دولة مورتانيا إلى ولاية اقليمية تابعة للرومان فى سنة ٤٢ م . وواصل الرومان توسيع امبراطوريتهم فى مناطق الشمال الافريقى .

ولم يتطلب احتلال الرومان لهذه المناطق الدخول فى معارك أو عمليات حربية بالمعنى المعروف ، فقد تولت القيام بالمهمة تجريدة عسكرية صغيرة ، تضم فيلقين أو ثلاثة ، من الفيالق الثلاثين التى كانت تتكون منها الجيوش الرومانية .

ومع ذلك فقد كانت تلك المناطق ذات أهمية حيوية من الناحية الاقتصادية للامبراطورية الرومانية . فقد كانت تمثل الأراضى الزراعية المخصصة لإنتاج القمح الذى تعتمد عليه روما . وفى كل ربيع كانت الاساطيل الرومانية تخرج من مصر محملة بمحاصيل القمح الذى يكفى استهلاك روما لاثنى عشر شهرا تالية . وكانت صوامع المدينة تمتلئ عن آخرها بمخزون القمح المصرى . أما إذا حصل عجز أو تأخير فى توريد القمح المصرى ، فقد كانت روما تتطلع إلى

تبين هذه الخريطة كيف استغلت قبائل البانتو فى القرنين الأول والثانى بعد الميلاد ، الوضع الجيد الذى خلقوه لأنفسهم خلال القرنين السابقين على الميلاد . ففى البداية تدفقت هجراتهم من المناطق التى استوطنوا فيها حول بحيرة فيكتوريا وزحفوا إلى السواحل الافريقية المطلة على المحيط الهندى . وهذا يعنى أنهم ضمنوا أن جميع المناطق التى تقع جنوبا ، ستصبح يوماً تحت سيطرتهم .

ومن المفترض كذلك أنهم احتلوا هذه المناطق زاحفين مع نهر زائير . وفى نفس الوقت واصلوا زحفهم نحو السواحل الشرقية عن طريق الأخدود الغربى .

وبينما كانت قبائل البانتو تواصل زحفها ، كانت قبائل الأقزام Pygmies وقبائل البوشمن Bushmen تتقهقر أمام هذا الزحف ، فتقهقر الأقزام إلى أعماق غاباتهم الكثيفة . وتقهقر البوشمن نحو الجنوب . ولم تكن هناك فرصة أمام كل من الأقزام والبوشمن الذين كانوا قليلي العدد ويدائيين مازالوا يعيشون فى العصر الحجري ويعتمدون على جمع الطعام ، لكنهم يقاوموا قبائل البانتو التى كانت أكثر منهم عدداً وأعلى حضارة . فقد كانوا يزرعون حبوب الذرة ، ويرعون قطعان الماشية ، ويستخدمون أسلحة مصنوعة من الحديد ولهم طبقات محاربة مما جعلهم أشبه بالفاتحين الاسبان Conquistadors الذين تغلغلوا إلى داخل العالم الجديد بعد اكتشاف الأمريكتين ، وكانوا أعلى مستوى من الناحية الحضارية من الأهالى المحليين .

المناطق التي احتلتها بشمال افريقيا لتعويض هذا العجز فوراً .

أما أهم الاحداث لمعاصرة لتاريخ هذه الخريطة في منطقة القرن الافريقي ، فهي ظهور دولة أكسوم Axum التي تعتبر سلفاً لدولة الحبشة . وقد نشأت هذه الدولة على الحد الشمالي لمنطقة الهضبة ومرتفعاتها . وقد اعتبرت

أكسوم مركزاً للاحتفالات والطقوس الدينية ، وانشئت بها العديد من المسلات الشبيهة

بالمسلات المصرية . وفي مرحلة تالية من مراحل التطور ظهرت بهذه المنطقة دولة الحبشة ، وأصبح الاقليم الساحلى المسمى اريتريا مجرد اقليم متاخم قليل الأهمية .



لوحة من دوالع فن بنين يرجع تاريخها إلى القرن السادس عشر وتمثل عازبين
قدماء . من معروضات متحف ليبزيج للثقافات الشعبية بألمانيا الشرقية .

١ مليون نسمة

التوزيع السكاني
سنة ٢٠٠٠م

التوزيع السكاني سنة ٢٠٠ م

لعدد السكان في مصر . الأمر الذي أدى إلى تحقيق قدر من التوازن السكاني منذ ذلك الحين بين منطقتي شمال شرق افريقيا وشمال غربها . وفي هاتين المنطقتين كان يعيش نصف سكان القارة كلها في ذلك الوقت .

ولكن هذه النسبة بين عدد سكان المناطق الافريقية شمال الصحراء الكبرى ، وعددهم جنوب الصحراء ، أخذت تتآكل بعد أن ظلت سارية لفترة طويلة ، فقد لحقتها التغيرات فيما تلى ذلك من عصور . وأصبحت افريقيا السوداء تعاني الآن من مشاكل الانفجار السكاني .

وقد بدأ معدل النمو السكاني الافريقي جنوب الصحراء يميل نحو الارتفاع بظهور المجتمعات الافريقية التي دخلت إلى عصر الحديد ، وذلك في مناطق شمال السودان [النوبة] وبصفة خاصة في مناطق غرب افريقيا حيث كانت تعيش قبائل البانتو التي أدى نموها وازدهارها وارتفاع تعدادها ، إلى دخول بقية مناطق القارة جنوبي الصحراء إلى حيز ارتفاع معدل النمو السكاني .

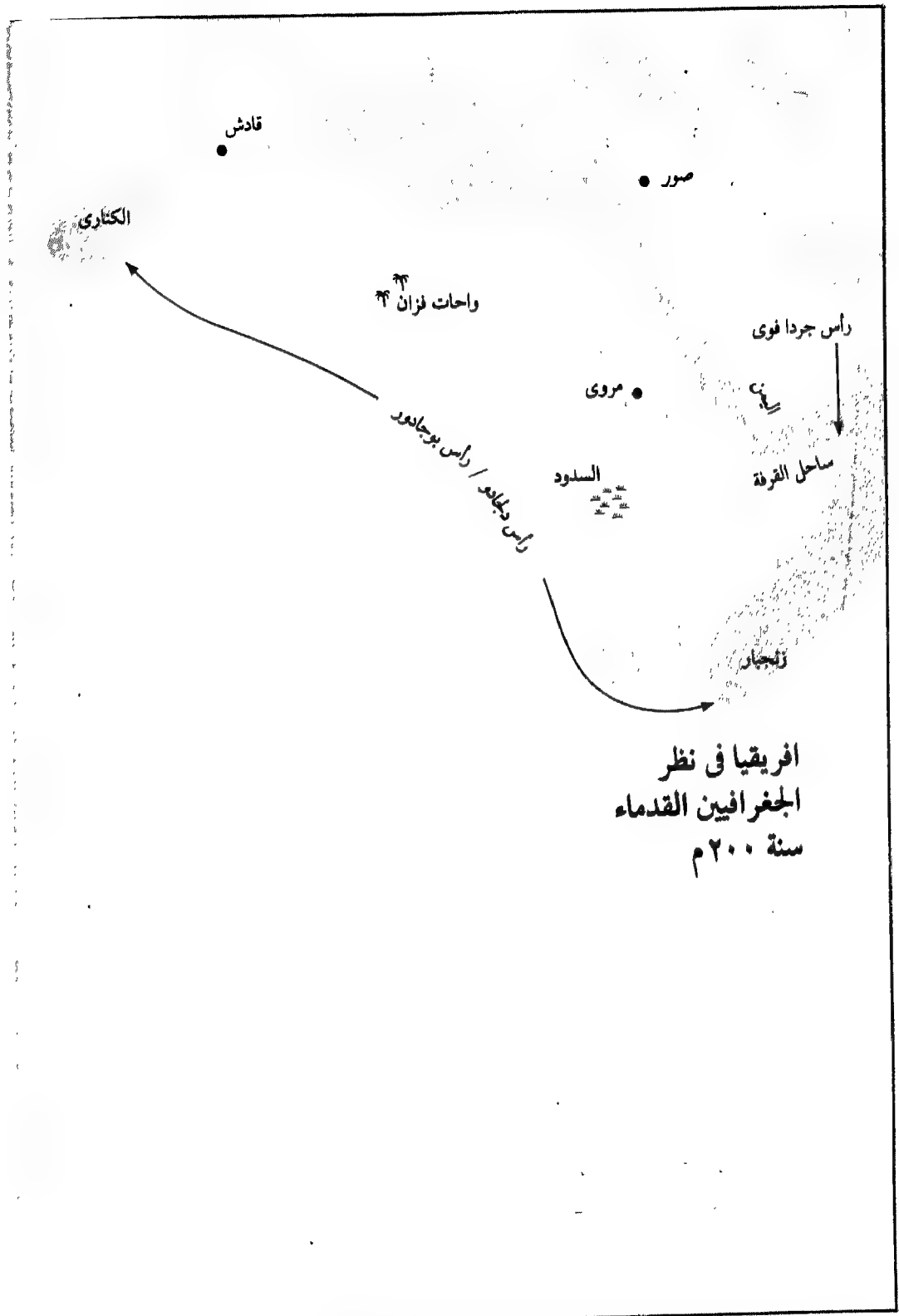
أما معدل تعداد الأقزام والبوشمن فقد ظل منخفضاً لا يتعدى ٢٠٠,٠٠٠ نسمة لكل منها . ويرجع السبب في ذلك إلى أن هذه القبائل ظلت تعيش حياة العصر الحجري الوسيط Mesolithic .

كان عدد سكان العالم كله في العصر الحجري القديم قليلاً للغاية ، إذ لم يكن يتعدى خمسة ملايين نسمة . وكان عدد سكان قارة افريقيا لا يتجاوز مليون نسمة من هذه الملايين الخمسة .

وفي سنة ٥٠٠ ق . م حين دخلت القارة حرفة الزراعة ، بدأ معدل النمو السكاني في الصعود . وذلك بالرغم من أن حرفة الزراعة كانت قاصرة على مصر وحدها لفترة طويلة .

ولهذا السبب فإن معدل النمو السكاني في قارة افريقيا كان يبدو غير متوازن . فقد ارتفع عدد المصريين من نحو ١٠٠,٠٠٠ نسمة في سنة ٥٠٠٠ ق . م إلى نحو مليوني نسمة في سنة ٢٠٠ ق . م . ومعنى ذلك أن عدد السكان قد تضاعف في مصر عشرين مرة خلال تلك الفترة ، بينما لم يتضاعف عدد السكان في بقية انحاء القارة كلها سوى مرة واحدة خلال نفس الفترة . ومعنى ذلك ان مصر وحدها كان يعيش فيها أكثر من نصف عدد السكان الذين يعيشون في كل افريقيا .

وخلال الألف سنة الأولى قبل الميلاد ، وبسبب تعاقب دخول الفينيقيين والرومان إلى مناطق الشمال الافريقي ، دخلت هذه المناطق في عالم البحر المتوسط ، وارتفع بالتالي معدل النمو السكاني في منطقة المغرب إلى حد كبير ، حتى أصبح عدد السكان في تلك المنطقة مساوياً



افريقيا سنة ٢٠٠ م في نظر الجغرافيين القدماء

اجتازت سفن الفينيقيين أعمدة هرقل [مضيق جبل طارق] ، واسسوا مدينة جادش Cadiz باسبانيا . وهذا قد يعنى أيضاً أنهم استطلعوا مسافة مماثلة على سواحل المغرب المطلة على المحيط الأطلنطي .

وبالمثل فإن العرب قد أبحروا في ذلك الوقت إلى الشاطئ الجنوبي لخليج عدن الذي كان في ذلك الوقت امتداداً للصومال . ثم عرفت هذه المنطقة فيما بعد باسم ساحل القرفة .

ولكن إلى أى مدى استطاع بحارة العالم القديم أن يبحروا حول السواحل الأفريقية خلاف هذه المناطق ؟

بالنسبة للسواحل الأفريقية المطلة على المحيط الأطلنطي ، لم يصل بحارة العالم القديم إلى أبعد من مستوى جزر الكناري Canaries أو « الجزر السعيدة » . فقد اكتشفت تلك الجزر لأول مرة سفن الصيادين القادمة من جادش باسبانيا . وذلك في القرن الأول الميلادي . ثم تم اكتشافها نهائياً بمعرفة بعثة أرسلها الملك جوبا Juba ملك موريتانيا .

ولم تكن تلك الجزر مأهولة في ذلك الوقت ، ولم يستعمرها أحد من الشعوب القريبة . ولكن بعد فترة قصيرة تالية ، تسلس إليها شعب من البربر يعرف باسم Guanches ينتمى إلى العصر الحجري قادمًا من القارة الأم .

كل المعلومات التي كانت معروفة عن افريقيا في العالم القديم ، كانت نتيجة للاكتشافات التي قام بها شعبان آسيويان هما الفينيقيون والعرب . ففي حوالى سنة ٢٢٥٠ ق . م كانت سفن الفينيقيين تبحر باستمرار إلى السواحل المصرية وهي عملة بالأخشاب المستجلبية من غابات لبنان . وكان العرب يحضرون إلى مصر وهم عاملين بالبخور واللبن والمر من بلاد اليمن السعيدة [اليمن الحالية] .

وليس هناك سبب يدعونا إلى الاعتقاد بأن الفينيقيين - في ذلك الوقت - كانوا يعرفون أية معلومات عن افريقيا تتجاوز منطقة دلتا النيل . أما العرب فقد توفر لديهم بالطبع قدر من المعلومات عن شواطئ البحر الأحمر . ومن المحتمل ان يكونوا قد رسموا اذهانهم - على الأقل - ملامح خريطة تبين امتداد بعض السواحل الأفريقية .

أما الفينيقيون من أهالى صور ، فقد قاموا باستكشاف سواحل الشمال الأفريقي المطلة على البحر المتوسط . وقد بدأوا هذه المهمة وانتهوا منها - طبقاً لحساباتهم - في غضون القرن الثاني عشر قبل الميلاد . ولا أحد يشك الآن في هذه الحقيقة التي يؤيدها احتكار تجار صور للتجارة مع اسبانيا في القرون التالية ، وإن كان من المعتقد أن تاريخ هذا الانجاز يرجع إلى زمن أقرب ، ربما كان في القرن الثامن قبل الميلاد أكثر منه في القرن الحادى عشر قبل الميلاد . ففي القرن الثامن قبل الميلاد على أقل تقدير ،

وقد ظلت تلك الجزر على مدى قرون طويلة
فيا بعد ، تعتبر أقصى الغرب بالنسبة للعالم
المعروف . وبالتالي أقصى منطقة وصلت إليها
الرحلات البحرية التي قام بها ملاحو العالم
القديم .

أما بالنسبة للسواحل الأفريقية المطلة على
خليج عدن والمحيط الهندي فقد حقق الملاحون
العرب نجاحاً أكبر . حيث استطاعوا الدوران
حول رأس العطور [رأس جاردافوي
Gardafui] وتجاوزوها جنوباً في ابحار استمر
ثلاثة وعشرين يوماً حتى وصلوا إلى نقطة أسموها
« ربطه » Rhapta . وهناك أنشأ العرب مركزاً
تجارياً لجمع واستغلال العاج ، الذي من أجله
كانت هذه الرحلة الطويلة تستحق متاعبها .

وربما تكون هذه النقطة في موقع قريب من
جزيرة زنجبار Zanzibar ، وربما تكون في
الجزيرة نفسها ، التي استمرت منذ ذلك الحين
مركزاً لتجميع وتصدير العاج .

وهناك انباء عن وصول إحدى السفن
العربية إلى رأس براسوم [رأس دلجادو] على
الساحل الأفريقي . وهذه أبعد نقطة ربما يكون
العرب قد وصلوا إليها . وعلى أية حال فإذا
افترضنا أن القدماء قد عرفوا من أفريقيا ما يدخل
في خط يمتد بين رأس بوجادور Bojador على
المحيط الأطلنطي ورأس دلجادو Delgado على
المحيط الهندي ، كما هو مبين بالخريطة ، فقد
يكون في هذا التصور بعض المبالغة في معرفة
القدماء للقارة الأفريقية .

أما بالنسبة لداخل القارة ، فلم يعرف شيء
أبعد من جنوب واحات فزان Fezzan ،
ولا أبعد من مدينة مروى تصعباً في نهر النيل .

وذلك فيما عدا البعثة الاستكشافية التي أرسلها
الإمبراطور نيرون وعين على رأسها اثنين من قادة
المائة Centurions بالجيش الروماني بقصد
استكشاف مناطق النوبة لمعرفة مدى المغام التي
يمكن أن تعود على روما إذا فكرت في غزوها .
وقررت البعثة أنها مناطق فقيرة ولا فائدة فيها .
وقالت ان النيل [الأبيض] ينبع من مستنقعات
شاسعة لا يمكن اختراقها . وهذا صحيح وربما
يكون استناداً إلى ما شاهدته البعثة - وربما
سمعتة - عن منطقة السدود Sudd التي ظلت
عصية على الاستكشاف حتى القرن التاسع عشر
الميلادي .

وفي منتصف القرن الثاني بعد الميلاد ، رسم
« بطليموس الجغرافي » خريطة للعالم القديم
الذي كان معروفاً في أيامه ، واستطاع فيها أن
يتابع مجرى النيل جنوب منطقة السدود . وتبين
الخريطة ان النهر ينبع من سلسلة جبال تقع في
شرق أفريقيا ، وأن فروع النهر التي تخرج من هذه
السلسلة تتجمع كلها في بحيرتين كبيرتين قبل أن
يخرج المجرى الرئيسى للنهر متجهاً نحو
الشمال .

ومن المحتمل ان المعلومات التي استند إليها
بطليموس الجغرافي في تقرير ذلك قد انتقلت إليه
سماعاً عن طريق العرب الذين كانوا يعيشون في
جزيرة زنجبار ، وقد ترجمها هذا العالم رسماً على
خريطة .

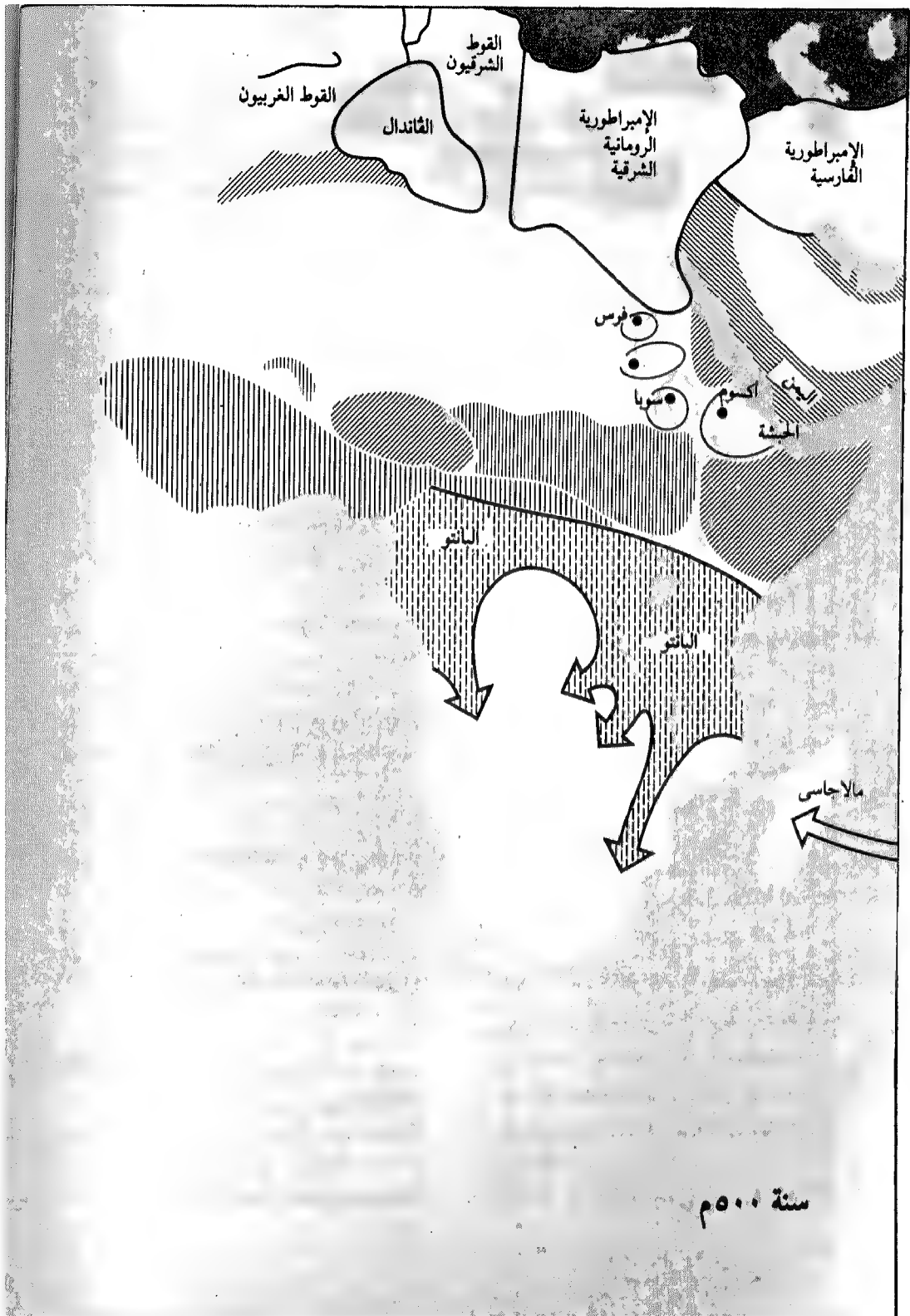
ومع ذلك يبقى سؤال هام دون إجابة
قاطعة : هل استطاع ملاحو العالم القديم
الدوران حول أفريقيا ؟ . بعض العلماء يقولون
بإستحالة ذلك ، وبعضهم يقولون بإمكانية
حدوثه ، وآخرون يقولون بأن ذلك قد حدث

نلاً في عهد فرعون مصر الملك نخاو Necho
٦١٠ - ٥٩٤ ق . م] . وتقول القصة أنه
بسل مجموعة من السفن التي يقودها ملاحون
نيقيون ، أبحرت من البحر الأحمر ، واتجهت

جنوباً حتى ظهرت مرة أخرى بعد إبحار لمدة
ثلاث سنوات في منطقة اعمدة هرقل [مضيق
جبل طارق] . ولكن هذه الحكاية ليست أكثر
من قصة خيالية غير قابلة للتصديق . (١)

(١) وردت أخبار هذه الرحلة الاستكشافية المصرية في
كتابات العديد من المؤرخين القدماء - ومنهم
هيرودوت - حيث ذكروا أن الملك نخاو الأول
[٦٠٩ - ٥٩٤ ق م] ، ثاني فراعنة الأسرة السادسة
والعشرين قد أرسل بعثة عن طريق البحر الأحمر
طافت حول افريقيا وعادت إلى مصر عن طريق
مضيق جبل طارق . ويفهم من ذلك أن القدماء قد
توصلوا إلى معرفة أن افريقيا عبارة عن جزيرة كبيرة

تحيط بها البحار من كل جانب . وهذه المعلومة في حد
ذاتها تؤكد حدوث الرحلة البحرية حول افريقيا
ولا تنفيها . . بل وهناك أبحاث تاريخية قام بها بعض
المؤرخين المحدثين الأجانب ، تشير إلى أن قدماء
المصريين قد قاموا برحلات بحرية إلى إيرلندا
 وأمريكا الجنوبية .
[المترجم]



أما بالنسبة لمناطق شمال افريقيا التي كانت تابعة للامبراطورية الرومانية ، فقد انفصلت عن الامبراطورية في مطلع القرن الثالث الميلادي ، أى قبل انقضااض القبائل الجرمانية على الامبراطورية . وربما كان ذلك نتيجة لتغير الأحوال في تلك المناطق ، حيث تغيرت الحرفة الأساسية للسكان في أوائل القرن الثالث الميلادي من حرفة الزراعة إلى حرفة الرعى .

وبينما كانت شمس الامبراطورية الرومانية تؤذن بالمغيب ، خرجت الحبشة إلى حيز الضوء . فقد قام ملوك اكسوم بتوسيع حدود دولتهم ومدها إلى مناطق جديدة اخضعوها لسيطرتهم ، كما مارسوا نوعاً من السيادة والسيطرة على عرب اليمن . وعندما استفزهم النوبيون ، انقض ملوك اكسوم على مملكة مروى وضربوها ضربة شديدة انقسمت على أثرها تلك المملكة إلى ثلاث ولايات صغيرة كما هو موضح بالخريطة .

كذلك فقد اعتنق ملوك اكسوم الديانة المسيحية ، وكانوا بذلك أول اسرة مالكة مسيحية تستقل وتخرج عن ولاية الرئاسة المسيحية بروما .

أما أهم الأحداث التي وقعت في تاريخ هذه الخريطة في مناطق جنوب القارة ، فتتمثل في استمرار قبائل البانتو في الزحف إلى المناطق الجنوبية . كما تتمثل في استعمار جزيرة مدغشقر Madagascar . فقد وفدت إلى تلك الجزيرة بعض السفن التي كانت تحمل جماعات من الشعوب الاندونيسية المتكلمة بلغة المالاغاسي واستقرت بالجزيرة .

في القرن الثالث الميلادي تعرضت الامبراطورية الرومانية إلى محنة رهيبه ، فقد انقضت عليها مجموعات من قبائل البرابرة Barbarian التي اجتازت الحدود قادمة من قارق أوروبا وآسيا .

ولم تمض سوى سنوات قليلة على هذا الانقضااض حتى بدت الامبراطورية الرومانية على وشك الانهيار . ولكنها اجتازت المحنة في النهاية بعد أن حدثت فيها عدة تغيرات جوهرية ، فقد تقلصت الحدود قليلاً ، واعتنقت الامبراطورية المسيحية كدين رسمي للدولة . ثم انقسمت الامبراطورية إلى امبراطوريتين : الامبراطورية الرومانية الغربية والامبراطورية الرومانية الشرقية . وهكذا أصبحت أوروبا أصغر وأفقر مما كانت عليه .

وفي مطلع القرن الخامس الميلادي ، حدث الانقضااض الثاني من قبائل البرابرة . وفي هذه المرة خرجت الامبراطورية الرومانية الشرقية سليمة من تلك المحنة الجديدة . أما الامبراطورية الرومانية الغربية فقد انهارت تماماً ، ووقعت العاصمة روما تحت سيطرة القوطيين Goths سنة ٤١٠ م . ثم أصبحت تحت سيطرة القانдал Vandals سنة ٤٥٥ م . أما معظم الأقاليم الغربية التي كانت تابعة لتلك الامبراطورية ، فقد انقسمت إلى ممالك جلس على عروشها ملوك من القوط والقانдал وغيرهما من القبائل الجرمانية الأخرى .

كذلك فقد أصبحت بعض الأقاليم الغربية الأخرى تحت حكم الرؤساء المحليين ، مثل بريطانيا وموريتانيا .

ومن المؤكد أن هذه الجماعات الوافدة قد انقطعت صلاتها بموطنها الأصلي [ربما جزيرة سومطره] فلم تصلها أية امدادات أو تعزيزات من هذا الموطن ، ولم تفد إليها جماعات اخرى من نفس الموطن سواء بالاتفاق والتدبير أو عن طريق المصادفة . وقد انتشر هذا النوع من الرحلات البحرية

الجماعية العشوائية التي كانت تستهدف الاستيطان في أى مكان يصادفها دون خطط مسبقة . وهذه الطريقة العشوائية انتشرت الشعوب التي كانت تسكن جزر البولينييز Polynesia [وهي مجموعة من جزر المحيط الهادى تتضمن نيوزيلاندا ، وهاواى ، وساموا] في كل مناطق وجزر المحيط الهادى .



قرص مقعد مصوغ من النحاس مزخرف برموز لها دلالات سحرية .
من روائع فن بنين المروضة بمتحف الثقافات الشعبية ببرلين



أثارت دهشة العرب حتى سمو العام الذى ظهر فيه هذا الفيل بمنطقتهم « عام الفيل » وهو العام الذى ولد فيه النبی محمد ﷺ .

وقد تعرض النبی محمد مثل كل الأنبياء الآخرين إلى الاضطهاد والكران من جانب قومه في مكة ، فهاجر إلى المدينة في عام ٦٢٢ م . وبدأ هناك عهداً جديداً انتشر فيه دين الإسلام في معظم انحاء شبه الجزيرة . وعندما مات عليه الصلاة والسلام بعد الهجرة بنحو عشر سنوات ، كانت كل الجزيرة العربية تدين بالإسلام ، وموحدة تحت قيادة واحدة .

وتولى الخلفاء الراشدون بعده مواصلة الدعوة إلى الدين الجديد وقرار النظام الإسلامى الذى وضع الرسول أسسه ، وتقوية الجيوش التى بدأ الرسول تكوينها لحماية الدين الجديد ونشره . هذه الجيوش التى أدهشت انتصاراتها العالم القديم ، وذلك عندما سحقته الامبراطورية الفارسية ، وقوضت أركان الامبراطورية الرومانية الشرقية .

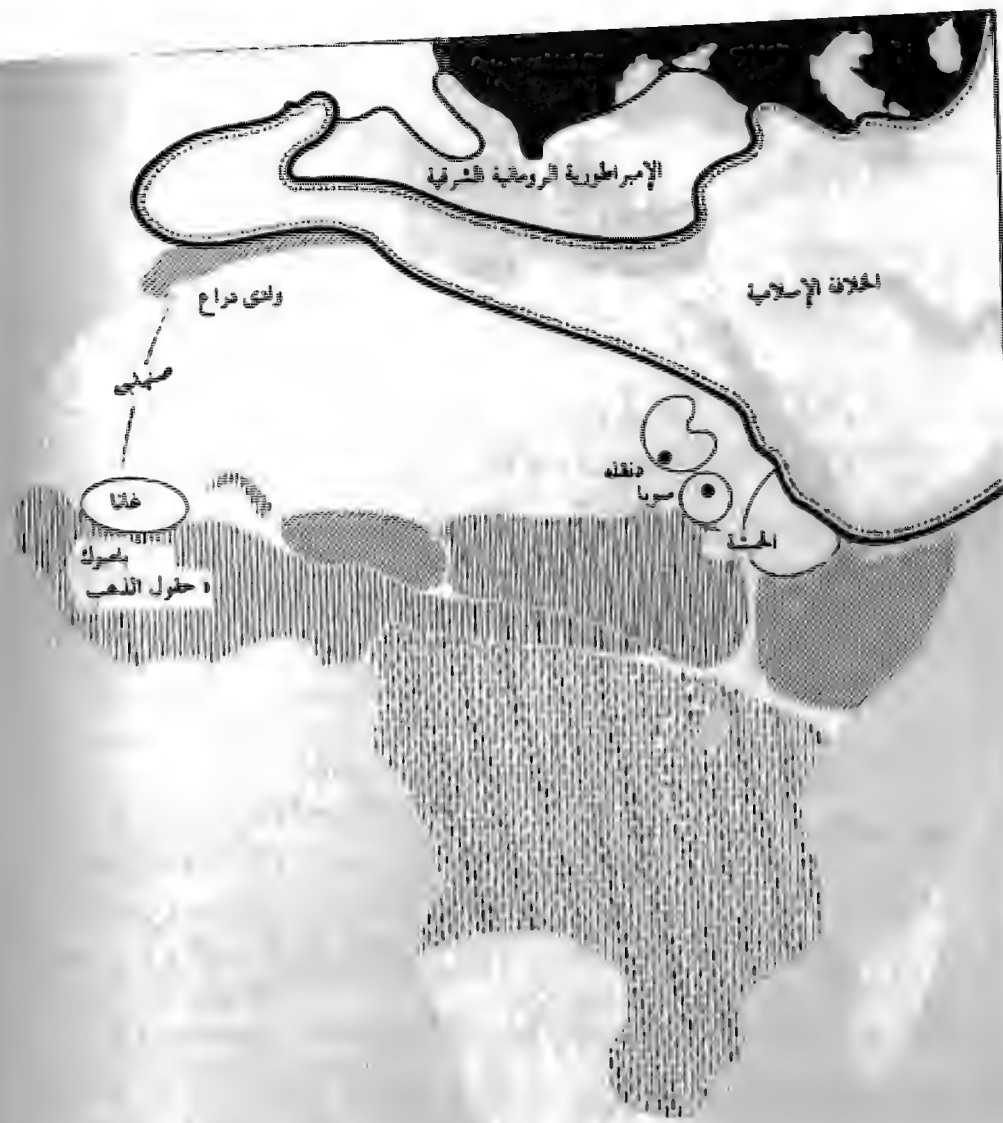
وقد دخلت هذه الجيوش الإسلامية إلى افريقيا . وفتحت مصر [٦٤٠ - ٦٤٢ م] . وفتحت سيريناىكا وتريبوليتانيا « برقه وطرابلس » [٦٤٢ - ٦٤٧ م] . وفى اواخر عام ٦٥٠ م ، أصبح الإسلام بالفعل ، واحداً من أهم الديانات السماوية التى دانت بها البشرية .

كان القرن السادس قرناً طيباً بالنسبة للامبراطورية الرومانية الشرقية ، فقد استطاع الامبراطور چوستينيان أن يهزم القانداال والقوط الشرقيين ، وأعاد تونس وإيطاليا مرة أخرى لسيطرة الامبراطورية الرومانية . كما استعاد نفوذ الامبراطورية على معظم المناطق المطلّة على البحر المتوسط .

أما البعثات التبشيرية التى أوفدها الرومان إلى المناطق الأخرى ، فلم تصادف الكثير من النجاح فيها عدا اعتناق بعض الامارات النوبية الصغيرة للديانة المسيحية . وكان المسيحيون الذين يعيشون خارج نطاق الامبراطورية الرومانية ، يعدون انفسهم محظوظين ، إذا لم يتعرضوا لكثير من المذابح والاضطهادات بسبب تمسكهم بهذا الدين .

وقد تعرض مسيحيو شبه الجزيرة العربية إلى الاضطهاد ، الأمر الذى دعاهم إلى طلب النجدة من نجاشى الحبشة التى كانت مملكته أقرب مملكة مسيحية لشبه الجزيرة . فقام الاحباش بتوجيه عدة حملات تأديبية لم تتجاوز منطقة اليمن .

ولكن فى سنة ٥٧٠ م أرسلت الحبشة جيشاً لمحاربة الوثنيين بمكة فى منطقة الحجاز ، وقد اصطحب هذا الجيش معه فيلاً لم ير مثله فى تلك المنطقة من قبل . وبالرغم من أن هذا الجيش قد هلك عن آخره بعد أن وصل إلى مشارف مكة ، إلا أن حادثة ظهور الفيل فى تلك المنطقة قد



سنة ٧٥٠م

بدأت محاولات العرب فتح بلاد المغرب فيما بين عامي ٦٧٠/٦٨٣ م . ولكن لم تسفر هذه المحاولات عن فتح نهائي لتلك البلاد إلا بعد المحاولة الثانية التي تمت في عام ٦٩٤ م ، حيث نجح العرب في طرد البيزنطيين [الرومان الشرقيين] من جميع المدن الساحلية بشمال افريقيا ، كما خضعت لهم قبائل البربر التي كانت تسكن المناطق الداخلية واحدة بعد أخرى . وما أن حل عام ٧٠٥ م حتى أصبحت جميع المناطق المغربية بشمال افريقيا جزءاً من العالم الإسلامي .

ومن المغرب الأقصى بدأ الفاتحون العرب في الاتجاه شمالاً إلى اسبانيا ، وجنوباً إلى بلاد بربر صنهاجه . وقد استسلمت مملكة اسبانيا على الفور في عام ٧١١ م . أما قبائل صنهاجه فقد خضعت للعرب تدريجياً وبعد معارك وحملات ضارية .

ولم يكن فتح المناطق الجنوبية التي كانت تعيش فيها قبائل صنهاجه يقل في الأهمية بالنسبة للإسلام ، عن فتح المناطق الشمالية في اسبانيا . وكانت صنهاجه قد عرفت خبايا المسالك بالصحراء الغربية ، واكتشفت الطريق الموصل إلى « بلاد السودان » وهو الاسم الذي كان يطلق أيامئذ على المناطق التي يعيش فيها السود .

وكانت صنهاجه تبدأ رحلة اختراق الصحراء انطلاقاً من وادي دراع حتى تصل إلى مناجم الملح الصخرى التي اكتشفتها خلال تجولاتها بربوع الصحراء . ومن تلك المناجم كانت تشحن ظهور جمالها بكتل الملح الصخرى ، وتواصل

طريقها بعدئذ تجاه الجنوب حتى تصل إلى ضفاف نهر السنغال . وهناك كانت تقايض الملح بالذهب مع الأهالي المحليين على أساس أن كل وزنة من الملح تقابلها وزنة مماثلة من الذهب . وهي صفقات كانت متكافئة للطرفين ، مقابل العناء الشديد الذي كان يواجهه تجار الملح الصخرى أثناء نقله عبر الطرق الوعرة بالصحراء ، والحاجة الشديدة للأهالي لهذا الملح الذي كان يعتبر سلعة حيوية تساعدهم على البقاء .

وقد تمكنت صنهاجه من اختراق الصحراء والوصول إلى نهر السنغال بفضل المهارة التي اكتسبتها في قيادة قوافل الجمال . ولم تكن الجمال في الأصل افريقية الموطن ، وإنما كان موطنها الأصل في قارة آسيا ، وأدخلها الفرس إلى افريقيا عند قيامهم بغزو مصر في القرن السادس قبل الميلاد ، ثم وصلت إلى مناطق المغرب لأول مرة في عهد يوليوس قيصر في القرن الأول قبل الميلاد . ومع ذلك لم تصبح شائعة الاستعمال والاستخدام إلا في العصر الروماني المتأخر في القرن الرابع الميلادي .

ويبدو انه كانت هناك صعوبات اكتنفت عملية تأقلم الجمال في البيئة الصحراوية الافريقية ، لأن عملية تربية الجمال وتكوين قطعانها على نطاق واسع قد سارت ببطء غير معتاد . واستغرقت فترة طويلة من الزمن . ومن الواضح ان قبائل صنهاجه كانت أول من نجح في استغلال الجمال واستخدامها كسفن تجتاز فيافي الصحراء الافريقية .

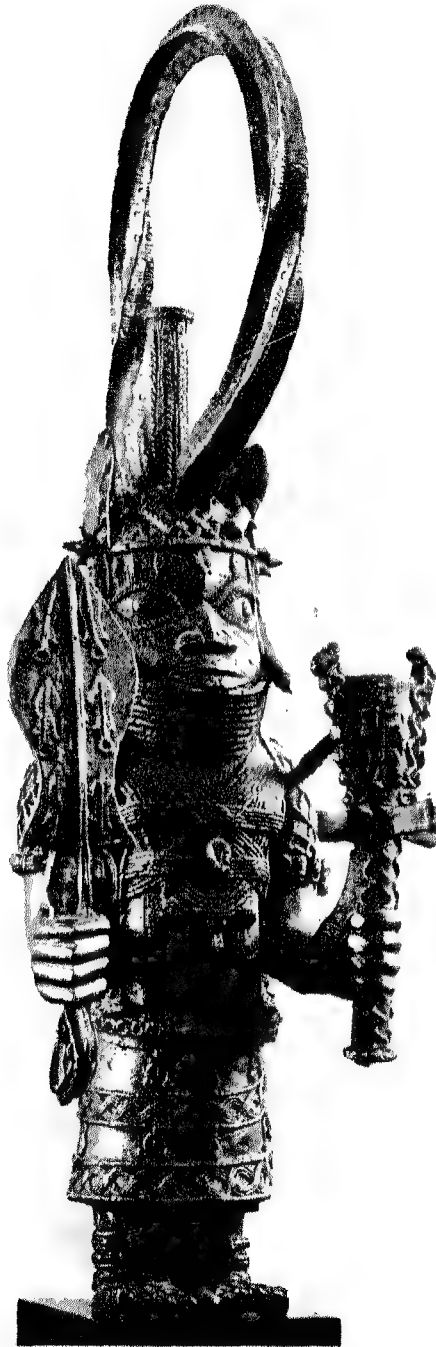
وعن طريق هؤلاء التجار البربر الذين كانوا

يزورون منطقة الساحل العشى جنوب الصحراء ، عرفت لأول مرة أخبار الدولة الزنجية التى أمستها قبائل السونينكى Soninke وهى « مملكة غانا » . وكانت هذه المملكة تقع شمال منطقة حقول الذهب فى بامبوك Bambuk التى تقع جنوب نهر السنغال الأعلى . وقد احتكرت مملكة غانا عمليات بيع الذهب للبربر والعرب الذين أطلقوا على مملكة غانا اسم « أرض الذهب » .

أما بالنسبة إلى أهم الأحداث التى وقعت فى مناطق شرق افريقيا المطلة على سواحل البحر الأحمر فى تلك الفترة ، فتنمثل فى تلك الاستفزازات التى تتسم بالغباء ، والتى قام بها

الاحباش ضد العرب ، حيث قاموا بأعمال سلب ونهب وقرصنة بلغت قممتها بالهجوم على جدة - التى تعتبر ميناء مكة - ونهبها فى سنة ٧٠٢ م . وقد أدى هذا الهجوم إلى انتقام العرب باحتلال سواحل اريتريا وطردهوا الاحباش إلى موطنهم الأصل فى المرتفعات الداخلية .

وبهذا انقطعت صلة الدولتين المسيحيتين فى تلك المنطقة ، وهما دولتا الاحباش والنوبيين ، عن مسيحى أوروبا وآسيا الصغرى . وعندما قامت إمارة دنقلة بابتلاع إمارة فرس المسيحية فى أوائل القرن الثامن الميلادى ، انخفض عدد الممالك المسيحية فى افريقيا من أربع إلى ثلاث فقط .



تمثال يرجع تاريخه إلى القرن الثامن عشر
يمثل أحد ملوك بنين القدماء أثناء أداء
بعض الطقوس . .



الغرب المسيحي

سنة ٩٠٠ م

الأساطير أو الحكايات الشعبية المتوارثة ، هو إضفاء المظهر الإسلامى على تلك الممالك ، وإضفاء المزيد من الاحترام والتبجيل لهذه الأسر المالكة . فمما لاشك فيه أن الشعوب والقبائل التى كانت تتألف منها هذه الممالك ، وكذلك الملوك الذين جلسوا على عروشها بعد الملوك المؤسسين ، كانوا جميعاً من الجنس الأسود ، أو بالأحرى من الزنوج .

وفى كل من مملكتى غانا ومالى كان الشعب يتألف من مجموعة قبائل الماندى Mande الزنجية ، التى انقسمت إلى مجموعتين : الأولى قبائل السونينكى Soninke التى تألف منها شعب غانا . والثانية قبائل المالينكى Malinke] أو قبائل الماندينجو Mandingo [التى تألف منها شعب مالى .

أما مملكة كانم فقد كانت تتألف من قبائل الكانورى Kanuri ، وهى من الشعوب النيلية الصحراوية ، مثلها فى ذلك مثل قبائل السونغاي .

وفى تاريخ هذه الخريطة كانت الدولة الإسلامية لا تدار من شبه الجزيرة العربية [عصر الخلافة العباسية فى بغداد] . وبالرغم من أن معظم العالم الإسلامى كان يعترف بالسيادة الروحية لخلفاء بغداد ، إلا أن حكام الولايات التى كانت من قبل جزءاً من الامبراطورية الإسلامية الموحدة ، أصبحوا يستقلون بممالكهم ويورثون الحكم لأبنائهم .

وفى منطقة شمال افريقيا ، كانت هناك أسرتان حاکمتان من هذا النوع هما : الأغالبة فى

لم تحتكر قبائل صنهاجه عملية اختراق الصحراء لفترة طويلة ، فبعد نحو خمسين سنة من أول اتصال بين المغرب ومناطق غرب السودان ، ظهر طريقان آخران يخترقان الصحراء من الشمال إلى الجنوب بصفة منتظمة . الطريق الأول يبدأ من غرب الجزائر وينتهى إلى النيجر الأوسط . والطريق الثانى يبدأ من طرابلس وينتهى إلى بحيرة تشاد .

وكل من هذين الطريقين كان يخترق الصحراء خلال مناطق وأقاليم خاضعة لقبائل الطوارق التى تعتبر فى الأصل فرعاً من فروع قبائل صنهاجه ، ثم استعمرت مناطق وسط الصحراء الكبرى .

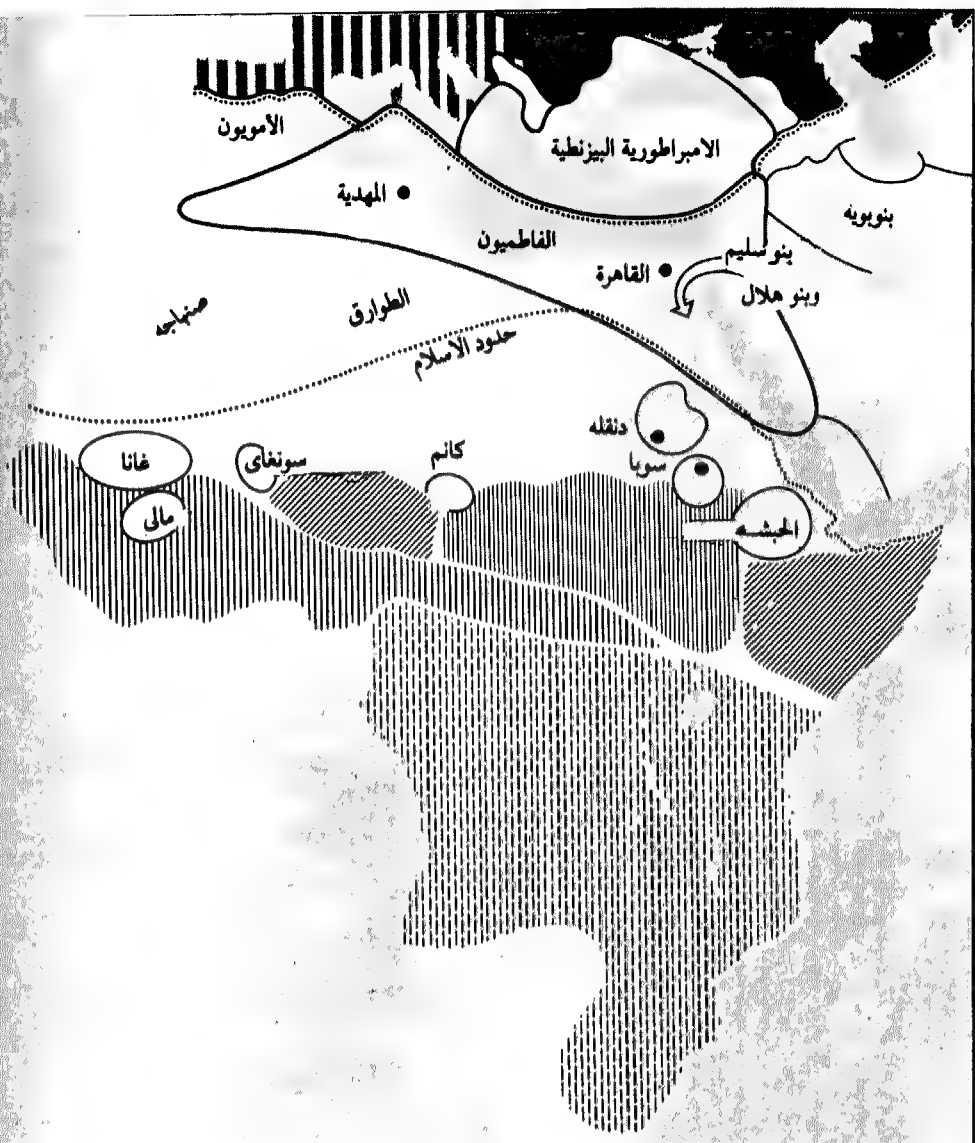
وعن طريق الاتصالات التى تمت عبر هذين الطريقين ، عرف العالم لأول مرة أخبار الشعوب والممالك السودانية التى ظهرت فى التخوم الجنوبية للصحراء الكبرى : مثل مملكة كانم Kanem التى كانت تقع على الجانب الشرقى من بحيرة تشاد ، ومملكة السونغاي Songhay التى كانت تقع بالنيجر الأوسط ، ومملكة مالى Mali التى كانت تقع بغرب القارة جنوب مملكة غانا [القديمة] .

ومعظم المدونات التاريخية ، أو الأساطير والحكايات الشعبية المتوارثة التى نقلت أخبار تلك الممالك ، كانت تؤكد أن الأسر المالكة التى قامت بتأسيس تلك الممالك ، كانت من الجنس الأبيض ، الأمر الذى يعنى انها كانت تنتمى إلى البربر أو إلى العرب . وقد يكون الأمر كذلك ، ولكن الأرجح أن هذا الرأى ليس صحيحاً على إطلاقه . وربما كان القصد من وراء ظهور تلك

تونس ، والطولونيون في مصر .
مراكش والأمويون في اسبانيا . وهؤلاء وأولئك
وفي مناطق المغرب الإسلامي كانت هناك
أسرتان حاکمتان أخريان هما : الأدارسة في
كانوا لا يعترفون بأية سلطة سياسية أو روحية
لخلفاء بغداد بأى شكل كان .



قناع من العاج يمثل رأس ملكة افريقية ، مزين من أعلى بمجموعة من رؤوس البرتغاليين الأوائل الذين وصلوا إلى افريقيا .
من معروضات المتحف البريطاني بلندن .



الغرب المسيحي

سنة ٩٧٥ م .

ومن القاهرة سيطر الفاطميون على فلسطين والشام والجزء القريبة من شبه الجزيرة العربية .

وترك الفاطميون طرابلس وتونس والجزائر تحت حكم أسرة حاكمة شبه مستقلة تعرف باسم «الزيريين» الذين كانوا فرعاً من قبائل صنهاجه ، ساندوا الفاطميين في أوقاتهم الحرجة . وقد قام الزيريون بالاستيلاء على مراكش . وبهذا اكملوا السيطرة الفاطمية على كل مناطق شمال إفريقيا .

ومن الأعياب السياسة ، ما ادعاه الفاطميون فور استقرارهم في القاهرة ، من أنهم قاموا باستدعاء قبيلتين كاملتين من شبه الجزيرة العربية هما : قبيلة بنى سليم وقبيلة بنى هلال ، وتمكينهما من الاستيطان بصعيد مصر انتقاماً من بعض القبائل العربية الأخرى التي كانت تعيش بالصعيد وتعارض حكم الفاطميين .

وفي حقيقة الأمر يبدو هذا الادعاء خالياً من الصحة ، إذ تدل الشواهد على حدوث ارتفاع في المعدل السكاني لقبائل البدو التي كانت تعيش في شبه الجزيرة العربية ، الأمر الذي دفع بعض القبائل إلى الشروع في الهجرة غرباً نحو مصر والمغرب . وقد تدفقت هجرات هاتين القبيلتين واستوطنتا صعيد مصر ، بطريقة تؤكد عدم تدخل الفاطميين في ذلك ، بل وتؤكد أن الفاطميين كانوا لا يستطيعون إيقاف تدفق هذه الهجرات إذا كانوا يرغبون في ذلك .

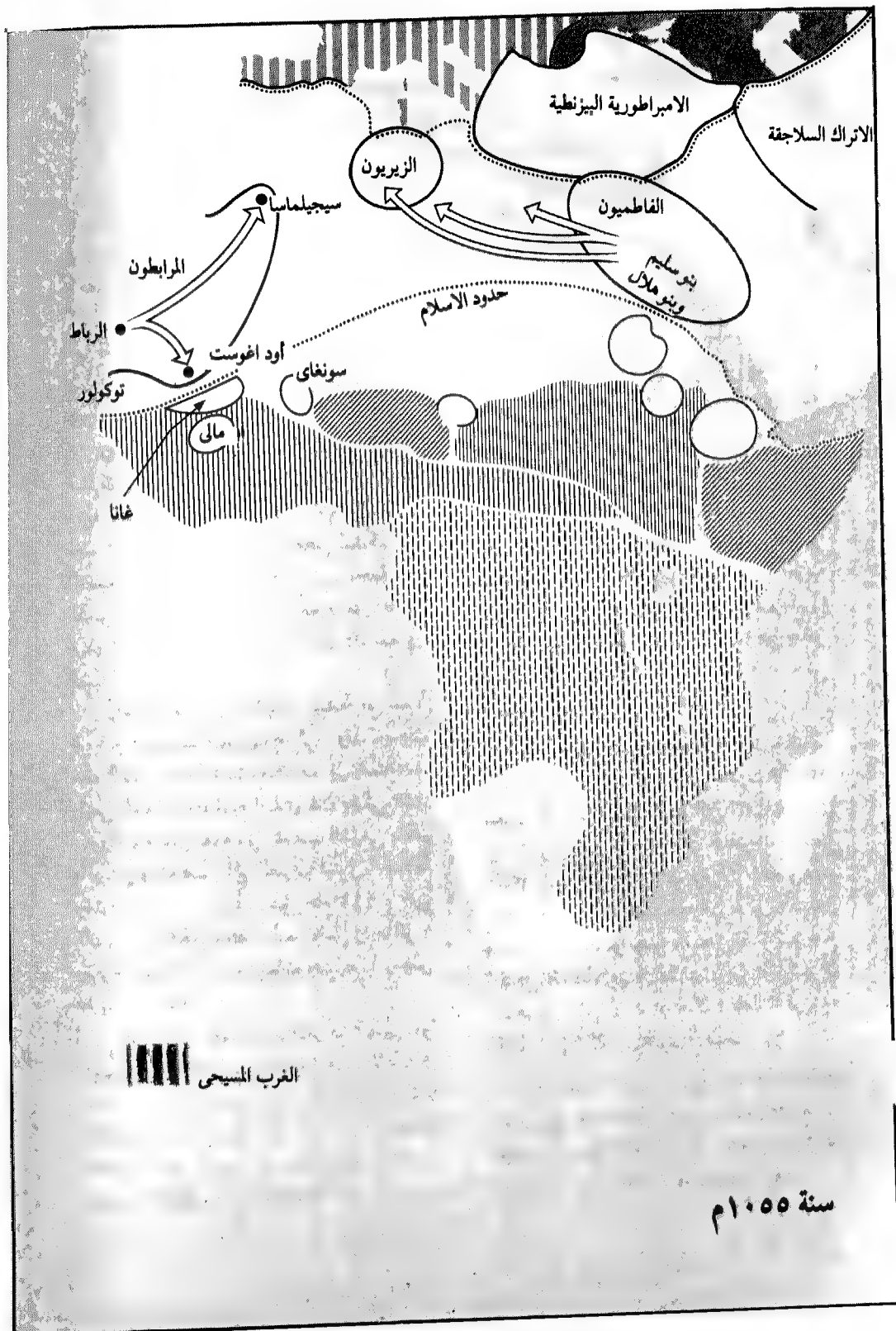
وبصرف النظر عن السبب في مجيء بنى سليم وبنى هلال إلى مصر ، فقد أصبح من الواضح في تلك الفترة ، أن العنصر العربي قد تغلغل تماماً في مناطق شمال شرق إفريقيا .

حتى في أزهى أيام الخلافة العباسية في بغداد ، كان هناك بعض المسلمين لا يعترفون بخلفاء بغداد ، بل ولا يعتبرون هؤلاء الخلفاء أكثر من مفتصبين للسلطة من أصحاب الخلافة الأصليين . وكان هؤلاء المسلمون يرون أن الخلافة الشرعية لا بد أن تؤول إلى سلالة فاطمة الزهراء بنت النبی ﷺ .

ومنذ مطلع القرن العاشر الميلادي ، انتشرت في معظم أنحاء العالم الاسلامي جمعيات سرية للدعوة لهذا المذهب ونشره بين الناس ، معتمدة في ذلك على وجود بعض المشكلات المحلية التي ساهمت بالفعل في تدعيم وجهة نظر الدعوة الجديدة . وقد أطلق المسلمون من أعضاء هذه الجمعيات على أنفسهم اسم «المسلمين الشيعة» .

وقد نشبت ثورة الشيعة ابتداءً من سنة ٩٠٢ م ، في منطقة شرق الجزائر . وقد نجحت هذه الثورة لدرجة دعت قائدها إلى استدعاء رئيس السلالة الفاطمية الذي كان يعيش آنشد بسوريا ، والذي يعرف في المذهب الشيعي باسم «المهدي» للحضور إلى المغرب ليتولى الخلافة وشئون الحكم . وما أن حل عام ٩١٢ م حتى كان المهدي يحكم منطقة تضم تونس والجزائر ، ومن عاصمة جديدة انشئت خصيصاً واطلق عليها اسم «المهدية» .

وقد حقق الخلفاء الفاطميون الذين تلوا المهدي منجزات كبيرة أهمها على الإطلاق استيلائهم على مصر سنة ٩٦٩ م . وانشأ الفاطميون في مصر عاصمة ثانية لهم هي مدينة القاهرة . وهي المدينة التي انتقلوا إليها واتخذوها عاصمة لخلافاتهم بصفة مستمرة .



الاسم الذى عرفت به عند المؤرخين الغربيين . ويدعو هذا المذهب إلى فرض التعاليم الدينية الأصيلة ولو بالقوة العسكرية . وكانت طائفة المرابطين «ترابط» فى مكان سرى عرف باسم «الرباط» . ومن المحتمل أن يكون هذا المكان فى إحدى جزر تيدرا Tidra المواجهة للساحل الموريتانى .

وقد نجحت دعوة المرابطين إلى هذا المذهب الجديد فى منطقة غرب افريقيا . وفى مطلع عقد الخمسينات بعد الألف الميلادية الأولى كانت معظم قبائل صنهاجه قد اعتنقت هذا المذهب وأصبحت من أشد دعائه .

وازداد المرابطون قوة عندما نجحوا فى السيطرة على المدينتين اللتين تقعان فى بداية ونهاية الطريق التجارى الغربى الذى يخترق غرب الصحراء . وهما مدينة «سيچيلماسا» فى الشمال ، ومدينة «أوداجوست» فى الجنوب .

كذلك فقد نجح المرابطون فى عقد تحالف مع قبيلة توكولور Tokolor الزنجية التى كانت تستوطن مناطق النيجر الأوسط ، والتى كانت قد اعتنقت الاسلام منذ جيل سابق ، فاعتبرت بذلك أول قبيلة زنجية اعتنقت الدين الاسلامى .

بعد نحو خمس وسبعين سنة من انتقال الفاطميين إلى القاهرة ، تقلصت امبراطوريتهم فى شمال افريقيا وانحسرت حدودها حتى أصبحت قاصرة على مصر وحدها .

فى سنة ٩٨٠ م افلقت مراكش ، وفى سنة ١٠١٤ م انفصلت الإمارات الزيرية بشرق الجزائر ، وفى سنة ١٠٤٩ م انفصلت تونس وطرابلس .

وقد انتقم الفاطميون من تخلى الزيريين عنهم بأن شجعوا بنى سليم وبنى هلال بالهجوم عليهم . وكانت هاتان القبيلتان البدويتان فى طريقهما بالفعل لمغادرة مصر نحو الغرب فرجبتا بهذا التشجيع .

وخلال بضع سنوات قليلة ، احتلت قبيلة بنى سليم برقة وطرابلس ، بينما تمكنت قبيلة بنى هلال من هزيمة الجيش الرئيسى للزيريين وتغلغلت إلى داخل تونس .

أما قبائل الرعاة التى كانت تستوطن مناطق غرب الصحراء [بربر صنهاجه] فقد دخلت بدورها إلى معمعة التحدى ولكن بطريقة أخرى ، فقد انتهجت مذهب التمسك الشديد بالتعاليم الدينية السلفية ، وهو المذهب الذى دعت إليه طائفة جديدة أطلقت على نفسها اسم «المرابطين» أو «الموراڤيد» Almoravids وهو

سنة ١١٠٠

السويس ، فاحتلت العراق والقوقاز وسوريا وفلسطين والحجاز .

كذلك فقد كسرت تلك القبائل جمود الهدنة المتريصة بين المسلمين والبيزنطيين ، والتي ظلت قائمة بين الفريقين على مدى ٤٠٠ سنة . وذلك عندما قامت بسحق جيش البيزنطيين في موقعة مانزيكرت Manzikert سنة ١٠٧١ م . الأمر الذي دعا البيزنطيين إلى الانتقام ، فقاموا بتجهيز «الحملة الصليبية الأولى» التي حققت بعض النجاح في سوريا وفلسطين ، ولكنها لم تحقق أى نجاح في هضبة الأناضول ، حيث أن الأتراك كانوا قد احتلوا تركيا ليقبوا بها .

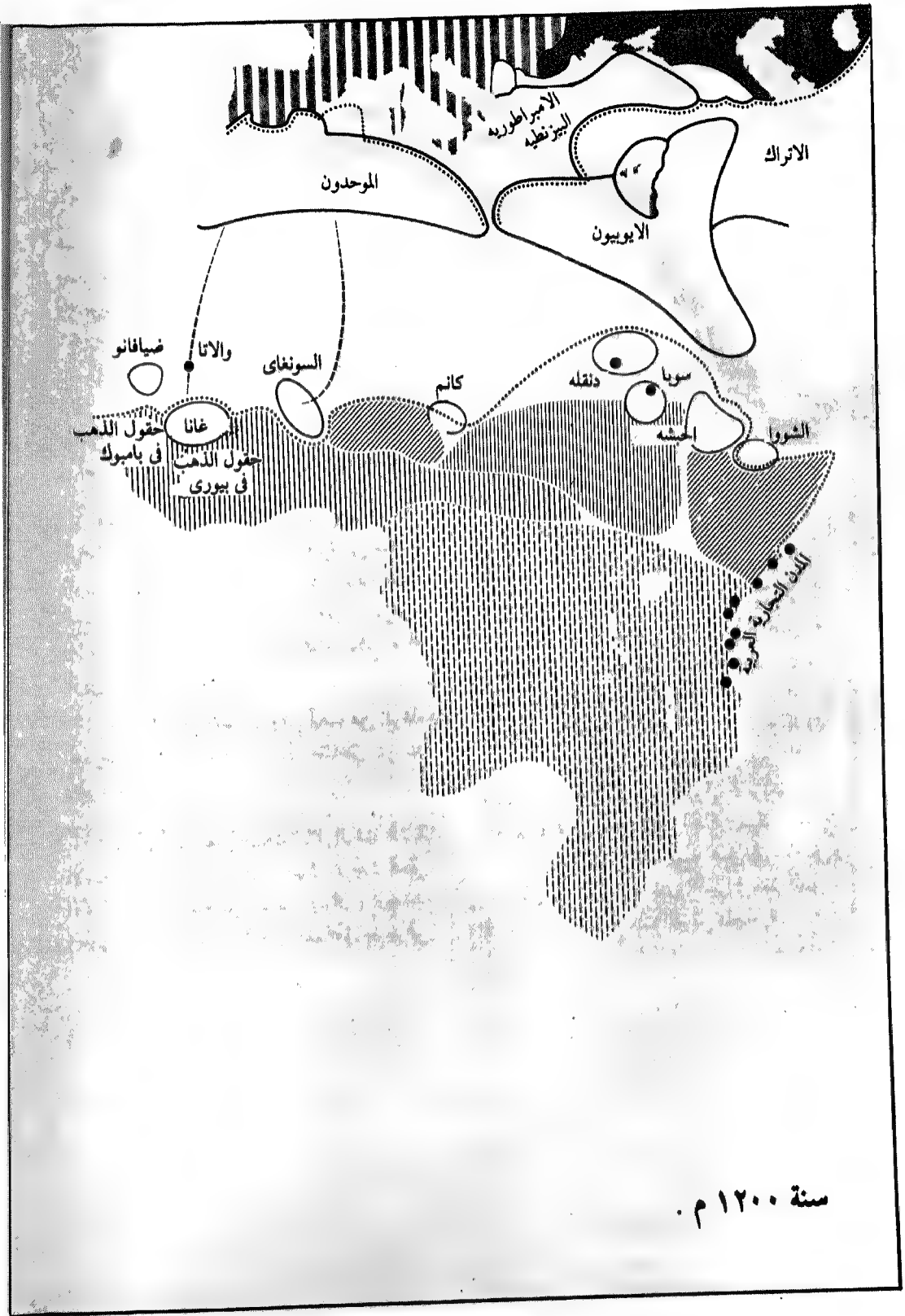
وفي خلال القرن العاشر الميلادى انشأ التجار العرب مجموعة من المراكز التجارية والمستوطنات على سواحل شرق افريقيا . ومن المحتمل أنهم قد انشأوا تلك المراكز والمستوطنات على الجزر المتاخمة للساحل الافريقى . ولذلك فقد كان تأثير العرب على الأهالى المحليين الذين يعيشون في مناطق الساحل الشرقى لافريقيا قليلا وعديم الأهمية . وذلك فيما عدا المركز الذى انشأوه في مدينة مقديشيو على الساحل الصومالى ، والذي لعب دورا كبيرا في نشر الدين الاسلامى بين مجموعات القبائل المجاورة .

منذ سنة ١٠٥٠ م وحتى نهاية القرن الحادى عشر ، قامت قبائل الرعاة بنشر الدعوة الاسلامية وتدعيم دولة المرابطين في مناطق غرب افريقيا وجنوب اسبانيا . ففي الفترة بين عامى ١٠٥٦ - ١٠٨٢ م استولى المرابطون على المغرب وغرب الجزائر . وفي الفترة بين عامى ١٠٧٦ - ١٠٨٣ م ، استولوا على مملكتى غانا والسونغاي ، كما ضم المرابطون المناطق المسلمة في اسبانيا إلى دولتهم قبل حلول عام ١١٠٠ م .

وقبل حلول هذا العام أيضا ، نجحت قبائل الرعاة العرب [الهلالية] في السيطرة على مناطق شرق الجزائر وتونس . وذلك فيما عدا المدن الساحلية القليلة وعلى الأخص مدينة بوجى ومدينة المهديّة اللتين كانتا آنئذ تحت حكم امراء الزيريين .

أما قبائل بنى سليم ، وهم أيضا من الرعاة العرب ، فقد سيطرت على مناطق برقه وطرابلس .

غير أن أهم انجاز صنعته قبائل الرعاة لخدمة الاسلام ، كان في الشرق . حيث خرجت قبائل الاتراك السلاجقة من مناطق إيران ، وبدأت زحفها الكبير محتاحة كل المناطق بشرقى



سنة ١٢٠٠ م

بحقول الذهب التقليدية بمنطقة بامبوك . وكان من نتيجة ذلك أن انتقل النشاط الاقتصادي من نهر السنغال إلى نهر النيجر . كما فقدت مدينة أوداجوست أهميتها بعد أن هجرها القوافل التي كانت تخرق غرب الصحراء من الشمال إلى الجنوب ، وأصبحت تتجه مباشرة إلى مدينة والاتا Walata التي تبعد شرقاً عن مدينة أوداجوست بنحو ٢٤٠ ميلاً^(١) .

وبالرغم من سقوط مملكة مالي ، إلا أن الاسلام ظل محتفظاً بنفوذه في تلك المنطقة بظهور بعض الممالك الاسلامية الجديدة في مناطق السودان الاوسط . وذلك مثل مملكة كانم Kanem بمنطقة بحيرة تشاد ، والتي تحول ملوكها الذين ينتمون إلى قبيلة سيفاوا Saifawa إلى الاسلام . كما ظهرت إمارة إسلامية أخرى هي إمارة شوا Shoa في الجانب الشرقي من مرتفعات الحيشة ، كمنافس للمملكة المسيحية التي كانت تحتل الجانب الغربي من هذه المرتفعات . كذلك انتشر الدين الاسلامي بين جميع القبائل الصومالية التي كانت تعيش في القرن الافريقي .

وفي مصر قامت دولة الأيوبيين التي أسسها صلاح الدين بعد أن استولى على الحكم من آخر الخلفاء الفاطميين سنة ١١٧١ م . واتخذ صلاح الدين من مصر قاعدة للانطلاق في معارك حرية متعددة وناجحة ضد الصليبيين في فلسطين .

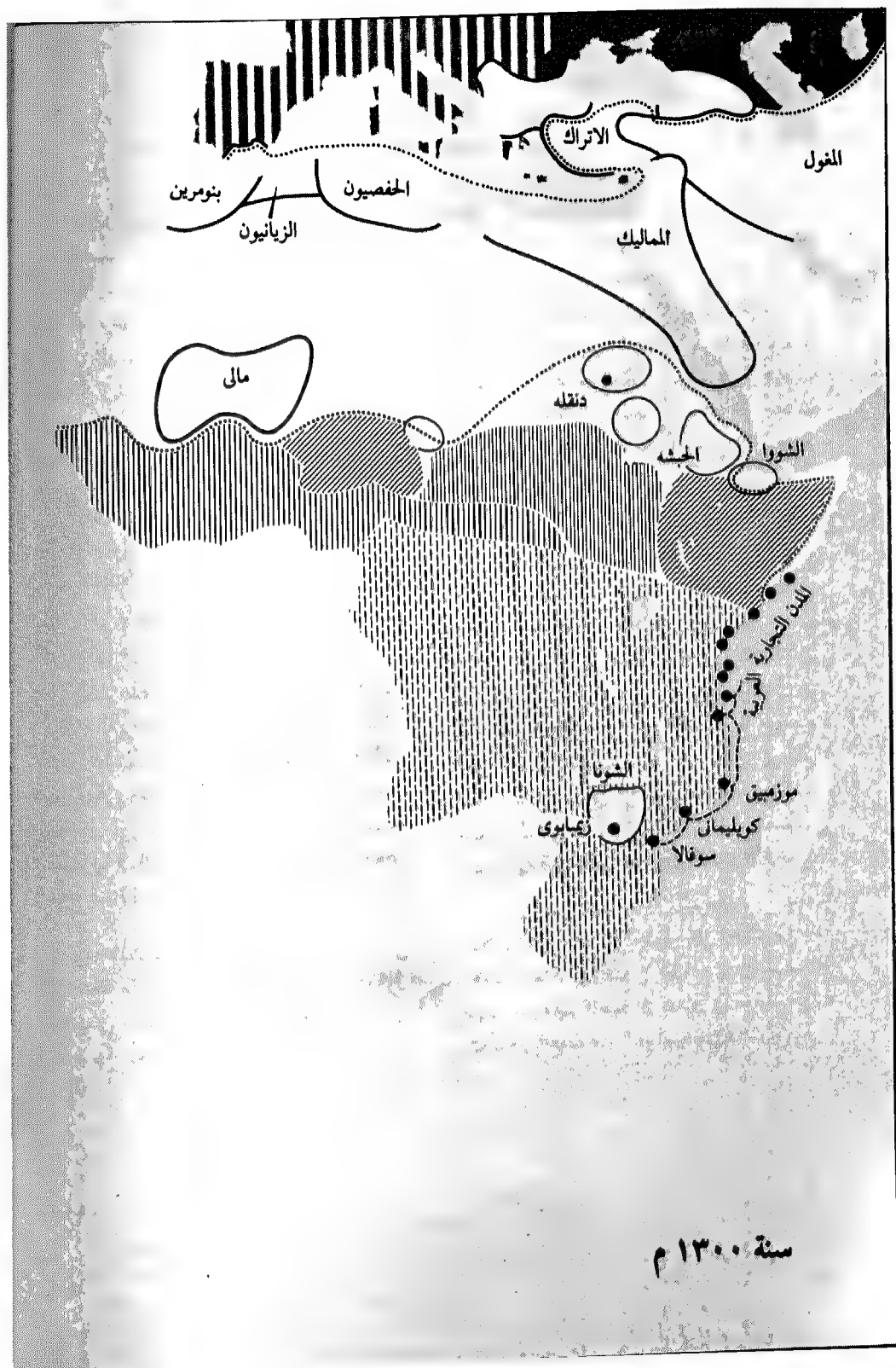
انهارت امبراطورية المرابطين في منتصف القرن الثاني عشر الميلادي ، بعد ان استولى «الموحدون» على المغرب والمناطق الاسلامية في اسبانيا . والموحدون هم طائفة دينية أشد تمسكا بالتعاليم الدينية والمبادئ السياسية التي اشتهرت بها قبائل زناته Zenata وهم من البربر الذين كانوا يعيشون في جبال أطلس ويعتبرون من أشد اعداء قبائل صنهاجه .

أما في الجنوب فقد طرد المرابطون من غانا بعد أن استولت على الحكم أسرة مالكة من قبيلة سوسو Susu ، وهي قبيلة زنجية كانت تعيش في منطقة كانايغا Kanaiga وتعتبر فرعاً من قبائل السونينكي .

ولكن هذه الأسرة الحاكمة التي حكمت غانا في تلك الفترة لم تستطع أن تمد حدود المملكة ناحية الغرب مثلما فعل أسلافهم من قبائل السونينكي حين كانوا يتولون زمام الحكم . وبالتالي لم تستطع قبيلة السوسو ان تخضع لسيطرتها قبائل السونينكي التي ظلت محتفظة بمنطقة ضيافانو Diafanu .

ومع ذلك فقد استطاعت السوسو أن تستولى على مملكة مالي ، وأن تسيطر بالتالي على حقول الذهب في منطقة بيوري Bure التي كان الذهب فيها اسهل استخراجاً وأغزر انتاجاً بالمقارنة

(١) نحو ٣٨٦ كيلو مترا .



Sundiata الذي تمكن من الاستقلال بمال في سنة ١٢٣٠ م .

وكان سوندياتا ملكا قويا استطاع فرض نفوذه واخضاع مملكة غانا نفسها ، ثم ضم إلى بلاده الممالك والمدن الأخرى المحيطة مثل : والاتا وتادمكة Tadmekka والسونغاي وبذلك أصبحت امبراطورية مالي أكبر امبراطورية أسسها الزنوج وظلت حتى هذا التاريخ في مناطق غرب السودان . كما كانت في الوقت نفسه أكثر هذه الامبراطوريات ثراء وغنى .

وذكر أن أحد ملوك مالي من خلفاء سوندياتا^(٢) قام برحلة الحج إلى مكة وأخذ معه كميات ضخمة من الذهب . وعندما وصل إلى القاهرة ، عرض ما معه من الذهب في السوق ، الأمر الذي أدى إلى تخفيض سعر الذهب بنحو ٢٠ ٪ .

أما الامبراطورية الثانية التي أسسها الزنوج في تلك الفترة فهي امبراطورية زيمبابوي الكبرى^(٣) Great Zimbabwe في منطقة هضبة روديسيا ، والتي تبعد عن امبراطورية مالي بنحو ٣٥٠٠ ميل [نحو ٥٦٠٠ كيلو متر] باتجاه الجنوب الشرقي . وقد انغمست هذه الامبراطورية بدورها في عمليات استخراج وتجارة الذهب .

(٢) هو الملك مانسا كانكان موسى المشهور باسم «موسى الاسود» [المترجم] .

(٣) كلمة زيمبابوي بلغة البانتو مكونة من مقطعين : زيمبا بمعنى ييسوت ، وبوي أو بيجي بمعنى أحجار . ومعنى الكلمة إذن هو اليبسوت الحجرية . [المترجم] .

تقلص نفوذ دولة الموحيدين حتى كاد أن يصبح قاصراً على الاقسام الثلاثة للمغرب وهي من الغرب إلى الشرق : مراكش والجزائر وتونس . ومع ذلك فقد كانت بسيطرتها على هذه الاقسام الثلاثة تبدو أحسن حالا من دولة المرابطين التي انهارت سواء في اسبانيا أو في جنوب الصحراء . أما في مناطق شمال افريقيا فقد انهارت دولة الموحيدين أيضا بنفس السرعة ، ففي خلال ثلاثينات القرن الثالث عشر الميلادي ، أخذ حكام كل من تونس والجزائر في الاستقلال عن الدولة الأم . وابتداءً من عام ١٢٣٦ م استولت أسرة الحفصيين على تونس واستقلت بحكمها . وفي سنة ١٢٣٩ م استولت أسرة زيان — أو الزيانيين — على الجزائر واستقلت أيضا بحكمها ، مما أوضح أن الحالة الطبيعية للمغرب هو الانقسام الثلاثي الذي مازال قائما حتى الآن .

أما مراكش فقد ظلت خاضعة لحكم الموحيدين لثلاثين سنة أخرى [حتى سنة ١٢٦٩ م] حين استولت عليها أسرة بني مرين ، وهي فرع آخر من قبيلة زناته .

وخلال القرن الثالث عشر أيضا ، ظهرت امبراطوريتان زنيجتان في مناطق جنوب الصحراء الكبرى : الامبراطورية الأولى هي امبراطورية مالي التي كانت خاضعة من قبل لحكم ملوك السوسو الجالسين على عرش مملكة غانا . ثم استقلت عن غانا في بداية هذه الفترة بفضل أحد ملوك قبائل المالينكي ، وهو الملك سوندياتا^(١) .

(١) معنى كلمة سوندياتا باللغة الماندية هو «الأسد الجائع» [المترجم] .

وفي بداية القرن الثالث عشر أسست قبيلة الشونا Shona، وهي فرع من قبائل البانتو، هذه الامبراطورية في مرتفعات هضبة روديسيا. ولحسن حظ هذه القبيلة أنها عثرت على ترسيبات متناثرة من خام الذهب على سطح بعض هذه المرتفعات، فبدأت في استغلالها بطريقة منتظمة.

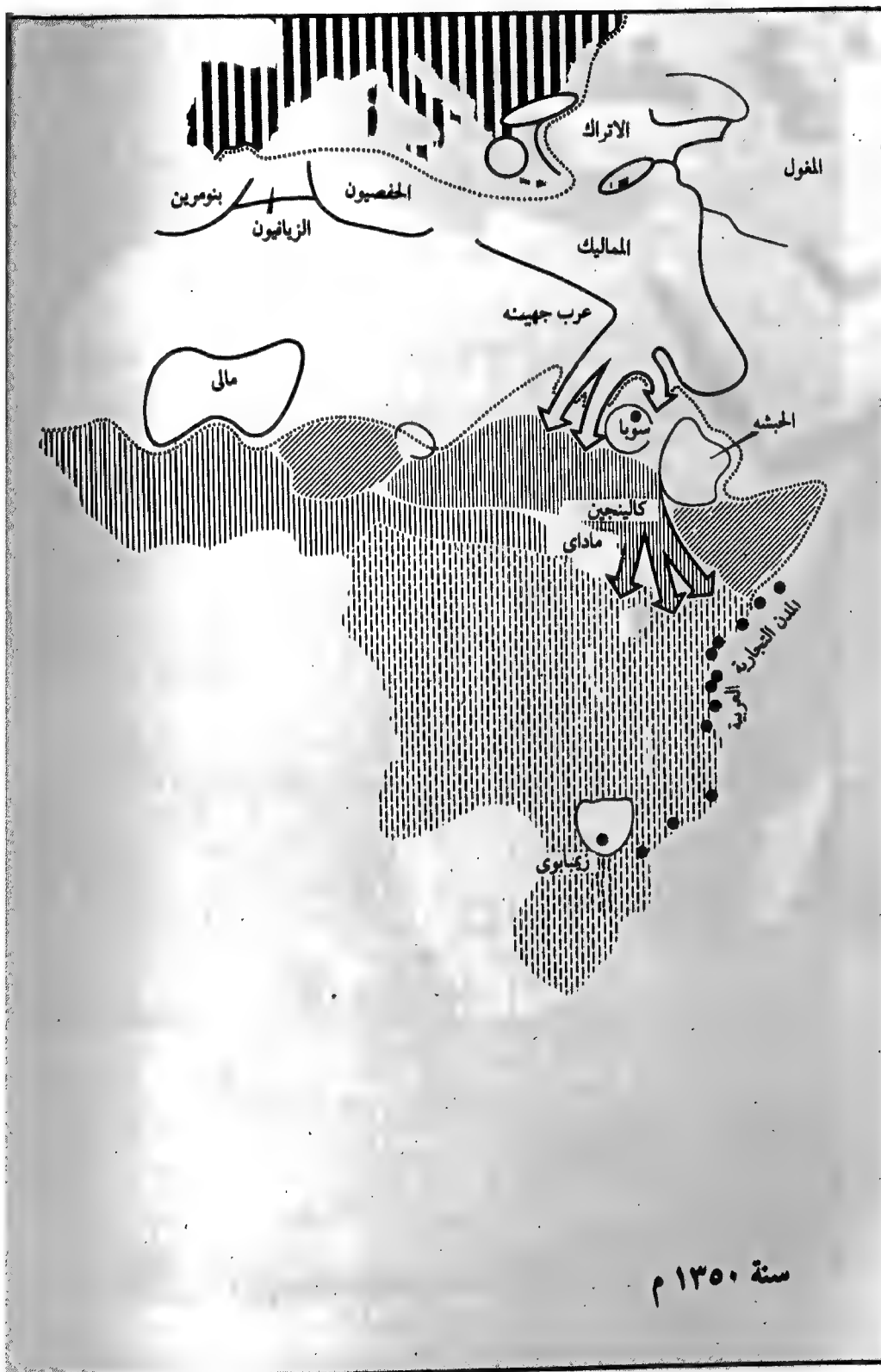
وكانت تقوم بتسويق الذهب في مدينة سوفالا^(١) Sofala التي انشأها العرب الذين كانوا يعيشون في مدينة كيلوا Kilwa خصيصا كمحطة لتسويق الذهب. وكانت الارباح الطائلة التي تأتي من تجارة الذهب، تزيد من ثراء مملكة الشونا في زيمبابوى الكبرى، كما جعلت مدينة كيلوا أهم المدن الواقعة على الساحل الشرقى الافريقى وأكثرها ازدهاراً.

وأهم الأحداث التي وقعت في تاريخ هذه الخريطة في مصر، هي سقوط دولة الأيوبيين، وظهور دولة المماليك. وكان ذلك في عام ١٢٥٠ م. وبالرغم من أن كلمة ممالك معناها «عبيد» الأمر الذى لا ييشر بالخير أو بالقوة لدى الوهلة الأولى، إلا ان الحال كان على العكس من ذلك تماماً. فقد صاحب نشأة هذه الدولة انبعاث روح جديدة من الحماس ضد الصليبيين. وقامت دولة المماليك بحملات حربية متكررة وواسعة النطاق، كان من نتائجها القضاء على كل ممالك ودويلات الصليبيين في سوريا وفلسطين. كما ارسلت حملة حربية صغيرة إلى افريقيا، أدت إلى اهتزاز مملكة دنقلع الصغيرة من اساسها.

(١) إسمها العربى القديم هو سفالة الزنج. أى آخر نقطة وصل إليها العرب في افريقيا.
[المترجم]



تمثال قديم من النحاس يمثل جنديا برتغاليا .
من معروضات المتحف القومى فى بى



الملك سليمان المذكور بالانجيل .

وكان ملوك هذه الاسرة الحاكمة الجديدة من القوة بحيث أنهم لم يوقفوا زحف المسلمين إلى هضبة الحبشة فحسب ، بل وردوهم على أعقابهم . كما قاموا أيضاً بالزحف نحو القبائل الوثنية التي كانت تعيش بمناطق جنوب النيل الأزرق . وضمت هذه المناطق إلى المملكة الحبشية . وفي الفترة ما بين عامي ١٣١٦ - ١٣٣٠ م ، أصبحت هذه المملكة ضعف حجمها ومساحتها الأصلية .

وفي خلال تلك الفترة أيضاً ، حدثت تطورات وتغيرات في مناطق النيل الأبيض ، حيث قامت قبيلتان من الرعاة الذين ينتمون إلى الشعوب النيلية الصحراوية وهما : قبيلة ماداي Madai وقبيلة كالنچين Kalenjin بالزحف نحو جنوب منطقة السدود ، إلى أن استقر الماداي على السواحل الشمالية الغربية لبحيرة فيكتوريا ، واستقر الكالنچين في مرتفعات كينيا .

أما الرعاة السابقون الذين كانوا يعيشون في تلك المناطق والذين كانوا ينتمون إلى الشعوب الكوشية [النوبية] التي كانت لم تزل تعيش بأسلوب العصر الحجري ، فقد أوشكوا على الاندثار أو الذوبان في شعوب البانتو التي زحفت إلى أقاليمهم في عصر سابق . ولكن بعد وصول الشعوب النيلية الصحراوية إلى تلك الأقاليم ، مال التوازن الاقتصادي في تلك المناطق لصالح حرفة الرعي التي أصبحت الحرفة الرئيسية لأغلبية السكان .

لم تستمر مملكة دنقلة في البقاء طويلاً بعد أن نهب المماليك عاصمتها في عام ١٢٧٦ م . وقد وردت أخبار عن ملك مسلم أجلسه المماليك على عرشها في سنة ١٣١٥ م . ولكن لم يمض وقت طويل حتى أطيح بهذا الملك وبمملكة دنقلة نفسها نتيجة لزحف قبيلة عرب جهينه على المنطقة قادمة من الشمال الشرقي .

ومنذ خروج قبيلتي الهلالية وبنى سليم من مصر في القرن الحادي عشر الميلادي ، عاشت العشائر البدوية في الحوف الشرقي بصعيد مصر حياة هادئة مستقرة على نحو ما . ولكن سواء أكان هؤلاء البدو قد ازدادوا عدداً ، أو وفدت إليهم عشائر بدوية أخرى قادمة من شبه الجزيرة العربية ، فقد أصبح لزاماً عليهم أن يقوموا بهجرة جديدة .

وقد استقر عرب جهينه على ضفاف النيل في المنطقة الواقعة بين الجندل الثاني والجندل السادس ببلاد النوبة . كما قام البعض منهم بالتوغل إلى مناطق أكثر بعداً ، فاجتازوا الصحراء الغربية ومعهم قطعانهم ، إلى أن استقروا أخيراً في منطقتي دارفور وكردفان بغرب السودان حيث توجد بعض المراعي والمنتجعات الفقيرة .

وقد احتفظت إمارة سوبا Soba المسيحية ببقائها في المنطقة النوبية الواقعة جنوب الجندل السادس على نهر النيل . وفي نفس الوقت قويت شوكة المملكة المسيحية بالحبشة ، بعد أن تولت الملك أسرة حاكمة جديدة تعتبر نفسها من سلالة

جزر الكناري

رأس بوجادور

النيجر

بحيرة تشاد

منطقة السلوم

السنغال / سافالا

رأس دجلادو

جزر القمر

مدغشقر

إفريقيا في نظر
جغرافى العصور الوسطى
١٣٥٠ م.

افريقيا سنة ١٣٥٠ م في نظر جغرافى العصور الوسطى

بحيرة تشاد ، حيث أصبحت هذه المناطق كلها تابعة للعالم الاسلامى ، وكانت تزورها باستمرار وبانتظام القوافل التجارية التى كانت تخترق الصحراء . ولهذا السبب فقد عرفت عنها الكثير من المعلومات التى كانت تدرس بالمراكز العلمية الاسلامية .

ومعظم المعلومات الجغرافية التى توفرت ، كانت عن المناطق الواقعة عند منحنى نهر النيجر نحو الشمال ، وهى المناطق التى كانت تسيطر عليها امبراطورية مالى . كما توفرت معلومات قليلة عن مناطق نهر السنغال ومناطق بحيرة تشاد .

أما المناطق الواقعة على ضفاف النيجر الأدنى ، فلم تتوفر عنها أية معلومات سوى بعض الأخبار الغريبة التى تثير الدهشة .

وقد اعتنق الجغرافيون العرب الفكرة التى قال بها «بطليموس الجغرافى» من قبل ، وهى أن نهر النيل ينبع من سلسلة جبال تقع فى شرق افريقيا ، وانه يتخذ مجراه نحو الشمال انطلاقا من بحيرة كبرى .

ومع ذلك فقد اعتقد معظم الجغرافيين العرب أن النيجر يعتبر فرعاً من فروع النيل ، بل وكانوا يسمون نهر النيجر نفسه باسم «نيل الزنوج» . وكانوا يقولون بأن مجراه يمتد حتى يصل إلى بحيرة تشاد ، ويخرج منها ممتداً إلى بلاد النوبة ، حيث يتقابل مع «النيل الافريقى الشرقى» فيتحد معه فى مجرى واحد يتجه نحو

حتى سنة ١٣٥٠ م لم يتوفر سوى قدر ضئيل من المعلومات الجغرافية عن القارة الافريقية ، أضيف إلى المعلومات الجغرافية التى كانت معروفة منذ سنة ٢٠٠ م . فمن ناحية غرب القارة ، كانت رأس بوجادور Cape Bojador لم تزل تعتبر أقصى نقطة يمكن الوصول إليها عن طريق السفن والرحلات البحرية .

أما فى شرق القارة فقد امتد الطريق التجارى البحرى وتجاوز منطقة رأس دلجادو Cape Delgado حتى وصل جنوباً إلى منطقة سوفالا [سفالة الزنج] . وقد نتج عن هذا الامتداد اكتشاف «جزر القمر» Comoro Isles ، وهى مجموعة من الجزر لم تكن مأهولة من قبل ، ولكنها سرعان ما استوطنت بخليط من شعوب العرب ومالاجاسى Malagasy والبانتر والمدغشقرين .

وحتى هذا القدر الضئيل من المعلومات الجغرافية التى توفرت فى تلك الفترة كان محل نظر . فقد أطلق العرب اسم جزر القمر على كل من مجموعة جزر كومورو وجزيرة مدغشقر . الأمر الذى يمتثل معه ألا يكون العرب قد توغلوا إلى المناطق الداخلية بجزيرة مدغشقر ، والذى يؤكد قطعاً انهم لم يطوفوا مبحرين حولها .

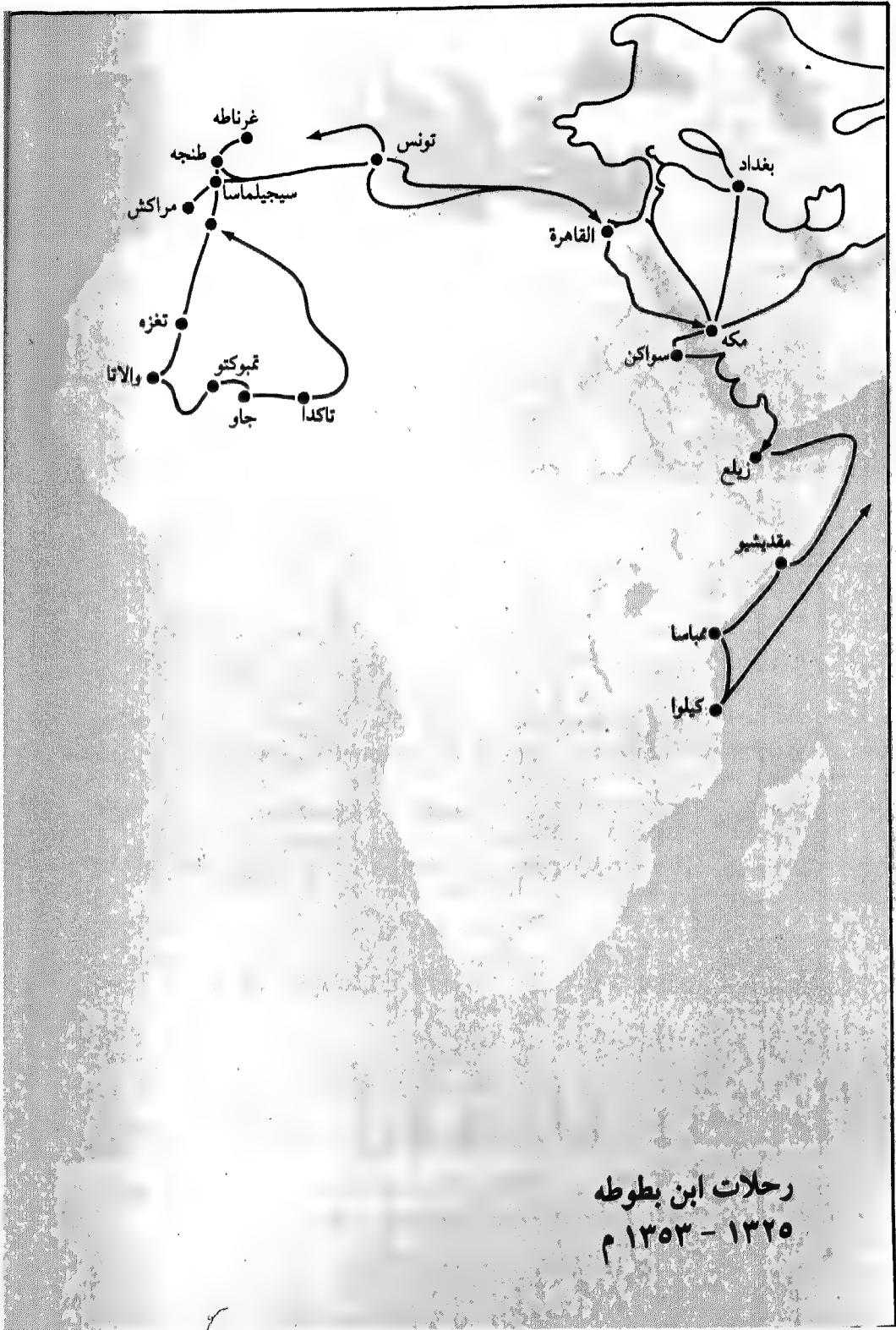
أما المناطق الافريقية التى توفرت عنها معلومات جغرافية كثيرة فى تلك الفترة ، فهى مناطق غرب السودان على طول الساحل العشبى للصحراء الكبرى الممتد من نهر السنغال حتى

من الجغرافيين العرب ، الذين ذكروا أن كلاً من
نهرى النيجر والسنغال ، يعتبر ذراعاً ممتداً داخل
الأرض قادماً من البحر ، وهى معلومات
تجاهل أبسط البديهيات !

الشمال وهو «نيل المصريين» !
ورغم ما فى تلك المعلومات من أخطاء
واضحة ، إلا أنها تعتبر أفضل من بعض
المعلومات غير السليمة الاخرى التى قال بها قلة



علم مطرز مصنوع من الخيوط القطنية المجدولة خاص بأحد ملوك بنيں القدماء ويرجع تاريخه إلى القرن الخامس عشر.
من معروضات متحف الثقافات الشعبية بعيّنا بالنمسا.



رحلات ابن بطوطه
١٣٢٥ - ١٣٥٣ م

رحلات ابن بطوطة [١٣٢٥ - ١٣٥٣ م]

ومثل معظم الرحالة الآخرين ، كانت في الاخبار التي ذكرها ابن بطوطة عن رحلاته ومشاهداته ، كثير من المبالغات التي تتجاوز حدود الحقيقة . كما أنه ادعى زيارة أماكن وبلاد لم يزرها في حقيقة الأمر . [الصين على سبيل المثال] .

ومع ذلك لم يشك أحد في المعلومات التي ذكرها عن مالي ، والتي تناول فيها أوصافاً تفصيلية دقيقة عن ذلك الخريط العجيب من التعاليم الاسلامية والعقائد والعادات المحلية ، الذي كان سائداً بين الملك وأفراد البلاط الملكي .

كذلك فقد سجل ابن بطوطة الكثير من تعليقاته المتزمتة والتي تراوحت بين الإعجاب الشديد بقواعد الأمن ومبادئ الحكم العادل التي كانت تسود أرجاء المملكة ، والسخرية والاستهزاء الشديد بالطقوس الاحتفالية المحلية ، وبالمنح والهدايا التي كانت تعطى لطلبة العلم ، والغضب والاستنكار لرؤية أجساد الفتيات والنسوة الصغيرات عارية تماماً لا يستترهن شيء .

كما ذكر ابن بطوطة تقريراً كثيباً يثير الشجن عن ازدهار نظام العبيد ورواج تجارة الرقيق . وذكر أنه عندما شرع في العودة إلى موطنه بالمغرب ، سافر ضمن قافلة تضم ٦٠٠ جارية من النسوة والفتيات اللاتي أخذن من تاكيدا Takedda ليبعن في أسواق العبيد في الشمال . كما ذكر أن تجارة العبيد من الذكور والأنثى

لم يظهر في عالم العصور الوسطى مستكشفون جغرافيون بمعنى الكلمة . ومع ذلك فيمكن القول بظهور مجموعة من «الرحالة» العظام ، أجلهم شأنًا وأكثرهم شهرة الرحالة الافريقي العظيم «ابن بطوطة» .

ولد ابن بطوطة في مدينة طنجة سنة ١٣٠٤ م . وقام برحلة الحج إلى مكة في سنة ١٣٢٥ م . ومنها انطلق في رحلة طويلة زار خلالها معظم مناطق الشرق الأدنى . ثم قام بعد ذلك برحلة إلى مناطق الساحل الشرقي لافريقيا ، حتى وصل إلى مقديشو ومباسا وكيلا في سنة ١٣٣١ م . ومنها انطلق إلى الهند التي ذكر عنها بعض المشاهدات الغريبة .

وفي سنة ١٣٤٩ م . عاد ابن بطوطة إلى موطنه الأصل بالمغرب . ولكنه لم يستقر هناك طويلاً ، فقد كان عليه القيام برحلتين أخريين يستكمل بهما زيارة كل بلاد العالم الاسلامي .

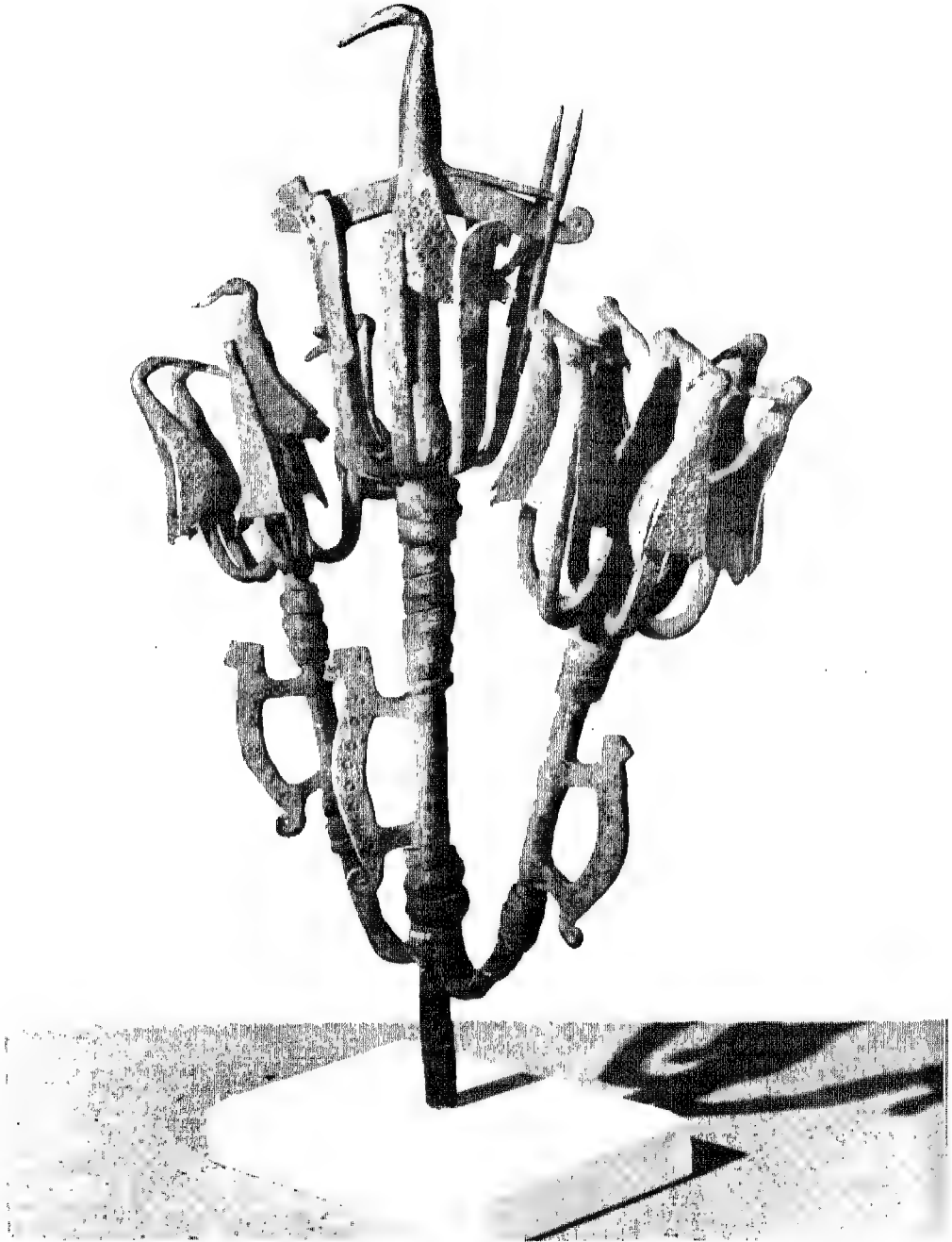
وفي العام التالي قام بالرحلة الأولى وكانت رحلة سهلة ، عبر فيها مضيق جبل طارق ، وزار المناطق الاسلامية القليلة التي كانت لم تزال موجودة في اسبانيا .

أما الرحلة الثانية فقد استغرقت وقتاً أطول ، واكتنفها الكثير من العناء والمشقة . ومن سيجيلماسا حيث تتجمع القوافل قبل انطلاقها لاختراق الصحراء ، بدأ ابن بطوطة رحلته قاصداً مناطق غرب السودان بصفة عامة ، ومنطقة مالي على وجه الخصوص .

أصبحت تنافس تجارة الذهب . كما أن هاتين السلعتين أصبحتا أهم صادرات مناطق غرب السودان ، بل ومناطق الساحل الشرقي لأفريقيا على حد سواء .

وفي سنة ١٣٥٣ م عاد ابن بطوطه إلى موطنه واستقر فيه بقية حياته . وهناك أمر السلطان بتخصيص كاتب ليكون تحت تصرف ابن

بطوطه ، وليدوّن ما يمليه عليه من أخبار وذكريات الرحلات والمشاهدات التي مرت في حياته . وفي آخر فصل من الكتاب الذي دونه هذا الكاتب عن رحلات ابن بطوطه ، كتب يقول : «وهكذا يتضح لنا أن هذا الشيخ هو أعظم رحالة العصر والأوان . . . » . وهو قول صادق بالفعل .



تحفة فنية مصنوعة من الحديد المطروق تمثل مجموعات من طائر البلشون ، مالك الحزين ،
كانت تستخدم في بعض الأغراض السحرية لدى بعض قبائل غرب أفريقيا .
من معروضات متحف التاريخ الطبيعي بـ شيكاغو .

أما في الجزء الشرقي من الساحل العشي ، فقد ظهرت وحدة سياسية جديدة هي مملكة بورنو (١) Bornu أسسها أحد الملوك المنفيين من مملكة كانم بعد أن استولت قبيلة البولالا Bulala على تلك المملكة .

ولم يعرف على وجه التأكيد ما إذا كانت البولالا عشيرة متفرعة من قبيلة ، أو أنها قبيلة متفرعة من شعب الكانوري Kanuri people الذي كان يعيش في مملكة كانم ، أو أنهم من الرعاة الذين غزوا تلك المنطقة قادمين من ناحية الشرق .

وأيا كان شأن هؤلاء البولالا ، فقد استولوا على عرش مملكة كانم . وخرجت الاسرة المالكة التي كانت تحكم كانم ، وكونت مملكة جديدة هي مملكة بورنو . أما الشعب الأصلي الذي كان يعيش في منطقة بورنو [وهو من الشعوب التشادية مثل قبائل الهوسا] فقد بدأ يتعرض لخطر فقد صفاته البشرية وهويته السياسية .

وهكذا ساد الاسلام جميع القبائل والشعوب التي كانت تعيش في الساحل العشي الممتد جنوبي الصحراء الكبرى ، ابتداء من قبيلة الفولاني التي تستوطن نهر السنغال من ناحية الغرب ، إلى العرب الذين كانوا يستوطنون النيل الأعلى ناحية الشرق .

(١) هناك اسطورة شائعة بين أهالي تلك المناطق المحيطة ببحيرة تشاد ، تقول أن هذه المناطق هي نفسها الأرض التي عاش عليها سيدنا نوح عليه السلام لذلك أطلقوا عليها اسم بورنو ومعناه « أرض نوح » في اللغة المحلية . [المترجم]

في بداية مطلع القرن الخامس عشر الميلادي ، إنتهى عصر ازدهار امبراطورية مالي ، وبدأت فترة انحسارها . فقد فقدت سيطرتها على مملكة السنغال ، وزال سلطانها على مناطق نهر السنغال . وانضوى الأهالي الذين كانوا يعيشون في تلك المناطق تحت لواء أقوى قبيلة محلية ، وهي قبيلة الولوف Wolof أما قبيلة الفولاني Fulani وهي من قبائل الرعاة ، فقد بدأ زحفها تجاه الشرق لتستقر على ضفاف نهر النيجر .

ومع ذلك فقد احتفظت مالي بعمادها الاقتصادية ، وهو استخراج وتجارة الذهب لفترة أطول ، بالرغم من ظهور الذهب بكثرة في مناطق أخرى خارج المملكة ، مثل حقول الذهب الجديدة في قولتا السوداء Black volta وفي منطقة غابات الأكان Akan forests وبدأ الذهب المستخرج من هاتين المنطقتين يتدفق عبر الطرق المائية ليتجمع في النهاية في مدينتي جيني Jenne وتمبوكتو Timbuctoo اللتين أصبحتا محطتي قيام للقوافل التي تخترق الصحراء تجاه الشمال .

وفي مطلع القرن الخامس عشر أيضا خرجت أول معلومات تاريخية لاشك فيها عن المناطق الواقعة بالساحل العشي الممتد من نهر النيجر حتى بحيرة تشاد . ففي الجزء الغربي والجزء الأوسط من هذا الشريط بدأ ظهور سبع مدن جديدة أنشأتها قبائل الهوسا Hausa تميزت عن سائر المناطق المحيطة ، بأن كل مدينة منها كانت تتخذ شكل « المدينة / الدولة » City State وكانت أهمها مدن : كانو ، وكاتسينا ، وزايرا ، وجوبير Gobir و Zaira ، Katsina ، و Kano .

ولكن مفهوم الاسلام الذى ساد فى تلك المناطق الشاسعة من افريقيا قد يشير دهشة المسلمين الذين يعيشون فى شبه الجزيرة العربية على سبيل المثال . فقد اختلطت فيه الطقوس والعبادات الاسلامية الحقيقية بالطقوس والعقائد والمعتقدات الروحية التى كانت سائدة بين تلك الشعوب والقبائل قبل دخولها الاسلام ، والتى قد تختلف بين قبيلة وأخرى أو بين شعب وآخر .

وعلى سبيل المثال فقد كان هذا الاختلاط بين مبادئ الدين الاسلامى والعقائد والطقوس الافريقية المحلية مماثلاً لذلك الاختلاط بين مبادئ المسيحية والعقائد المحلية التى تسود الآن بين شعب البرازيل فى أمريكا الجنوبية .

ومعنى هذا أن الخط المنقط الذى يظهر بهذه الخريطة ليعين حدود العالم الاسلامى ، يعنى - على الأقل بالنسبة للساحل العيسى الافريقى - أنه خط يبين الشعوب المتأثرة ببعض التعاليم والمبادئ الاسلامية ، أكثر منه خط يبين الحدود الفاصلة بين المجتمعات الاسلامية والمجتمعات غير الاسلامية .

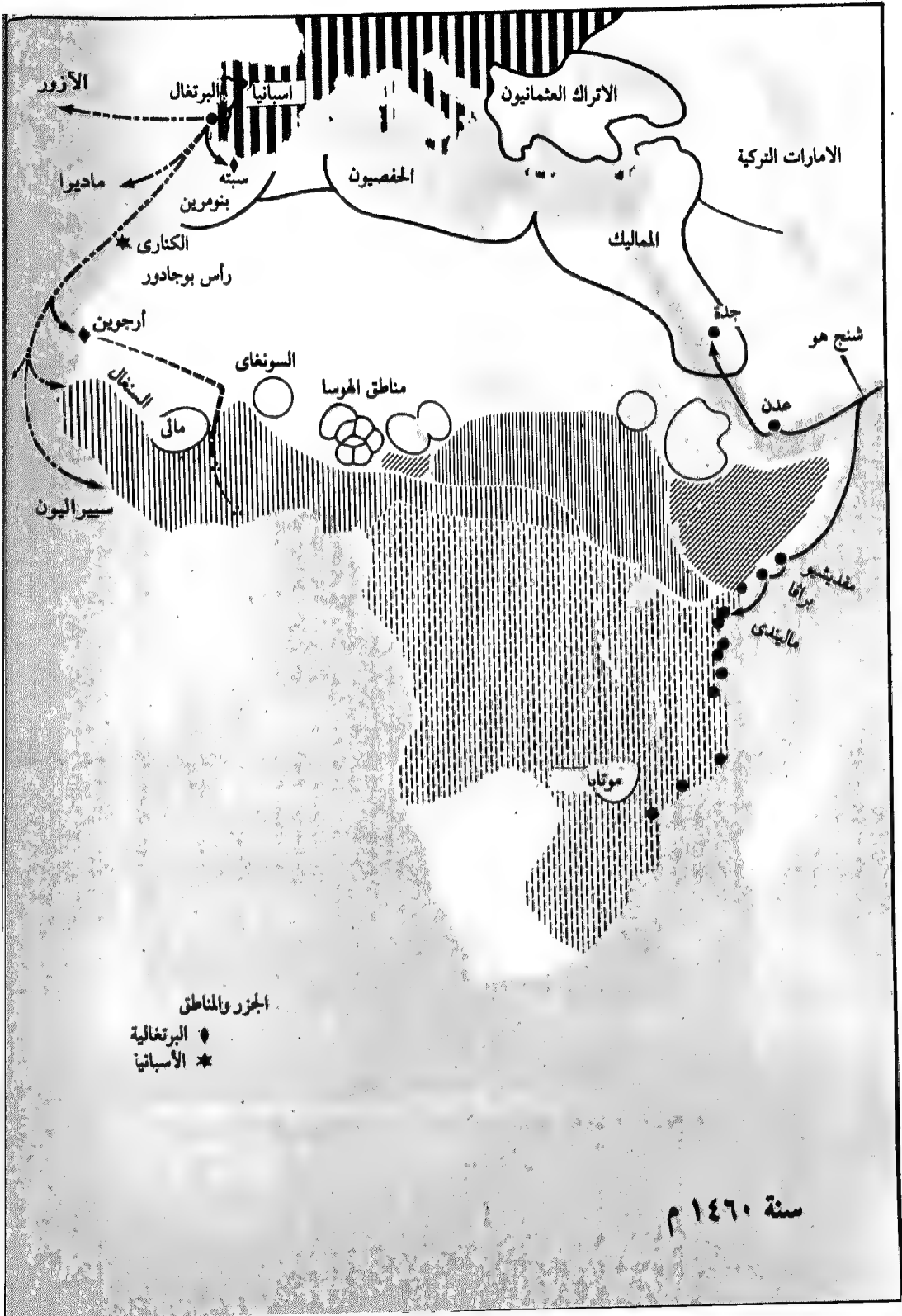
وعلى أية حال فإن هذا الخط لن يظهر مرة أخرى على الخرائط التالية . فقد بدأ انتشار الاسلام فى الانحسار البطيء . ومع ذلك فسوف نشير إلى مآل الاسلام فى افريقيا مرة كل مائة سنة^(١) .

(١) ملحوظة : عندما سيظهر هذا الخط المنقط مرة أخرى فى الخريطة السياسية الخاصة بسنة ١٦٠٠م ، فسيكون ذلك للدلالة على الحدود الجنوبية للمناطق الاسلامية . أما الحدود الشمالية لهذه المناطق فسوف تفهم ضمناً بمجرد النظر إلى المهطقة المظلمة بالخطوط والتى تبين نطاق وحدود المسيحية . على أن يكون

مفهوماً أن تلك المناطق المظلمة بالخطوط ستصبح من الآن فصاعداً علامة مميزة للمسيحية الغربية والشرقية على حد سواء وعند ظهور هذه المناطق المظلمة بالخطوط على خريطة افريقيا ، فهذا يعنى أننا نشير إلى المناطق الافريقية التى تعرضت للغزو والاستعمار الاستيطاني من جانب الدول الأوروبية .



تمثال رابع من النحاس يرجع تاريخه إلى القرن السادس عشر يمثل أحد ملوك بنين القدماء يركب حماراً .
من معروضات متحف ليثربول .



البرتغالية في القيام بالرحلات الاستكشافية البحرية ذات العائد الاقتصادي ، ولتحقيق أطماع البرتغال في السيطرة وفرض النفوذ على مناطق أخرى . وكانت أفريقيا على وجه الخصوص أهم وأقرب المناطق التي يهتم بها .

وفي سنة ١٤١٥م ، شارك هذا الأمير ، وكان عمره ٢٢ سنة ، في أول مغامرة بحرية قامت بها البرتغال وأدت إلى احتلال مدينة « سبته » Ceuta المغربية . وبالتحقيق مع بعض أسراه من المغاربة ، عرف الأمير أسرار تجارة الذهب والعبيد ، والدور الذي تؤديه الطرق التي تخترق الصحراء من المغرب حتى مالي . وهنا ثار التساؤل بين البرتغاليين : هل يمكن أن يصلوا إلى مالي عن طريق الأبحار بموازة سواحل غرب أفريقيا لتستأثر البرتغال بتجارة العبيد والذهب ، وبالتالي تقطع الطريق على المغاربة ؟

ولكن الاجابة على هذا التساؤل كانت بالنفي ، فعلى مدى ١٨ سنة متوالية ، لم يستطع الأمير هنري أن يقنع أحداً من قباطنة السفن البرتغالية ، بالابحار إلى أية منطقة افريقية تقع جنوب رأس بوجادور . وكان خوف القباطنة من الاقدام على الأبحار جنوباً ، يرجع إلى أن الرياح تهب في هذه المنطقة دائماً من ناحية الشمال ، الأمر الذي قد تستحيل معه رحلة العودة إلى الوطن مرة أخرى .

(١) هنري الملاح : ابن يوحنا الأول ملك البرتغال . كانت له رغبة عارمة في توسيع معلوماته عن أفريقيا . واشرف على تأسيس ترسانة لصناعة السفن ، ومرصداً ومدرسة لدراسة الجغرافيا والملاحة البحرية . [المترجم]

خلال القرن الخامس عشر ، ظهرت طرز محسنة من السفن البحرية في كل من الصين وأوروبا . ففي الصين ظهر طراز من السفن الشراعية يسمى الجنك أو الينك Junk ، وهي سفن ضخمة متعددة الأشعة وتصل حمولتها إلى نحو ٢٠٠٠ طن . وقد تمكن الصينيون بهذه السفن ، من أن يبحروا في مناطق المحيط الهندي وأن يصلوا إلى سواحل شرق افريقيا .

غير أن الصينيين لم يحققوا أية اكتشافات جديدة خلال تجوالهم بمناطق المحيط الهندي ، فقد سبقهم العرب منذ قرون طويلة بالتجول عبر الطرق والممرات البحرية في هذا المحيط .

وفي سنة ١٤١٧م وصل اسطول من السفن الصينية إلى سواحل شرق افريقيا . وجمع الصينيون بعض التحف والحيوانات المدهشة لهم مثل الزراف . وتبين لهم أن كل ما جمعه لم يكفل تغطية مصاريف الرحلة البحرية الطويلة . وبالتالي فلم تتردد السفن الصينية على السواحل الافريقية مرة أخرى .

أما البرتغال فقد استطاعت أن تشيد طرازاً من السفن الشراعية يسمى الكراقل Caravel وهي سفن خفيفة سريعة الحركة صغيرة الحجم لا تزيد حمولتها عن ٢٠٠ طن . ولكنها أكثر صلاحية من الناحية الملاحية ، وأقل تكلفة من ناحية التشغيل إذا قورنت بطراز الجنك من السفن الصينية .

وقد رأى الأمير البرتغالي « هنري الملاح »^(١) أن هذا الطراز من السفن الشراعية الصغيرة ، يمكن الاعتماد عليه لتحقيق الطموحات

كذلك فقد فشل الأمير هنرى فى فرض نفوذ البرتغال على مجموعات البحارة المغامرين الذين ينتمون إلى بعض الدول الأوربية المختلفة ، والذين استطاعوا أن يستوطنوا أقرب الجزر فى أرخبيل الكنارى فى الفترة الواقعة ما بين عامى ١٤٠٢ - ١٤٠٥ م . وذلك بعد أن أعلن هؤلاء المستوطنون الجدد ولائهم لأسبانيا .

ومع ذلك فبالمثابرة استطاع البرتغاليون ان يتعلموا سبل الملاحة فى البحار المفتوحة ، واستطاعوا بالتالى أن يستكشفوا ويحتلوا جزيرة ماديرا Madeira سنة ١٤٢٠ م . وجزر الأزور Azores سنة ١٤٣١ م . كذلك استطاعوا أن يكتشفوا الطريقة الفنية التى تمكنهم من السيطرة على أشعة السفن وإدارتها بالكيفية التى تمكنهم من الإقلاع والابحار ضد مهب الريح .

وفى سنة ١٤٣٤ م استطاع الأمير هنرى أن يقنع أحد قباطنة سفنه بالإبحار لاكتشاف ما وراء رأس بوجادور وبالفعل وصلت السفينة إلى هذه الرأس ، ثم تجاوزتها جنوباً بمسافة نحو ٣٠ فرسخاً [حوالى ١٦٦ كم] ثم غيرت السفينة اتجاهها وقفلت راجعة إلى رأس بوجادور مرة أخرى قبل أن تعود مرة أخرى إلى البرتغال .

وبعد ذلك تطورت الأمور بسرعة . وخلال

عشر سنوات استطاعت السفن البرتغالية أن تقوم بزيارة مصب نهر السنغال كما استطاعت الوصول إلى منطقة سيراليون Siera Leone قبل موت الأمير هنرى سنة ١٤٦٠ م . وأهم من هذا كله هو العائد الاقتصادى الذى عاد على البرتغال نتيجة للقيام بتلك الرحلات . فمن نقطة انطلاق أقامها البرتغاليون فى جزيرة أرجوين Arguin المجاورة للشاطئ الأفريقى ، استطاعوا أن يتسللوا إلى الداخل وأن يقتطعوا لأنفسهم جزءاً من تجارة الذهب التى كانت تتم عبر الطرق الصحراوية .

ونشير أخيراً إلى بقية أهم الأحداث التاريخية التى وقعت فى أفريقيا فى تلك الفترة ، وهى تقلص نفوذ إمبراطورية مالى التى فقدت سيطرتها تماماً على طريق جينى/تمبوكتو التجارى . كذلك فقد هجرت مملكة الشونا Shona موقعها فى زيمبابوى ، وانجهدت شمالاً وأسست مملكة أخرى هى مملكة موتابا Mutapa . وكان الذهب فى منطقة زيمبابوى قد نضب تماماً أو أوشك على النضوب . أما منطقة موتابا الجديدة فما زالت تنتج الذهب حتى الآن ، وإن كان ذلك بكميات ضئيلة . وهكذا يمكن القول بأن عصر ازدهار تجارة الذهب فى مناطق جنوب وشرق إفريقيا قد ولى وأصبح من الذكريات .



حامل حديدى لمصباح زيتى قديم . من صناعة حدادى بنين القدماء .
من معروضات متحف التاريخ الطبيعى بشيكاجو .



الجزر والمناطق
 ♦ البرتغالية
 ★ الإسبانية

سنة ١٤٧٥ م

وقد تم اكتشاف البرتغاليين لغينيا عن طريق اتفاق خاص عقده ملك البرتغال مع تاجر كبير من لشبونة يدعى « فناو جوميز » Fenao Gomes وكان هذا الاتفاق ينص على أن العرش البرتغالي يوافق على اعطاء جوميز الحق في احتكار التجارة مع جميع المناطق الافريقية التي تقع جنوب أرجوين لمدة خمس سنوات كاملة . وذلك نظير أن يقوم جوميز بتنفيذ الشرطين التاليين : (أ) أن يدفع ٥٠٠ كروسادو Crusados سنوياً إلى الخزانة الملكية . (ب) أن يلتزم باستكشاف ١٠٠ فرسخ سنوياً في السواحل الافريقية الواقعة جنوب أرجوين (٢) .

وقد كان من المعتقد سلفاً أن التجارة مع المناطق التي تقع وراء أرجوين عملية افتراضية قد لا تؤدي إلى تحقيق عائد مجز . ولكن جوميز لم يضيع الوقت ، ووصلت سفنه إلى سواحل غابات الأكان سنة ١٤٧١ م . ومن المؤكد أنه قد قام عندئذ وعلى الفور بسك كميات كبيرة من العملات الذهبية .

استغل جوميز منطقة غينيا ، وحقق ثروات طائلة . أما عمليات الاستكشافات الجغرافية فلم يكن يتوقع منها تحقيق أى عائد . ومع ذلك فلم تكن تخلو من عنصر الإثارة . وكتب قباطنة السفن التي كانت تقوم بعمليات الاستكشاف السنوية بعض التقارير التي تؤكد أن ساحل غينيا يمتد باعتدال نحو الشرق . وهذا معناه في رأيهم أنهم بعد سنوات قليلة من القيام بتنفيذ المعدل السنوي للاستكشافات الجغرافية ، سيصلون إلى

(٢) الفرسخ البحري League = ٣ أميال بحرية = ٥.٦ كيلومترا .

وبينا كانت شمس امبراطورية مالى توشك على المغيب ، ظهرت امبراطورية السونغاي كقوة جديدة تتحكم في مناطق النيجر الأوسط .

. أسس هذه الامبراطورية الجديدة « الملك على » (١) الذي ارتقى عرشها سنة ١٤٦٤ م . وقام بالاستيلاء على مدينة تمبوكتو بعد ذلك بنحو خمس سنوات ، ثم استولى على مدينة چيني بعد أربع سنوات أخرى .

وقد كان من المتوقع أن تسيطر امبراطورية السونغاي - باستيلائها على هاتين المدينتين - على حقول الذهب بمناطق غابات الأكان وقولتا السوداء . ولكن هذا لم يحدث ، لأن البرتغاليين كانوا قد وصلوا أيامئذ إلى سواحل الأكان والمناطق الجنوبية المنتجة للذهب .

وكانت لدى البرتغاليين فكرة مشوشة عن المعلومات الجغرافية . فقد ظنوا أنهم قد وصلوا إلى « غانا » [أرض الذهب] في غرب افريقيا . ولكنهم كانوا يكتبون كلمة غانا Ghana بهجاء مختلف هو « غينيا » Ghuinea وعلى أية حال فلم يعد من الصعب الآن التفرقة بين غانا وغينيا .

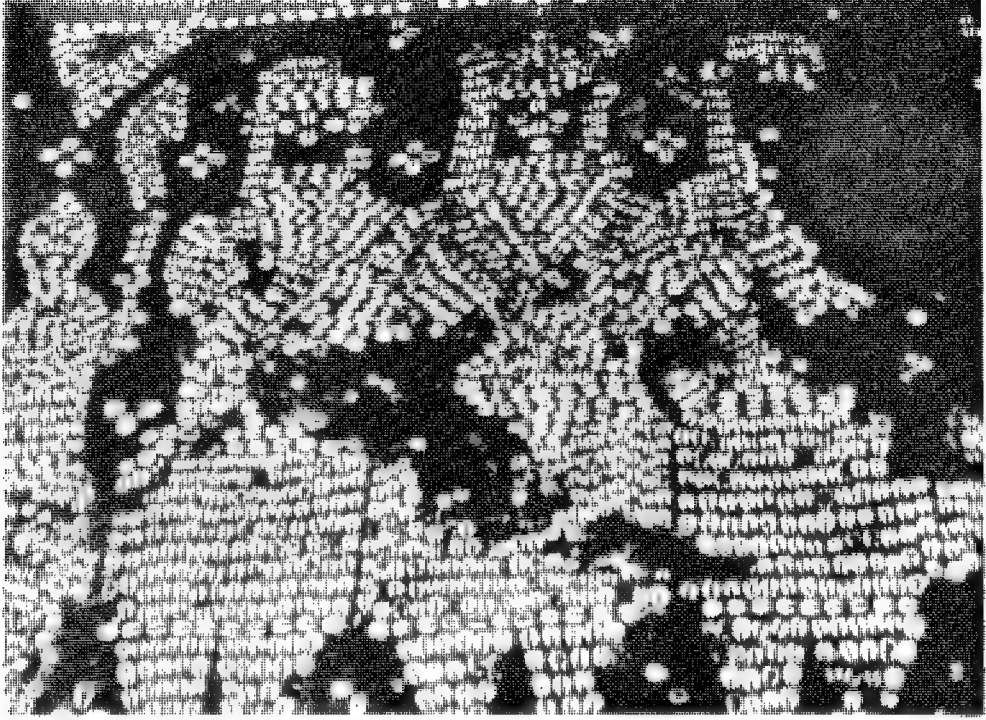
(١) اسمه الحقيقي « علي بر » Ali Ber وسمى فيما بعد « علي الأكبر » وأصبحت امبراطورية السونغاي في عهده يهاب جانبها ويعمل لها ألف حساب . كما دخلت سيرة هذا الملك مجال الأساطير التي ما زالت تحكى عنه حتى الآن ضمن القصص والحكايات الشعبية التي تتردد بين قبائل السونغاي الذين مازالوا يعيشون حتى الآن على ضفاف النيجر في شمال غرب دولة نيجيريا الحديثة . [المترجم]

المحيط الهندي ، ومنه إلى بلاد الشرق ، حيث
تجارة التوابل التي تحقق ثروات طائلة .

ولكن آخر سفينة قامت برحلة استكشافية
تنفيذا للاتفاق الخاص مع جوميز ، كتبت تقريراً
بأن الوصول إلى الهند بناء على هذه المعلومات لم
يعد ممكناً . ذلك لأن السفينة عندما وصلت إلى
جزيرة فرناندو بو Fernando po [وهو اسم
أحد قباطنة سفن جوميز] لاحظت أن الساحل
الافريقي قد انحنى بشدة تجاه الجنوب . وحتى
بعد أن وصلت السفينة إلى آخر مسافة لرحلتها ،
وهي منطقة رأس سانتا كاترينا Cape Santa
Caterina كان الساحل الافريقي مازال متجهاً
نحو الجنوب لمسافات أخرى .

أما في مراكش فقد زال حكم بني مرين ،
وحل محلهم وزراؤهم الذين ينتمون إلى قبيلة
الطاسيلي Wattasids وذلك بعد حرب أهلية
اعطت البرتغاليين فرصة سانحة للاستيلاء على
بعض المدن المغربية الواقعة على الساحل
الافريقي . وذلك في سنة ١٤٧١ م .

ولم يكن هذا الحكم الجديد في صالح
مراكش ، أوهياً لها مزيداً من القوة ، بل على
العكس ، أصبحت مراكش وغيرها من دول
المغرب على درجة كبيرة من الضعف إذا قورنت
بالدولتين الأوربيتين الصاعدتين : البرتغال
وأسبانيا .



تكوين زخرفي بالقواقع يغطي أرضية قاعة الاستقبال ببيت قدم لأحد رؤساء القبائل بغرب أفريقيا .

الجناب

ديوجو كاو ١٤٨٢ - ١٤٨٦

رأس سانتا كاترينا

مصب نهر زائير +

رأس سانتا ماريا +

مونت نيجرو +

رأس كروس +

بارثولوميو دياز ١٤٨٧ - ١٤٨٨

لوديفيتز +

رأس الرجاء الصالح

كوايبويك +

بأدراو

الرحلات البرتغالية
سنة ١٤٨٢ - ١٤٨٨ م

الرحلات البرتغالية

بين عامي [١٤٨٢ - ١٤٨٨] م .

توقفت الرحلات الاستكشافية البرتغالية بعد انتهاء الاتفاق مع جوميز لفترة بسيطة ، إلى أن ارتقى جون الثاني عرش البرتغال وقرر أن يحرك الأمور من جديد .

وفي سنة ١٤٨١م خرج من لشبونة اسطول ضخيم من السفن البرتغالية وعليه مجموعة من عمال البناء والنجارين ، وفرقة من الجيش . وكانت مهمة هذا الاسطول الوصول إلى سواحل الأكان واختيار موقع مناسب لبناء قلعة عسكرية مجهزة بكل المعدات .

وفي نهاية سنة ١٤٨٢م أنهى البرتغاليون من تشييد قلعتهم . ونظراً لأن الملك جون الثاني كان يظن أن الذهب في تلك المنطقة يستخرج من « المناجم » [وهو ظن خاطيء لأن الذهب في تلك المنطقة كان يوجد على شكل رواسب بالتربة] فقد أطلق على هذا الموقع اسم « ساو جورج ده مينا » Sao Jorge Da Mina [أى سان جورج راعى النجم] وهو اسم طويل اختصر فيما بعد وأصبح « إلنيا » Elmina . وكانت القلعة الحربية التي شيدها البرتغاليون في هذا الموقع ، هي أول موطىء قدم لأوروبا في مناطق افريقيا السوداء .

وقد شيدت هذه القلعة في الأصل لتؤكد سلطة البرتغال وسيادتها على هذه المنطقة ، وللدفاع عن المنطقة ضد أى أجنبي قد يفكرون في اغتنام أى شيء من المناطق التي استكشفتها البرتغال أو وصلت إليها . كذلك فقد عمل جون الثاني على توسيع وامتداد الرحلات

الاستكشافية إلى مناطق افريقية أخرى .

وبينما كانت معظم سفن الاسطول البرتغالي منهمكة في تشييد إلنيا ، أرسل جون الثاني سفينتين من هذا الاسطول وضعهما تحت قيادة ديوجو كاو Diogo cao لاستكشاف المناطق الافريقية التي تقع وراء رأس سانتا كاترينا .

وكانت هاتان السفينتان تحملان صليباناً حجرية ضخمة تسمى بادراو Padrao عليها نقوش مكتوبة تقول كيف أن الملك جون الثاني قد كلف ديوجو كاو باستكشاف هذه الأراضي . وذلك في سنة ٦٦٨١ من خلق العالم ، الموافقة لسنة ١٤٨٢ بعد ميلاد المسيح . وقد استخدمت هذه الصليبان الحجرية كعلامة لأهم المواقع التي وصلت إليها البعثات الاستكشافية البرتغالية .

وفي منتصف صيف سنة ١٤٨٣م وبعد أن تجاوز ديوجو كاو رأس سانتا كاترينا ، وصل إلى منطقة مصب نهر زائير . وهناك وضع كاو أول صليبانه الحجرية . أما الصليب الحجري الثاني فقد نصبه في أبعد نقطة وصل إليها وهي منطقة رأس سانتا ماريا Cape Santa Maria التي تبعد بنحو ٦٠٠ ميل تجاه الجنوب ، ليعلم أنه قد وصل إلى آخر افريقيا ، ووجد الطريق أخيراً إلى الجزر الهندية .

وربما يرجع هذا الاعتقاد الخاطيء إلى المعاناة التي صادفها في رحلة استمرت لفترة طويلة من الابحار في بحار غامضة مجهولة . وعلى

أية حال فقد تبين ديوجو كاو خطاه عندما قام برحلته التالية . وهى الرحلة التى قام فيها بالتوغل فى المناطق الداخلية بأعلى نهر زائير ، حيث قابل ملك الكونغو . وكانت مملكته تعتبر أقوى مملكة فى تلك المنطقة من أفريقيا .

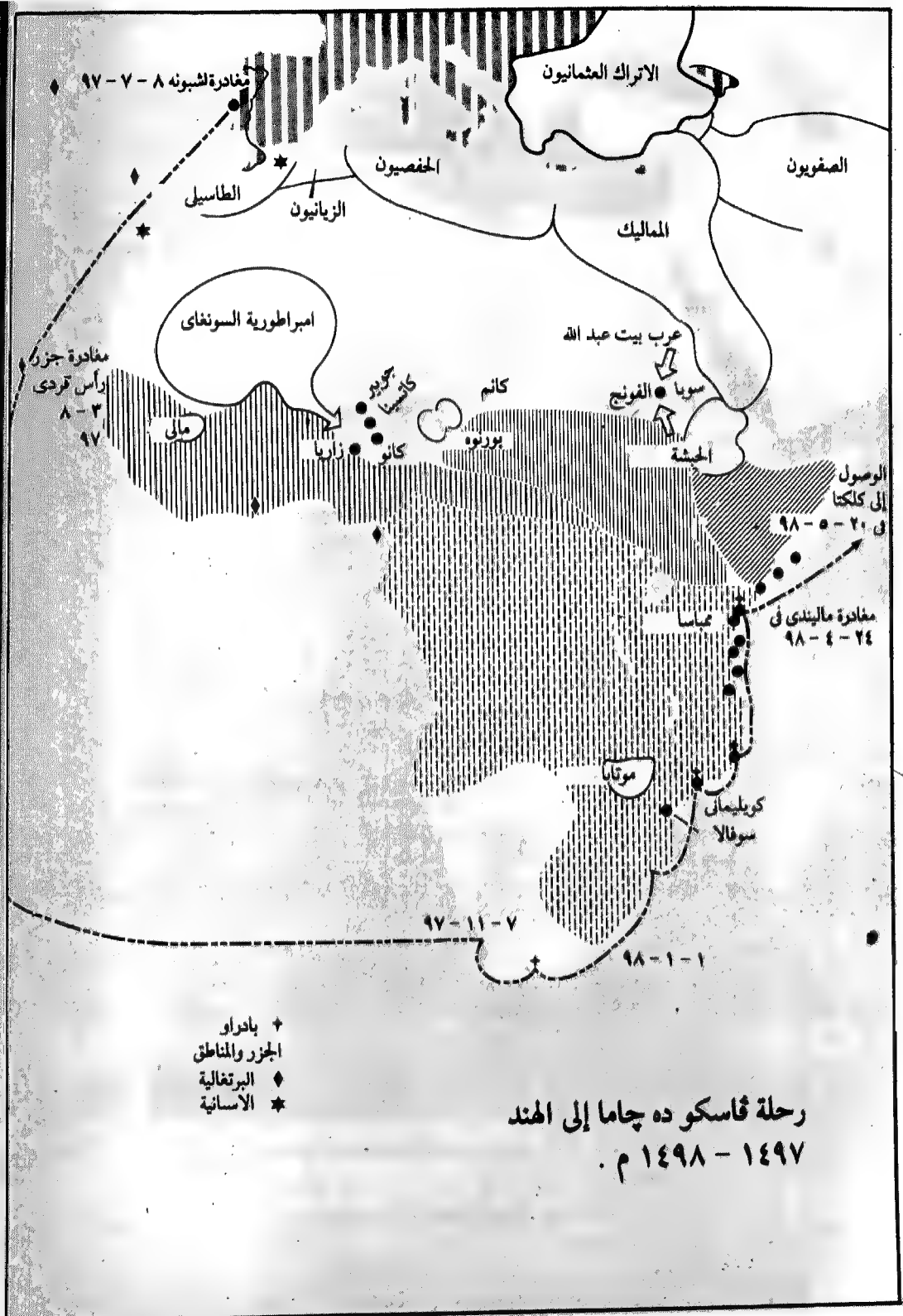
وبعد تلك الزيارة ، عاود كاو إبحاره متتبعاَ تعرجات الساحل الأفريقى . ورغم كثرة هذه التعرجات والتسوءات الأرضية الداخلة فى البحر ، كان الساحل محافظاً على اتجاهه الرئيسى نحو الجنوب . ومات ديوجو كاو قرب المكان الذى نصب فيه الصليب الحجرى الرابع ، وهو

التنوء الجبل الذى ما زال حتى الآن يسمى رأس الصليب Cape Cross .

ولكن موت ديوجو كاو لم يدفع الملك چون الثانى إلى اليأس ، وأمر بتجهيز رحلة استكشافية أخرى بقيادة قبطان جديد هو : بارثولوميو دياز Bartholomew Dias الذى تمكن أخيراً من الدوران حول رأس الرجاء الصالح سنة ١٤٨٨م ، إلى أن وصل إلى نهر السمك الأكبر Great Fish River وأراد أن يواصل الرحيل ، إلا أن رجاله اقنعوه بالاكفاء بذلك والعودة إلى الوطن . وهكذا تم اكتشاف وفتح الطريق إلى المحيط الهندى .



من فن بنين القديمة تمثال من النحاس يمثل أحد الصانع الحرفيين « نجاراً أو حداداً » . والصليب الذى يتلى على صدره ليست له دلالة مسيحية ، وانما هو رمز أفريق قديم لخلق العالم .
من معروضات متحف جامعة بنسلفانيا بالولايات المتحدة الأمريكية .



رحلة قاسكوده چاما إلى الهند

[١٤٩٧ - ١٤٩٨ م]

العرض الذى تقع عليه رأس الرجاء الصالح .
وفى سنة ١٤٩٧م أصبح الاسطول جاهزاً
للمقايام بالرحلة المرتقبة إلى الهند . ولكن لسوء
حظ دياز ، انه كان ينتمى إلى أسرة من أصل
متواضع ، فى الوقت الذى كانت ترى فيه
الارستقراطية البرتغالية أنها أحق بتقلد قيادة هذه
الرحلة التاريخية الحاسمة . وعلى ذلك فقد اختار
الملك أحد رجال حاشيته ليقوم بقيادة هذه
الرحلة ، وكان اسمه قاسكوده چاما .

وقد اتبع قاسكوده چاما خط سير الرحلة
طبقاً للخطة التى وضعها دياز ، رغم أن أول
أرض شاهدها بعد الرحلة الطويلة المضنية كانت
تبعد بنحو مائة ميل شمال رأس الرجاء
الصالح . ومع ذلك فقد اعتبرت تلك الرحلة
البحرية التى قام بها قاسكوده چاما ، أطول رحلة
قامت بها السفن الشراعية حتى ذلك الزمن فى
أعلى البحار . وبالرغم من أن هذه الرحلة قد
استغرقت ثلاثة شهور منذ أن غادره چاما جزر
رأس فيردي Capc Verde [جزر الرأس
الأخضر] ، إلا أنها اختصرت الزمن الذى كان
مفترضاً لاتمامها إلى النصف .

وبعد أن داره چاما حول رأس الرجاء
الصالح ، تحطمت أكبر سفينة فى اسطوله ، فقام
بتوزيع معداتها وتجهيزاتها على السفن الثلاث
المتبقية ، وواصل الإبحار محاذياً السواحل
الشرقية لأفريقيا . ولكنه لم يتنبه إلى وجود أول
المراكز التجارية العربية فى سوفالا ، فواصل

بالرغم من أن بارثولوميو دياز قد عثر أخيراً
على طريق الدوران حول أفريقيا ، إلا أن أحداً
من البرتغاليين لم يكن يتصور أن هذا الطريق على
مثل هذا القدر من الطول . ولذلك فقد ثارت
لدى البرتغاليين عدة تساؤلات : ما جدوى هذا
الاكتشاف بالنسبة لهم ؟ . وهل يمكن أن تكون
ثمة مغامير تبرز نفقات الرحلات البحرية عبر كل
هذه المسافات الطويلة ؟

حسمت الإجابة على كل هذه التساؤلات
ما سمعته البرتغال من أخبار الرحلة البحرية
الأولى إلى قام بها كريستوفر كولومبوس ، والمغامر
الذى أتى بها إلى إسبانيا من وراء المحيط
الاطلنطى . فإذا كانت إسبانيا ستجنى الثروات
الطائلة من وراء المحيط ، فإن البرتغال لابد أيضاً
أن تجرب حظها .

غير أن الوقت الذى ضيعته البرتغال فى مثل
هذه التساؤلات لم يكن عبثاً ، فقد تم تكليف
دياز بالإشراف على بناء اسطول صغير مكون من
أربع سفن جديدة ، وتجهيزها واعدادها للقيام
بالرحلة البرتغالية المرتقبة إلى الهند . كما وضع
دياز خطة إبحار جديدة لتحديد خط سير الرحلة
البحرية عبر طريق جديد على شكل ضلعى مثلث
يربط ما بين سواحل البرتغال ومنطقة رأس
الرجاء الصالح . وقد وضعت هذه الخطة على
أساس استغلال اتجاهات هبوب الرياح فى
المناطق المختلفة من المحيط الاطلنطى حيث تهب
الرياح الشمالية الشرقية فى مناطق وسط
الاطلنطى ، وتهب الرياح الغربية فى منطقة خط

الابحار حتى وصل إلى المركز التجارى العربى
التالى فى كويليماسى Quelimane . وبهذا
ارتبطت البرتغال لأول مرة بالنظام التجارى الذى
كان سائدا آنئذ فى مناطق شرق أفريقيا .

وقد كان العرب الذين التقى بهم ده چاما
عدائين بلا سبب مفهوم ، ولكن سوء علاقته
مع ملك مومباسا Mombasa جعلته صديقا
عزيزا لدى ملك ماليندى Malindi الذى وافق
على تزويد السفن البرتغالية بمرشد بحرى يرشدها
إلى طريق الابحار نحو الهند^(١) . وكافا ده چاما
مدينة ماليندى على ذلك ، بأن أقام فيها آخر
صلبانه الحجرية . وفى غضون نحو أربعة
أسابيع ، وصلت السفن البرتغالية إلى الهند ،
وبدأت فى شحن عنابرها بأنواع مختلفة من
التوابل . وقد انقضت عشرة شهور منذ خروج
السفن البرتغالية من ميناء لشبونة بالبرتغال حتى
وصلت إلى الهند ، وعليها الآن أن تقضى عشرة
شهور أخرى حتى تعود إلى وطنها من جديد .

وفى الوقت الذى وصل فاسكودما چاما إلى
افريقيا لأول مرة ، كانت هناك مملكتان فقط
تدينان بالمسيحية ، وهما مملكة الحبشة ومملكة

سوبا النوبية . ولكن عندما عاد ده چاما من
رحلته كانت إحدى هاتين المملكتين قد
سقطت . فقد قام « عرب بيت عبد الله »
بالاستيلاء على سوبا .

[وهم عشيرة تنتمى إلى قبيلة عرب جهينه
التي هاجرت من شبه الجزيرة العربية وتمركزت فى
المناطق الشمالية الشرقية فى افريقيا خلال القرن
الرابع عشر ، ثم بدأت فى الزحف نحو مناطق
أخرى فى افريقيا بعد ذلك] .

غير أن عرب بيت عبد الله قد اصطدموا
بقبيلة الفونچ Funj التي تعتنق ديانة غسير
سماوية ، والتي كانت تعيش بالمناطق المتاخمة
لحدود الحبشة ، ثم بدأت فى تلك الفترة زحفها
لتعيش على ضفاف النيل الأزرق .

وتجدر الإشارة أيضا إلى الغزوات التي قام بها
الملك محمد^(٢) ملك السونغاي ، واستولى بها على
ثلاث من المدن الأربعة الرئيسية التي أنشأتها
قبائل الهوسا ، وهى مدن : جوير ، وكاتسينا ،
وزايرا ، كما فرض جزية ثقيلة على المدينة الرابعة
[كانو] وهى أكبر هذه المدن .

(١) لم يشر المؤلف إلى أن هذا المرشد البحرى كان
عربيا اسمه شهاب الدين أحمد المعروف باسم
« ابن ماجد الملاح » . رغم أن المعلومات التي
أعطاهها هذا المرشد كانت السبب الرئيسى
المباشر لوصول السفن البرتغالية إلى الهند .
وعلى أية حال فقد ولد ابن ماجد فى الجزيرة
العربية ، وكان عبقرى استطاع أن يؤلف ثلاثين
كتابا فى البحرية ، تناول فيها بالتفصيل أصول

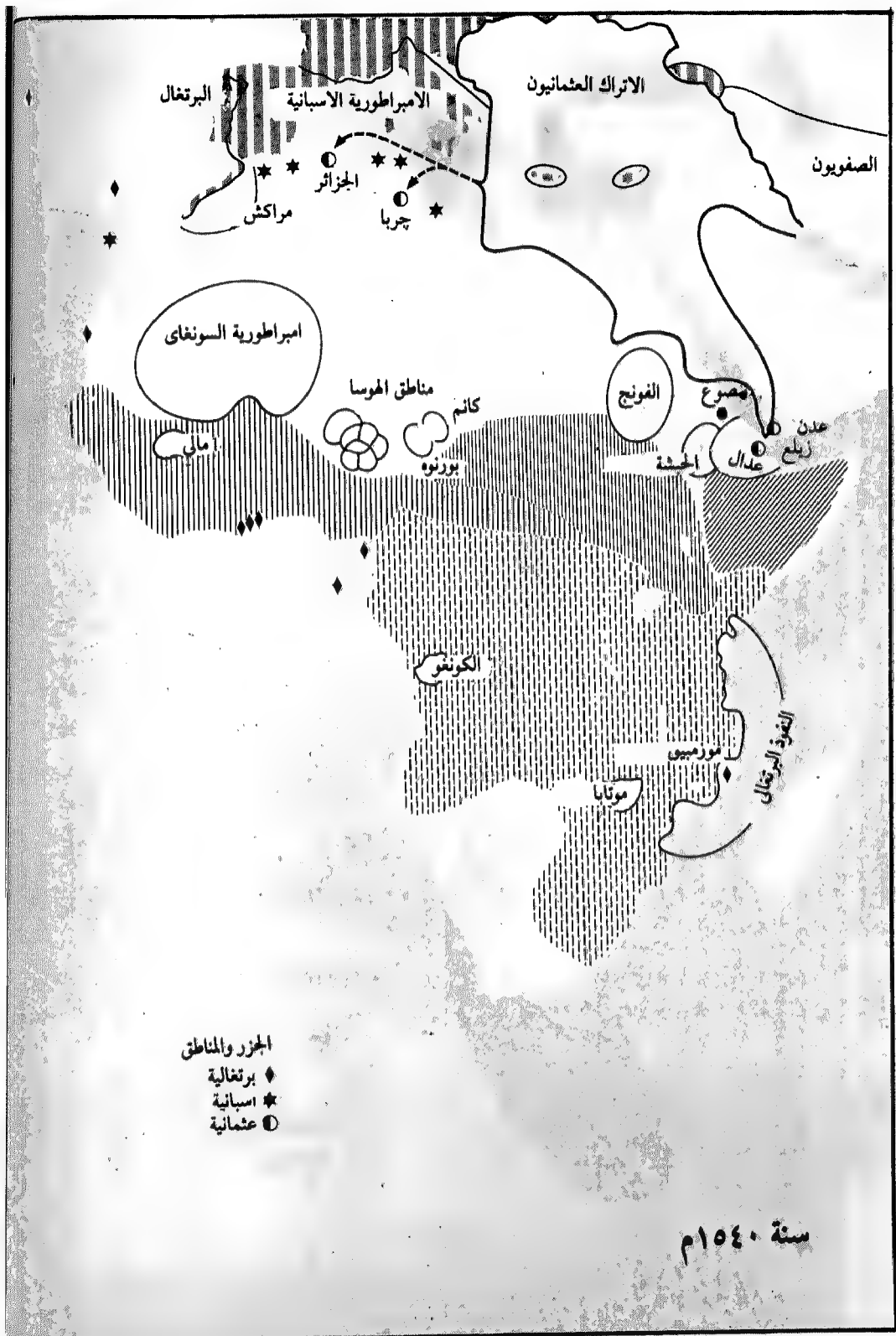
الملاحة ووصف الطرق البحرية المعروفة .
[المترجم] .

(٢) هو الملك محمد تورى ، وكان أحد القواد
العسكريين الذين كانوا يعملون فى جيش الملك
على الأكبر . وقد قام محمد تورى بانقلاب ضد
الملك الضعيف الذى خلف على الأكبر على
عرش السونغاي . وكان ذلك فى عام
١٤٩٣ م . [المترجم] .



سيف من الحديد مزخرف بأشكال فهود
مصنوعة من النحاس. كان يعتبر رمزاً
لسلطة ملوك بين القدماء على رقاب
الناس.

من معروضات المتحف القومى
بكويتناجين بالدغمارك.



برقه والمناطق المحيطة بها ، كما تم مد الحدود المصرية من الجندل الأول حتى الجندل الثالث ببحرى النيل . كما قام العثمانيون أيضا بالسيطرة على المدخل الجنوبي للبحر الأحمر حيث أقاموا حامية عسكرية في زيلع سنة ١٥٢٠ . وحامية عسكرية أخرى في عدن سنة ١٥٣٨ م . كما أمدا سلطان عدال بمعدات حربية وبفرقة من الفرسان ساعدته في تحقيق النصر ضد الأحباش ، حتى اضطر ملك الحبشة إلى الفرار من جبل إلى آخر أمام زحف المسلمين الذين أخذوا يستولون على العديد من مناطق المرتفعات الحبشية .

وكادت هذه الأوضاع ان تدفع البرتغال إلى حافة اليأس . برغم أن البرتغال قد احتفظت بسيادتها على المدن العربية التجارية الواقعة على سواحل شرق افريقيا ، وذلك اعتمادا على قوتها البحرية أساسا ، وعلى قليل من القوات البرية بصفة ثانوية . ومع ذلك فقد كانت البرتغال في حاجة ماسة إلى وجود حليف افريقى يساندها في تعزيز قوتها وتدعيم مركزها .

وقد كان من الطبيعى ان تفكر البرتغال في المملكة المسيحية بالحبشة للقيام بدور هذا الحليف . بل وكانت لدى البرتغاليين فكرة خاطئة عن الحبشة ، حيث كانوا يظنون أنهم قد عثروا على « مملكة برستر چون Prester John Kingdom » الذى انتشرت عنه الأساطير في القرون الوسطى بأنه كان يوقع الرعب في قلوب المسلمين . وعلى أية حال فقد فطن البرتغاليون إلى أن هذه المملكة لم تكن قائمة في الواقع ، بل ولم يتحقق لها وجود من قبل .

لا شك أن الرحلات الاستكشافية التى قام بها كل من كريستوفر كولومبوس ، وثاسكوده چاما قد فتحت أرجاء العالم . وما كاد القرن الخامس عشر أن ينتهى ، وبدأ شروق القرن الجديد ، حتى دخل العالم دائرة التاريخ الحديث ، خارجا من مرحلة العصور الوسطى .

ومع ذلك فقد ظلت عقلية العصور الوسطى مسيطرة لفترة طويلة تالية ، حيث ظل « الدين » هو المحرك الأكبر لشئون السياسة الخارجية ، وظل الصراع العنيف قائما بين المسيحية والإسلام ، متمثلا في الحملات « الصليبية » ضد المسلمين ، وفي « جهاد » المسلمين ضد المسيحيين .

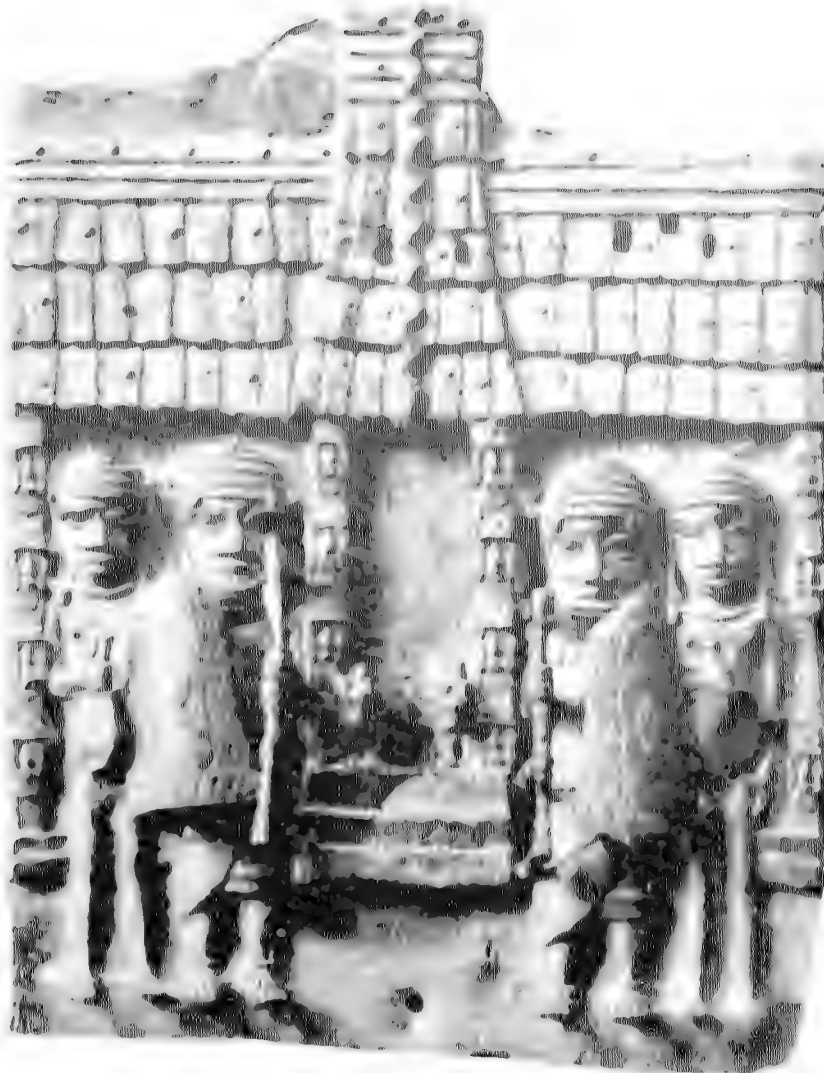
وفي القرن السادس عشر لحقت بالجيوش المسيحية هزائم نكراء متكررة ومستمرة . فقد اكتسحت جيوش الأتراك العثمانيين مناطق جنوب شرق أوروبا . وقد ازدادت قوة هذه الجيوش بعد أن ضم الأتراك إمبراطورية المماليك في مصر والشام بين عامى ١٥١٦ - ١٥١٧ م .

أما في مناطق شمال غرب افريقيا ، فقد تدخل الأتراك العثمانيون بقواتهم لفرض أوضاع سياسية جديدة على تلك المناطق التى كان متصورا من قبل من قبل أنها أصبحت لقمة سائغة للدولة المسيحية في اسبانيا . وفي النهاية أصبحت تلك المناطق التى كانت تتسم من قبل بنوع من الفوضى السياسية ، مناطق صراع مريع بين المسيحية والإسلام .

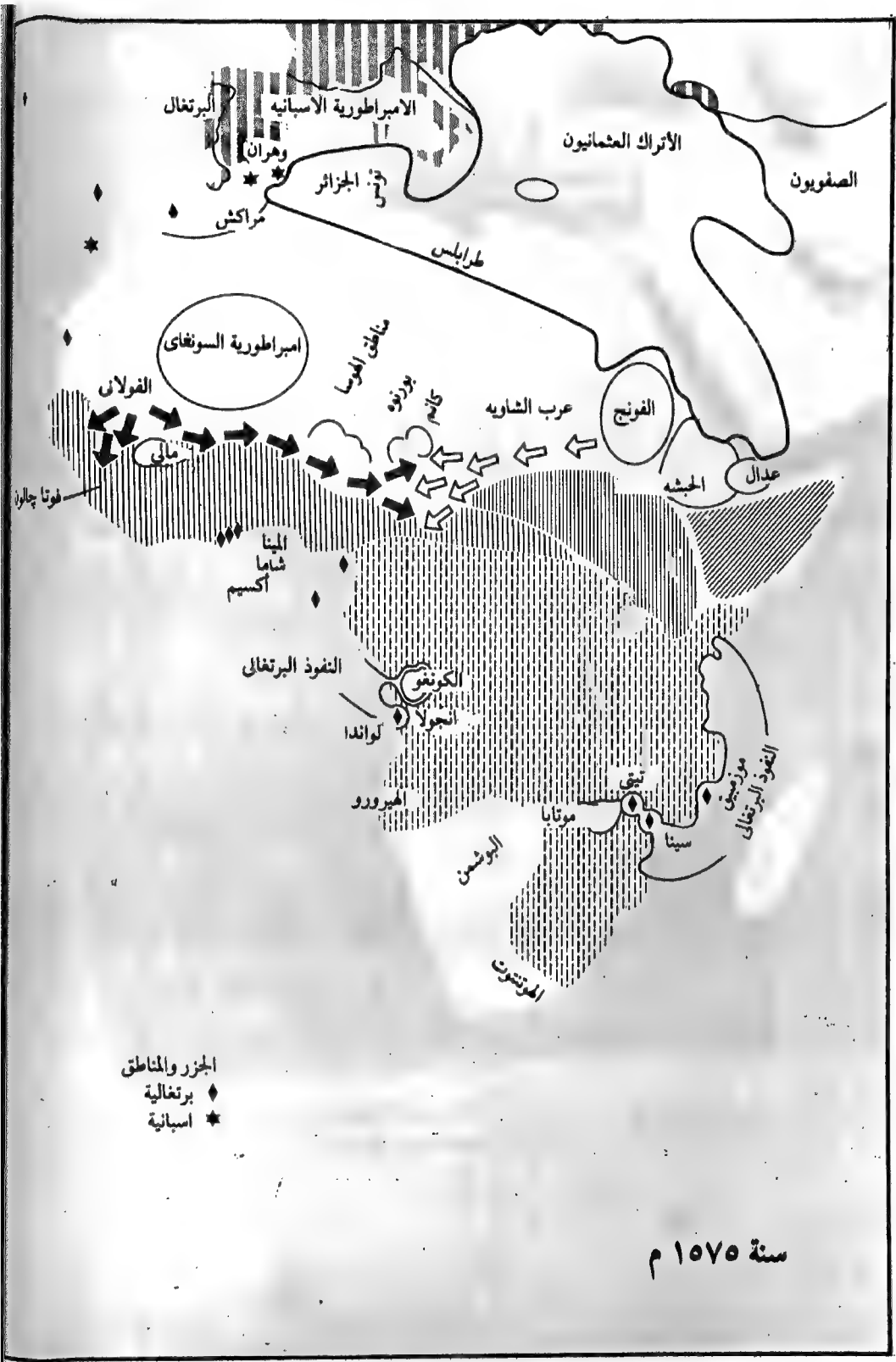
وقامت الإمبراطورية العثمانية بتوسيع رقعة المناطق العربية والأفريقية التى كانت تحت سيطرة ونفوذ إمبراطورية المماليك ، فتم الاستيلاء على

ومع ذلك وحتى لا يعتقد البرتغاليون أن طموحاتهم قد انهارت تماماً ، فقد اضطروا إلى ما ليس منه بد ، وهو إنزال قواتهم البرية على الشاطئ لاحتلال الأرض وإقامة الحاميات العسكرية . وفي سنة ١٥٤١ م أنزل البرتغاليون جيشاً صغيراً مكوناً من ٤٠٠ مقاتل تحت قيادة كريستوفر ده چاما [ابن فاسكو ده چاما] . وعسكر هذا الجيش بمنطقة مصروع التي تطل على جنوب البحر الأحمر .

أما بالنسبة لمملكة سوبا ، فقد ذكرنا أن عرب بيت عبد الله قد احتلوها في نهاية القرن الخامس عشر . ولكنهم انهزموا أمام قبيلة الفونيج في مطلع القرن السادس عشر . وأعقب ذلك حدوث نوع من التوازن بين العرب والفونيج ، حيث أصبح النصف الشمالي من مملكة الفونيج خاضعاً لحكم العرب ، أما النصف الجنوبي فأصبح خاضعاً للملك من الفونيج . وقد أدى تحول الفونيج بعد ذلك إلى الاسلام ، إلى تقوية مملكة الفونيج بقسميها .



لوحة من النحاس يرجع تاريخها إلى القرن السابع عشر تمثل بوابة قصر ملكي في بنين يقف أمامه الحراس شاهري أسلحتهم .
من معروضات متحف الثقافات الشعبية ببرلين .



وعلى هذا الاساس لم تثمر الوصاية السياسية التي فرضتها البرتغال على مملكة الكونغو بأي نفع يعود على البرتغال أو على مملكة الكونغو نفسها .

أما بالنسبة لنفوذ البرتغال في مناطق شرق أفريقيا ، فقد ظل الوضع كما هو من حيث سيطرة البرتغال على المدن التجارية العربية بسواحل شرق أفريقيا . ولكن المسلمين الذين كانوا يعيشون في تلك المدن ، والذين قبلوا سيادة البرتغال على مضض ، ظلوا متمسكين بالإسلام .

أما قبائل البانتو الذين كانوا يعيشون بالمناطق الداخلية ، فقد ظلوا على حالهم ، ولم يتأثروا لا بالاسلام ولا بالمسيحية .

ونشير إلى أن القوات المسلحة التي أنزلتها البرتغال بمختلف المناطق الأفريقية كانت قليلة ، ولا تتعدى جميعها ألف جندي ، متفرقين في العديد من القلاع التي أنشأتها البرتغال في إلينا وأكسيم Axim [بنيت سنة ١٥٠٣ م] وشاماما Shamama [بنيت سنة ١٥٢٦ م] . وهي القلاع الثلاث التي أقامتها البرتغال بسواحل الأكان . وكذا قلعة لواندا Luanda [بنيت سنة ١٥٧٥ م] في إقليم انجولا . وقلعتي تيتي Tete وسينا Sena [بنيتا سنة ١٥٧٢ م] في منطقة نهر زامبيزي . وكذا القلعة الحصينة التي كانت البرتغال قد أقامتها سنة ١٥٠٨ م ، بموزمبيق التي اعتبرت محمية برتغالية في شرق أفريقيا .

ولكن التجار والمبشرين البرتغاليين كانوا أكثر نشاطاً ، فقد تغلغلوا في المناطق الداخلية لسواحل غينيا ، وضافا نهري زائير وزامبيزي . وكان عدد هؤلاء التجار والمبشرين لا يتجاوز

تعرضت الحملة العسكرية التي حاولت بها البرتغال مساعدة حليفها المسيحية في مملكة الحبشة لهزيمة منكورة في أول الأمر . حيث قتل قائدها ومعه نصف عدد الجنود . ولكن في العام التالي استطاع البرتغاليون أن يحققوا نصراً حاسماً على جيش سلطان عدال ، الأمر الذي مكن ملك الحبشة من استعادة مملكته والمناطق التي كانت قد سلبت منها . كما ترك البرتغاليون بعض قواتهم لمؤازرة ملك الحبشة وتعزيز قواته .

وكان رد الفعل بالنسبة للعثمانيين أن قاموا بالهجوم على مصوع واحتلالها سنة ١٥٥٧ م . وبذلك قطعوا الطريق على أية امدادات برتغالية يمكن أن تصل إلى الحبشة .

أما في منطقة البحر المتوسط فقد كان العثمانيون مطلقو اليد ، إذ قاموا بطرد الأسبان من إقليم تروبوليتانيا [طرابلس] سنة ١٥٥١ م ، ومن منطقة الجزائر [بر وهران] سنة ١٥٥٥ ، ومن منطقة تونس سنة ١٥٧٤ م .

أما بالنسبة لمناطق أفريقيا السوداء ، فلم تحقق المسيحية كثيراً من النجاح . وبالرغم من أن ملك الكونغو قد قبل أن يعمد كمسيحي ، فلا يمكن القول بأن المملكة نفسها قد تحولت إلى مملكة مسيحية ، أو أن المسيحية قد أصبحت الديانة السائدة بين شعب المملكة .

ومن الملاحظ بصفة عامة أن مناطق أفريقيا السوداء كانت تقبل الديانات الجديدة [الاسلام أو المسيحية] على أساس أنها ديانة اضافية إلى جانب الرصيد الضخم المتأصل في نفوس الافريقيين من العقائد والمعتقدات المحلية .

الألف أيضاً خلال القرن السادس عشر .

وفي حقيقة الأمر يمكن القول بأن الرحلات الاستكشافية التي قامت بها البرتغال ، فتحت أمامها الطريق إلى الكثير من الأرباح والمغانم . ولكن الأغلبية العظمى من هذه الأرباح والمغانم لم تكن في إفريقيا ، بقدر ما كانت في المناطق الجديدة التي أخذت البرتغال تتطلع إليها ، في الهند واندونيسيا والصين واليابان .

أما بالنسبة للمناطق الداخلية بقلب القارة ، فقد بلغت تنقلات وهجرات القبائل ذروة نشاطها خلال القرن السادس عشر . فقد قامت قبائل الفولاني [وكانت قبائل بدوية تحترف رعى القطعان وتعيش على ضفاف نهر السنغال] بالزحف نحو الشرق ، وانتشرت في منطقة نهر النيجر الأوسط حيث وصلت إلى منطقة فوتاجالون Futa Jallon ثم واصلت انتشارها نحو الشرق حتى وصلت إلى مناطق جنوب بحيرة تشاد . وهناك اختلطت وامتزجت مع قبيلة عرب

الشاوية Shuwa التي كانت تزحف بدورها إلى مناطق الساحل العشبى بجنوب الصحراء ولكن في الاتجاه المضاد .

وعرب الشاوية هؤلاء كانوا آخر موجة من القبائل العربية التي كانت تعيش في صعيد مصر ، ثم زحفت نحو مناطق السودان . والملاحظ أن هذه القبائل العربية قد فقدت عرويتها بمرور الوقت ، بل ولم يعد لها من عرويتها سوى اللغة العربية ، وأصبحت ترعى المواشى بدلاً من رعى الجمال . كما أصبحت ملاعهم العامة وعاداتهم وطرق سلوكهم مماثلة للشعوب النيلية الصحراوية التي كانت تعيش أصلاً في تلك المناطق الإفريقية .

وأخيراً نشير إلى اكتمال زحف شعوب البانتو نحو مناطق جنوب القارة ، بوصول قبيلة الهيريرو Hereros إلى منطقة شمال غرب ناميبيا Namibia .



غطاء قديم للرأس مصنوع من النحاس وكان مثله شائع الاستعمال بين محاربي بنين القدماء .
من معروضات متحف الثقافات الشعبية بقينا بالنمسا .



قليلة جداً من جيشها الذي كان يصل تعدادها إلى ٢٦,٠٠٠ جندي . كما وقعت البرتغال نفسها — على مدى جيل كامل — تحت سيطرة اسبانيا .

أما مراکش فقد خرجت من المعركة وقد اكتسبت مزيداً من القوة التي أهلتها لعدم الوقوع في قبضة الأتراك . كما أن الأمير الجديد الذي تولى عرش ملكها أطلق على نفسه لقب المنصور ، وكانت له طموحات عسكرية .

وفي سنة ١٥٩٠ م ، وضد نصيحة إجماعية من جانب وزرائه ، نظم المنصور حملة حربية لغزو مملكة السونغاى جنوب الصحراء . وبدوا أن المنصور كان على دراية واسعة بفن نقل الجنود وكيفية تزويدهم بالعتاد والمؤن اللازمة لاختراق الصحراء عبر كل تلك المسافة الطويلة . ذلك لأن الجيش الذى أعده كان لا يزيد عدده عن ٥,٠٠٠ جندي عندما خرج من مراکش في أكتوبر ١٥٩٠ م ، ولم يصل سوى نصفه فقط إلى نهر النيجر بعد رحلة شاقة مضيئة استغرقت أربعة شهور . ومع ذلك فقد كان هذا الجيش كافياً لتشتيت جيش السونغاى ، وضمها كإقليم تابع لامبراطورية المنصور . وسرعان ما امتلأت خزائن مراکش بسبائك الذهب .

أما مناطق شرق أفريقيا في تاريخ هذه الخريطة ، فقد كانت حافلة بنشاط جم في عمليات انتشار القبائل . فمن ناحية ، زحفت قبائل اللو Luos [وهم من الرعاة الذين ينتمون إلى الشعوب النيلية الصحراوية] إلى مناطق أعلى النيل الأبيض والشواطئ الشمالية لبحيرة فيكتوريا .

كذلك حدث زحف آخر من منطقة

بينما كان الصراع الحربي بين الأتراك والاسبان على أشده في مناطق البحر المتوسط . كان هناك صراع حربي مماثل — وإن كان أضيق نطاقاً — بين البرتغال ومراكش . وكانت كفة البرتغاليين هي الراجحة على أساس أن قوتهم البحرية كانت تعطيهم فرصة المبادرة في اختيار الوقت والمكان للدخول في المعارك الحربية . ونتيجة لذلك ، كانت البرتغال في خلال القرن السادس عشر ، تسيطر على مساحة من السواحل المغربية مماثلة تقريباً للمساحة التي تسيطر عليها مراکش من هذه السواحل .

وفي سنة ١٥٧٨ م ، حاولت البرتغال تحسين أوضاعها في مراکش . فأرسلت أكبر جيش أخرجته البرتغال من أرضها حتى ذلك الزمن . ونزل الجيش بسواحل مراکش ، وكان بقيادة الملك نفسه ، وفي معيته أحد الأمراء المغاربة المطالبين بعرش مراکش . وكانت خطة البرتغال أن تجعل من مراکش دولة تدور في فلكها ، كما تتخذها قاعدة للهجوم على الأتراك وطردهم من سواحل شمال أفريقيا .

وسرعان ما نشبت المعركة بين البرتغاليين والمغاربة وهي المعركة المعروفة باسم معركة الكزار الكبير Alcazar El Kebir والمشهورة باسم معركة الملوك الثلاثة ، وسميت كذلك لأن كلا من ملك البرتغال والسلطان المطالب بعرش مراکش قد قتل أثناء المعركة ، كما أن ملك المغرب نفسه كان قد أصيب بالحمى ومات أثناء الحرب .

وتعتبر نتيجة هذه المعركة أكبر كارثة مدمرة أصيبت بها البرتغال ، فلم تكتب النجاة إلا لقلّة

مارافي Maravi قامت به قبائل الزيمبا Zimba ،
وهي قبائل بدائية شرسة من أكلة لحوم البشر ،
أوقعت الرعب في جميع مدن ومناطق الساحل
الشرقي ، حتى وصلت إلى ماليندي . ونهبت
مومباسا في سنة ١٥٨٩ م ، الأمر الذي سهل
للبرتغاليين فرصة السيطرة على هذه المناطق التي
كانت قد واجهت فيها مقاومة اسلامية .

أما في منطقة القرن الأفريقي ، فقد حدث
زحف آخر قامت به قبائل الجالا Galla التي كانت
تعيش في اقليم أوجادين Ogaden بالمنطقة
الصحراوية داخل القرن الأفريقي . فقد
انتشرت هذه القبائل تجاه الغرب ، واكتسحت
مملكة عدال ومملكة الحبشة .

وقد كان من المعتقد أن قبائل الجالا قد قامت
بالهجرة بسبب ضغط من القبائل الصومالية التي
تعيش على سواحل القرن والتي كانت تدين
بالاسلام في تاريخ هذه الخريطة . ولكن المرجح
أن سبب هجرة وزحف قبائل الجالا هو نفس

السبب الذي يدفع البدو الرعاة دائما إلى الانتقال
إلى المناطق العشبية . كما أن قبائل الجالا تعتبر
أولاد عمومة للقبائل الصومالية ، والفارق
الوحيد بينها أن هذه القبائل الأخيرة كانت تدين
بالاسلام ، بينما كانت قبائل الجالا تعيش على
الفطرة والمعتقدات الوثنية .

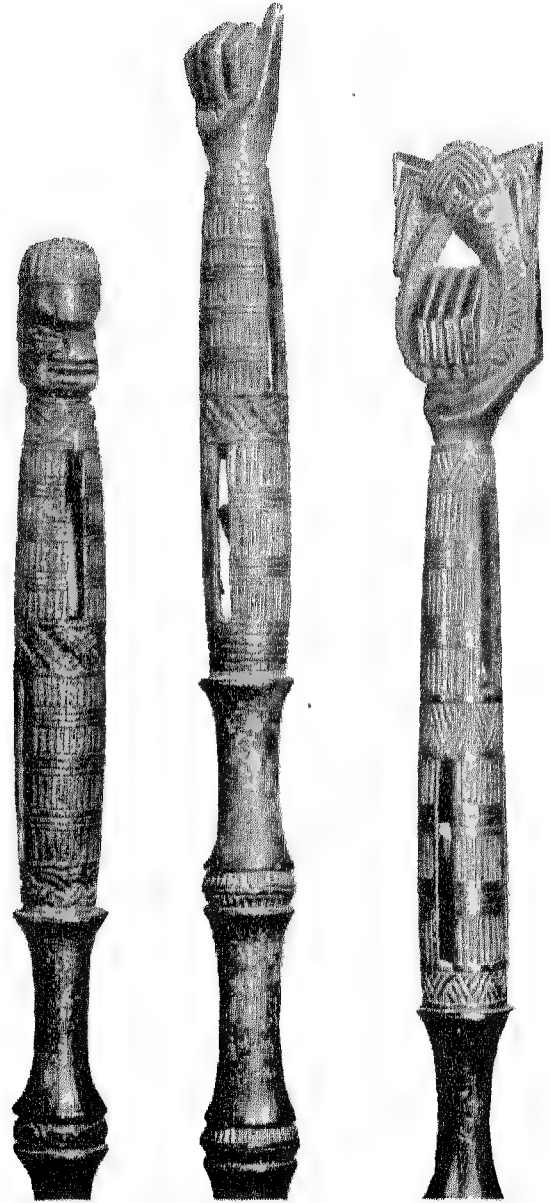
أما في المنطقة الواقعة بين النيل الأبيض
وبحيرة تشاد ، فقد ظهرت سلطنة جديدة هي
سلطنة دارفور . وكان سلاطينها من العرب
المسلمين ، أما الرعية [وهم ينتمون إلى الشعوب
النيلية الصحراوية] فلم يكن من المؤكد على
وجه اليقين مدى اعتناقهم للاسلام .

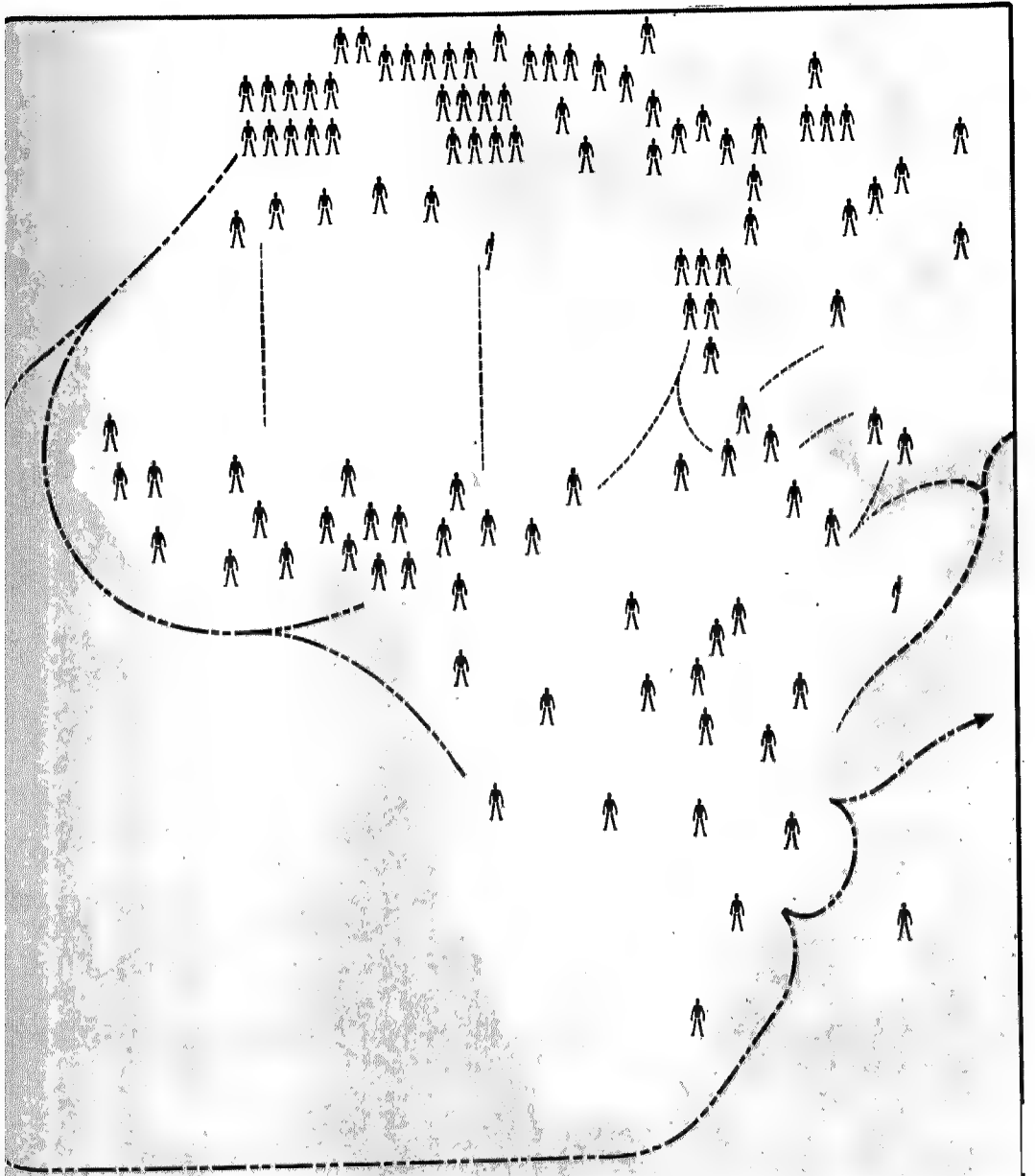
وفي منطقة بحيرة تشاد ظهر حاكم قوى هو
السلطان إدريس علومه^(١) ملك بورنوه [أو
أرض نوح] وقد استفاد من التجربة التي سبقه
إليها المنصور ، فقام بتجهيز فرقة من الفرسان
استقدمها من اقليم طرابلس ، واستخدمها في
الاستيلاء على مملكة كانم .

يعتبر أول جيش افريقي يعتمد في تسليحه على النار
والبارود ، في حين كانت الجيوش الأخرى ما زالت
تستعمل الاسلحة الافريقية التقليدية كالسهام
والرمح والحرايب . [المترجم]

(١) يعتبر ادريس علومه من أشهر المايات [الملوك] في
تاريخ بورنوه . وقام بتأسيس أرقى جيش ظهر في
ممالك وامبراطوريات افريقيا السوداء . ولم يكن
لهذا الجيش مثيل بين كل الجيوش الأفريقية ، إذ

صولجانات قديمة للدلالة على النبالة
والملكية كانت مستخدمة في مملكة بنين
القديمة .
من معروضات متحف التاريخ
الطبيعي بشيكاجو .





♀ = مليون نسمة

السكان والطرق التجارية

سنة ١٦٠٠ م

السكان والطرق التجارية

سنة ١٦٠٠

كل هذه الواردات ، لم تكن لديهم للتصدير سوى سلعة واحدة على أكبر قدر من الأهمية وهي الذهب . وتليه في الأهمية سلعة أخرى هي العبيد . وكان العالم العربي آنشد يعتبر السوق التقليدية لشراء العبيد خصوصاً من الجوارى الأنثى اللاتي كن يستخدمن في الأعمال المنزلية .

ويمكن القول بصفة عامة أن تجارة الذهب والعبيد كانت تمثل نحو ٩٠٪ من صادرات إفريقيا في ذلك الزمن ، أما النسبة الباقية فتمثل في تجارة العاج .

وفي ذلك الزمن لم تكن في أوروبا مجالات مناسبة للاستفادة من نظام استخدام العبيد ، لدرجة أن البرتغاليين عندما حاولوا تسويق العبيد الأفريقيين في أوروبا ، لم يلقوا الطلب المناسب على هذه السلعة ، فاضطر البرتغاليون إلى بيع العبيد الأفريقيين في إفريقيا نفسها [على الأخص في بلاد المغرب] .

ولكن سرعان ما اكتشف البرتغاليون أنهم في حاجة إلى استخدام العبيد في عمليات زراعة قصب السكر التي بدأوها في جزر الأطلنطي المتاخمة لإفريقيا ، والتي اكتشفوها خلال رحلاتهم البحرية [جزر ماديرا Madeira ، ومجموعة جزر رأس فيرد - جزر الرأس الأخضر^(١) - جزر رأس فيرد - جزر ساو تومي وبرنسيب Sao Tome And Principe] وقد تبين للبرتغاليين أن العبيد السود هم خير عمالة في هذه الزراعة التي كان الأوروبيون لا يقبلون على العمل بها .

في مطلع القرن السابع عشر [سنة ١٦٠٠م] وصل التعداد الاجمالي للسكان في قارة إفريقيا إلى نحو ٥٥ مليون نسمة . يعيش نحو ١١ مليون منهم - أي الخمس - في مناطق شمال الصحراء الكبرى ، نصفهم في مصر والنصف الآخر في بلاد المغرب .

أما أربعة أخماس هؤلاء السكان فكانوا يعيشون في مناطق جنوب الصحراء . وكانت منطقة غرب إفريقيا هي أكثف المناطق سكاناً تليها منطقتا رواندا وبورندي - Rwanda - Burundi اللتان تقعان - في أوغندا الحديثة - بوسط القارة .

وكانت معظم المناطق في إفريقيا السوداء على علاقة بنحو ما مع العالم الخارجى ، نتيجة لشبكة الطرق التجارية التي انشأها العرب في فترة العصور الوسطى عبر الساحل العشبى جنوبى الصحراء ومناطق السودان وسواحل شرق القارة . وذلك بالإضافة إلى الطرق البحرية التي استخدمها البرتغاليون في الربط بين مجتمعات الأطلنطي ومناطق موزمبيق وروديسيا .

وكانت السلع التي يرتفع الطلب عليها في مناطق الساحل العشبى والمناطق السودانية بصفة عامة هي : الملح والخيل والأقمشة والمصنوعات الخزفية والمصنوعات المعدنية . وبالنسبة للمناطق الساحلية ارتفع الطلب على المنسوجات والمصنوعات بمختلف أنواعها ، ثم بدأ الطلب يزداد فيما بعد على الكحوليات والطباق .

وحقن يقوم الأفريقيون السود بالوفاء بأثمان

وفي النصف الأول من القرن السادس عشر ، بدأت حركة نشطة لنقل العبيد [خصوصا الرجال] من مناطق غرب أفريقيا إلى جزر الاطلنطي المتاخمة للقارة . ثم سرعان ما امتدت حركة النقل هذه إلى المستوطنات والمناطق الزراعية التي انشأها البرتغاليون في المناطق التي اكتشفوها في العالم الجديد .

وهكذا ارتفع معدل تصدير العبيد من افريقيا السوداء من نحو ألف عبد سنوياً في بداية القرن السادس عشر [وكلهم كانوا يباعون في العالم العربي] إلى نحو خمسة آلاف عبد سنوياً في نهايات ذلك القرن ، ومعظمهم كانوا يصدرون للعمل في المناطق المكتشفة في الأمريكتين .

(١) مجموعة جزر الرأس الأخضر : تتكون من (١٠) جزر متوسطة و (٥) جزر صغيرة . تقع في المحيط الاطلنطي على بعد نحو بعد ٤٨٠ كيلو مترا غرب السنغال . وتبلغ مساحتها جميعاً نحو ٤٠٠٠ كيلومتر

مربع . وعدد السكان لا يتجاوز ٣٠٠ ألف نسمة حوالي ٦٠٪ منهم مغلطين من أصول افريقية /أوربية والباقيون من الافريقيين السود . وقد أعلنت جمهورية مستقلة سنة ١٩٨٢ باسم جمهورية كيب فيرد .
[المترجم] .



لوحة من النحاس تمثل ثلاثة من التجار الأفريقيين الذين كانوا يتعاملون مع
الأوروبيين . يرجع تاريخ اللوحة إلى القرن السادس عشر .
من معروضات المتحف البريطاني بلندن .



Benguela و Luanda و Fer nando Po
كما استعادت نفوذها في مناطق جنوب الاطلنطى.

ولم تكن هولاندا هي المنافس الوحيد الذى
استولى على المواقع التى كانت تسيطر عليها
البرتغال في افريقيا . ففي سنة ١٦٥٣م قام
اسطول عمانى قادم من شبه الجزيرة العربية
بالقضاء على سيادة البرتغال التى كانت قد
فرضتها على المدن التجارية العربية بالساحل
الشرقى لافريقيا .

ولكن البرتغاليين استطاعوا بعد ذلك أن
يستعيدوا مدينة مومباسا ومنطقة موزمبيق وبعض
المواقع الأخرى جنوب موزمبيق . كما قاموا
بتدعيم مركزهم بداخل القارة ، حيث حققوا
طموحاتهم في الاقامة الطويلة بتلك المناطق
الداخلية . وفي سنة ١٦٣٣م كانوا قد سيطروا
تماماً على مملكة موتابا Mutapa وإن كانوا لم
يحققوا من وراء ذلك أرباحاً طائلة كما كانوا
يتوقعون ، فكل الذهب الذى كانت تنتجه هذه
المنطقة ، لا يمثل أكثر من جزء ضئيل من كميات
الذهب الهائلة التى تنتجها مناطق غرب افريقيا .

أما أهم ما تجدر الإشارة إليه من أحداث
تلك الفترة ، فيتمثل في ظهور محطات الامداد
والتسوين التى انشأتها بعض الدول الأوربية
الأخرى لخدمة أساطيلها التجارية المتجهة نحو
الهند والشرق بصفة عامة . ففي سنة ١٦٤٢م
أنشأ الفرنسيون محطة بجزيرة مدغشقر . وفي سنة
١٦٥٢م أنشأ الهولنديون محطة في منطقة الكيب
Cape .

لم يكن الارتباط الذى تم بين البرتغال واسبانيا
ذا فائدة للبرتغال ، بل على العكس فقد جر عليها
الكثير من المتاعب . فقد دخل ملك اسبانيا في
صراع مع الهولانديين الذين بدأوا يحتلون
مركزهم كأكبر قوة بحرية في العالم .

وهكذا وجدت البرتغال منافساً قوياً لها في
المناطق التى كانت تسيطر عليها في افريقيا . وفي
سنة ١٦٣٧ ، استولى الاسطول الهولاندى على
المينا ، وبعد سنوات قليلة أخرى استولى
الهولنديون على بقية المراكز والمواقع البرتغالية
الأخرى على ساحل الأكان . وبذلك تم اخراج
البرتغاليين تماماً من عمليات تجارة الذهب بغرب
افريقيا .

ثم واصل الهولنديون بعد ذلك عمليات
استيلائهم على كل المناطق التى كانت خاضعة
لنفوذ البرتغال في الشرق الأقصى وفي البرازيل
بأمريكا الجنوبية .

وفي سنة ١٦٤٠م ، انفصلت البرتغال عن
اسبانيا كمحاولة منها للتفرغ لمواجهة هذا السيل
المتدفق من النكبات وايقافه عند حده . غير أن
هذا الانفصال لم يثمر بنتائج فورية ، ففي السنة
التالية ، استولى الهولنديون أيضاً على جميع موانئ
تصدير العبيد من افريقيا .

وفي سنة ١٦٤٨ تغيرت الأحوال لصالح
البرتغال التى خصصت موارد ضخمة لمواجهة
الهولانديين . وبذلك استعادت البرتغال المواقع
الرئيسية الثلاثة التى فقدتها سنة ١٦٤١م .
وهي : فرناندو بو ، ولواندا ، وينجسويلا

فاستقل باشاوات تمبوكتو بحكمها ، وعينوا
أنفسهم امراء عليها ، وإن كانوا من الناحية
النظرية مازالوا يعترفون بولاء غير مخلص للحكام
مراكش .

كذلك فقد ظهرت سلطنة جديدة هي
سلطنة الواداي Wadai المجاورة لدارفور .
كذلك فقد ضعفت سيطرة مراكش على
المناطق التي كان تابعة لها بجنوب الصحراء ،



تمثال من العاج يمثل ملكا ، عثر عليه أحد
الأطباء الأمريكيين سنة ١٨٩٧ في بنين .
من مجموعات متحف التاريخ الطبيعي
بشيكاغو .

واسعة لاقتناص العبيد وتوريدهم .

والحقيقة أن التنظيم السياسى لممالك الزنوج قد استعصى على أفهام أوروبا في البداية ، فقد كانت هذه الممالك عبارة عن تجمعات قبلية تعتنق شعائر أو طقوساً عقائدية معينة ، أكثر من كونها وحدات إدارية تخضع لنظام ادارى موحد . ونظراً لأن الأوروبيين كانوا مضطرين للتعامل مع تلك الممالك ، فقد كانوا يعترفون بداءة بشرعية حكم الملوك أو الرؤساء المحليين . ولا يتدخلون في كيفية اختيارهم أو تعيينهم ، ولا السيطرة عليهم .

وكان توريط مثل هذا النوع من الممالك بدفعها إلى قبول التزامات باهظة لا تستطيع الوفاء بها ، هو الوسيلة التى اتبعها الأوروبيون للسيطرة عليها ، وهو السبب المباشر الذى أدى إلى زوال بعض تلك الممالك وانهارها . وذلك مثلما حدث بالنسبة لمملكة الكونغو التى انهارت تماماً في أواخر القرن السابع عشر ، ومملكة موتابا التى دمرتها مملكة بوتوا Butua . وهى مملكة منافسة أنشأتها قبائل الشونا Shona سنة ١٦٩٣ م .

وقد حاول البرتغاليون أن ينشئوا لأنفسهم مستوطنة على ساحل خليج بنين ليباشروا شئون التجارة بأنفسهم ، ولكنهم فشلوا في ذلك لعدم ملائمة الظروف الصحية ، حيث كانت الحمى تفتك بهم أولاً بأول . لذلك فقد اعتمد البرتغاليون على مملكة أويو التى اتسعت سلطتها وزادت سيطرتها على تلك المنطقة ، لكى تباشر أعمال الوساطة التجارية بينهم وبين المناطق الداخلية والمناطق المجاورة . والملاحظ بصفة

في مطلع القرن الثامن عشر ، أصبح من الواضح أن الامبراطورية العثمانية أصبحت أضعف بكثير مما كانت عليه منذ قرن مضى ؛ فقد أخذت الولايات الافريقية تتمتع بسلطات شبه مستقلة ، وأصبح الحكام الذين يتولون حكم الجزائر وتونس وطرابلس ، أقرب إلى الملوك منهم إلى نواب للسلطان العثمانى . أما في مصر ، فبالرغم من أنها استمرت في دفع الجزية إلى استامبول ، إلا أن امراء الممالك قد استعادوا الكثير من سلطاتهم ونفوذهم الغابر ، واصبحوا أصحاب الكلمة العليا في حكم البلاد . الأمر الذى أصبح يعطى صورة بأن الباب العالى قد فقد القدرة على بسط نفوذه كما قلت الثقة فيه .

وبينما كانت الامبراطورية العثمانية تزداد ضعفاً ، كانت أوروبا الغربية تزداد قوة . وبالتالي ازداد نشاط الدول الأوروبية في تجارة العبيد . وفي خلال السنوات الأولى من القرن الثامن عشر ، ارتفع معدل عدد العبيد الذين كانوا ينقلون عبر الاطلنطى إلى نحو (٥٠) ألف عبد سنوياً . أى نحو عشرة أضعاف عدد العبيد الذين كانوا ينقلون سنوياً في بداية القرن السابع عشر .

وكانت يتم توريد نصف عدد هؤلاء العبيد تقريباً بواسطة الموردين المحليين في خليج بنين Bight Of Benin ، خصوصاً في قطاعه الغربى الذى أصبح يسمى ساحل العبيد Slave Coast . ولم تطلق هذه التسمية جزافاً ، فمن المعروف أن المنطقة الجنوبية من نيجيريا الحديثة ، كانت أكثر المناطق الافريقية كثافة في السكان . كما أن مملكة أويو Oyo التى انشأتها قبائل اليوروبا Yoruba بمنطقة خليج بنين كانت تقوم بعمليات

عامه أن المبادلات التجارية بين أوروبا وأفريقيا قد ازدادت واتسع نطاقها . وكان طلب الأفريقيين على السلع والبضائع الأوروبية ، أكبر كثيراً من طلب الأوروبيين على سلعة العبيد .

أما بقية أهم الأحداث التاريخية التي وقعت في منطقة غرب أفريقيا في تاريخ هذه الخريطة ، فتتمثل في الاستكشافات التي قام بها الفرنسيون لمناطق نهر السنغال ، وهو أحد الأنهار الأفريقية القليلة الصالحة للملاح .

كما نشير إلى ظهور الانجليز في منطقة جامبيا Gambia وساحل الذهب ، الأمر الذي يعنى انتهاء سيطرة الهولانديين على هاتين المنطقتين .

أما بالنسبة لمناطق شرق أفريقيا ، فقد انتهى نفوذ البرتغاليين على مومباسا بعد أن وقعت في يد

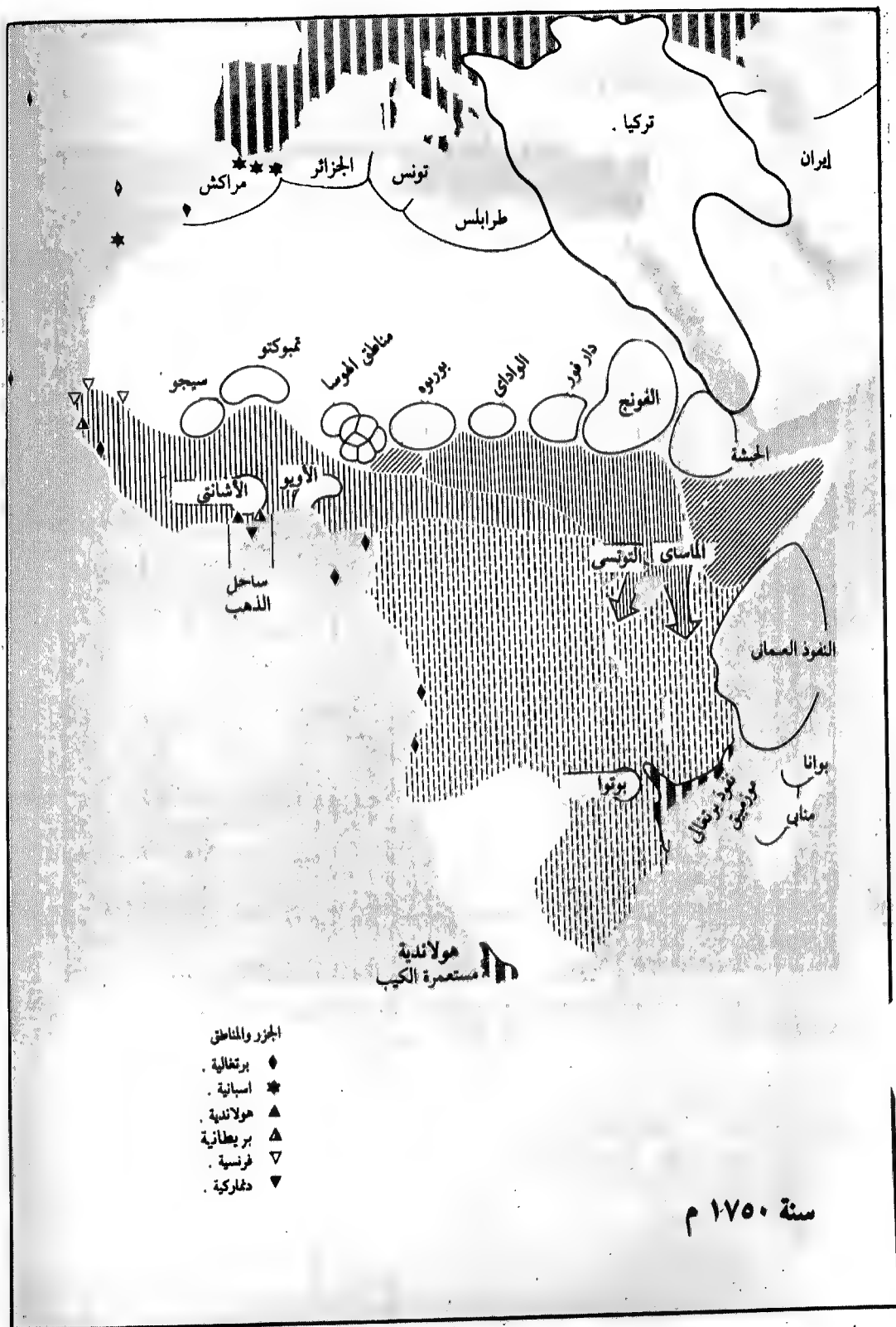
العمانيين القادمين من شبه الجزيرة العربية ، والذين حاصروا المدينة على فترات متقطعة استمرت نحو ثلاث سنوات [١٦٩٦ - ١٦٩٨ م] .

كذلك فقد دعم البرتغاليون سيطرتهم على مناطق نهر الزامبيزي الأدنى Lower Zambesi [إقليم موزمبيق]

أما في جزيرة مدغشقر فقد ظهرت لأول مرة مملكتان محليتان جديدتان انشأهما السكان المحليون من قبائل السكالافا Sakalava وهما : مملكة منابى Menabe ومملكة بوانا Boina . وذلك بعد انسحاب الفرنسيين من الجزيرة إثر نجاحهم في استعمار جزر الرينيون Reunion التي تبعد نحو ٤٠٠ ميل نحو الشرق .



لوحة من النحاس يرجع تاريخها إلى القرن السادس عشر تمثل أحد ملوك بنين القدماء وهو يعود مستعصراً من الحرب .
من معروضات المتحف البريطاني بلندن .



قبائل البامبارا Bambara [التى تنتمى إلى القبائل المتحدثة بلغة الماندى Mandi ولها عقائدها التقليدية المحلية] .

أما فى الطرف الشرقى من الأقاليم السودانية ، فقد قام سلطان الفونج بغزو إقليم كردفان وضمه إلى مملكته .

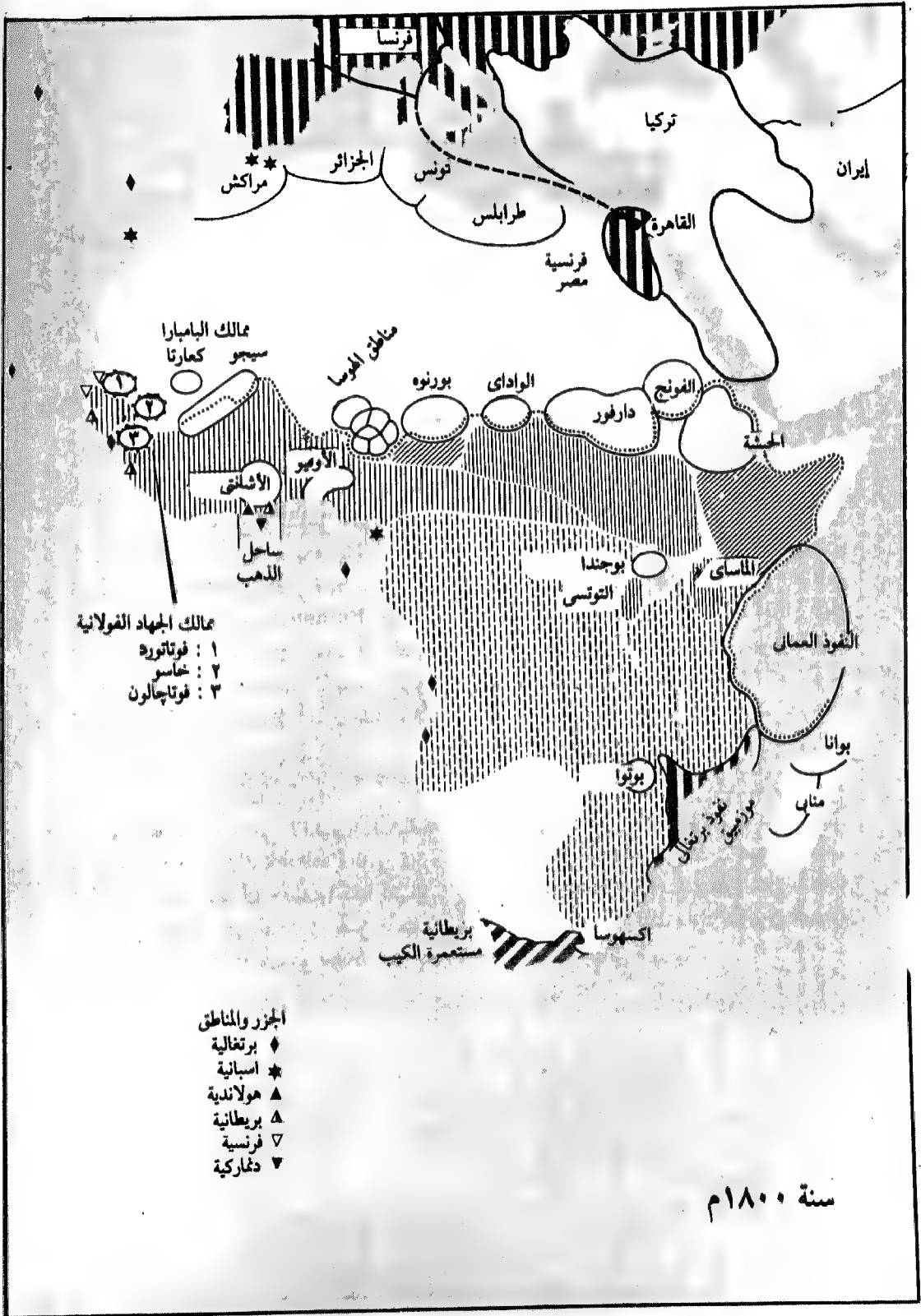
أما بالنسبة لهجرات وتحركات الشعوب النيلية الصحراوية فى مناطق شرق افريقيا ، فقد زحفت قبائل الماساى Masai من منطقة بحيرة توركانا Turkana واتجهت جنوبا عابرة مرتفعات كينيا لتقيم فى الاقليم العشيبى بتانزانيا . كما زحفت عشائر التوتسى Tutsi [وكانوا من المحاريين] من منطقة أعالي النيل الأبيض ، واستقرت فى رواندا وبوروندى ، حيث فرضت نفسها حكاما على عشائر الهوتو Hutu المحلية التى تنتمى إلى قبائل البانتو .

وفى منطقة ساحل الذهب Gold Coast التى تقع فى غانا الحديثة [وليست غانا طبقا لمفهومها التاريخى القديم] ، قامت قبائل الأشانتى Ashanti التى كانت تعيش فى اقليم كوماسى Kumasi بالسيطرة على منطقة الأكاب ، منافسة فى ذلك ملوك الأويو فى السيطرة على شعوب وقبائل اليوروبا .

لم تحدث تغيرات كبرى فى افريقيا خلال النصف الأول من القرن الثامن عشر ، سوى ما حدث من استقلال معظم الولايات الواقعة على الساحل الشمالى لافريقيا عن الامبراطورية العثمانية . حيث استقلت تونس سنة ١٧٠٥ م ، واستقلت الجزائر سنة ١٧١٠ م ، واستقلت طرابلس سنة ١٧١٤ م .

أما فى الطرف الجنوبى من القارة ، فقد قام البوير Boers [وهم مجموعات من المستوطنين الهولانديين] بالتغلغل فى المناطق الداخلية ، الأمر الذى أدى مباشرة إلى انخفاض تعداد قبائل الهوتنتوت Hottentot [وهى خليط من أصول تنتمى إلى قبائل البوشمن Bushmen وقبائل البانتو Bantu] . كما أدى أيضا إلى ظهور مستوطنة جديدة هى مستوطنة الكيب للملونين [وهم أبناء واحفاد ينتمون إلى أصول مشتركة من البوير والهوتنتوت] .

وفى الطرف الغربى من الأقاليم السودانية ، زالت سلطات الباشاليك Pashalik الذين كانوا يحكمون تمبوكتو بعد أن خضعوا كلية لقبائل الطوارق Tuareg كما ظهرت فى نفس المنطقة مملكة جديدة هى مملكة سيجو Segu انشأتها



نحو ٣٦,٠٠٠ من الجنود المتمرسين في حروب الثورة الفرنسية ، وبرزت منهم مجموعة كبيرة من العلماء المتمرسين في أفرع الثقافة والأدب والعلوم الرياضية والمهندسين .

وفي البداية أعلن نابليون أن الهدف من حملته هو الإصلاح ، وأنه جاء استناداً إلى موافقة ومباركة السلطان العثماني وشيوخ المسلمين . وبعد نحو ثلاثة أسابيع من نزول قوات نابليون إلى بر مصر ، حاول المماليك صد هجومه ومواجهة تقدمه إلى القاهرة . ونشبت بين الفريقين معركة حاسمة سميت معركة الأهرام ، رغم أن مكانها كان يبعد عن الأهرام بعدة أميال نحو الشمال . وفور انتصار نابليون على المماليك ، أعلن نفسه حاكماً رسمياً على مصر .

وقد يكون من الصعب تبين الدوافع الحقيقية للحملة الفرنسية على مصر ، إلا أنه من الواضح أن هناك عدة اعتبارات : فـنابليون كان شغوفاً بتمثيل دور الاسكندر الأكبر . كما أن منافسيه كانوا شغوفين بإبعاده عن فرنسا . أما الجنود فقد كانوا يرغبون في اغتنام بعض ثروات الشرق .

وعلى أية حال فلم تستطع القوات الفرنسية أن تبقى بمصر لمدة طويلة ، خصوصاً بعد تدخل انجلترا التي تسيدت البحار في تلك الفترة والتي كانت تعتبر العدو اللدود لفرنسا . وبمجرد أن عثر الاميرال البريطاني نلسون على موقع الاسطول الفرنسي ، في خليج أبي قير ، حتى قام الاسطول البريطاني في منطقة البحر المتوسط بتوجيه ضربة عنيفة دمر بها الاسطول الفرنسي وقضى عليه .

في مطلع القرن التاسع عشر ، طرأ تغيير طفيف على خط الحدود الجنوبية للإسلام في المناطق الأفريقية بالنسبة لما كان عليه الحال في مطلع القرن الثامن عشر .

وفي الفترة ما بين عامي ١٧٧٦ - ١٧٨٦ م ، قامت قبائل الفولاني بجهاد متابر لنشر الدعوة الإسلامية في ثلاث مناطق جديدة بمناطق غرب السودان . وانشأت بالتالي ثلاث دويلات ثيوقراطية [دينية] هي : فوتاتورو Futa Toro ، وفوتاجالون Futa Jal-Ion ، وخاسبو Khasso . وتتسم هذه الدويلات جميعاً بشدة التمسك بالصارم بتعاليم الدين . وهذا الاتجاه يشذ عن الطريقة الشائعة في ممارسة الأديان بمناطق أفريقيا السوداء .

أما في مناطق نهر النيجر ، فقد كان الحال على العكس ، حيث قامت قبائل البامبارا - وهي ذات عقيدة أفريقية محلية - بالقضاء على تمبوكتو في سنة ١٧٨٧ ، وضمتها إلى مملكتهم في سيجو .

أما في بقية المناطق السودانية فلم يطرأ شيء جديد سوى ازدياد عدد المسلمين في اقليم كردفان ، وذلك بعد أن تعرض هذا الاقليم للغزو من جانب مملكة الفونج سنة ١٧٥٠ م ، ثم للغزو مرة أخرى من جانب اقليم دارفور سنة ١٧٩٠ م .

أما في مصر التي تعتبر قلب العالم الإسلامي في أفريقيا ، فقد حدثت تطورات هامة ، حيث نزلت قوات الحملة الفرنسية بقيادة نابليون بوناپرت في منطقة أبي قير قرب الاسكندرية في يوليو ١٧٩٨ م . وكان الجيش الفرنسي مكوناً من

وقد استمر بقاء نابليون بمصر لسنة أخرى بعد تلك الضربة ، إلى أن استطاع التسلل من مصر على ظهر فرقاطة فرنسية أعادته إلى وطنه . أما الجيش الفرنسي الذى تركه بمصر ، فقد غادرها بعده بنحو سنتين [سبتمبر ١٨٠١ م] وذلك بعد الاتفاق على هدنة بين إنجلترا وفرنسا .

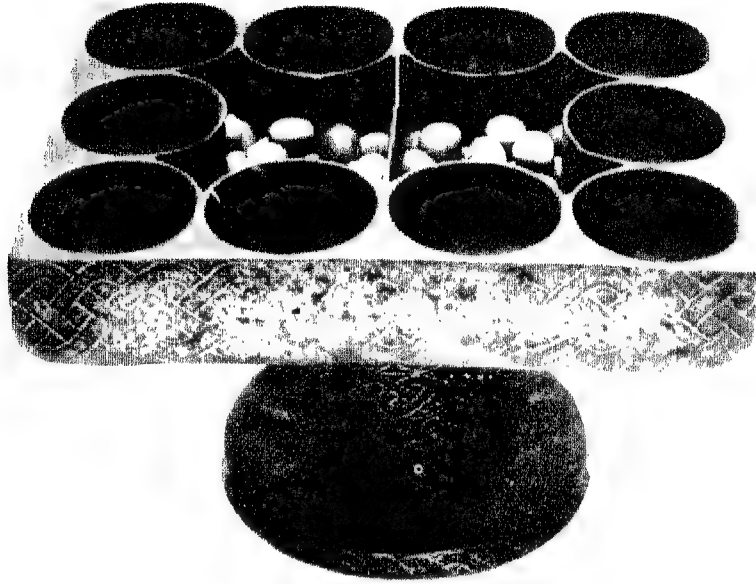
أما فى جنوب افريقيا ، فقد تميز الربع الثالث من القرن الثامن عشر بتوسع البوير فى الزحف إلى المناطق الداخلية بجوب القارة ، حتى وصلوا إلى المناطق التى كانت تعيش فيها قبائل الاكسهوسا Xhosa التى تنتمى إلى قبائل وشعوب البانتو . وهناك حدثت بين البوير وهذه القبائل مجموعة من المناوشات أطلق عليها اسم حرب الكافير^(١) Kaffir الأولى بين سنتى ١٧٧٩ - ١٧٨١ م ، وحرب الكافير الثانية سنة ١٧٩٣ م . وفى حقيقة الأمر كانت هذه الحروب عبارة عن مناوشات وغارات تقوم بها قبائل

الاكسهوسا للسطو على قطعان البوير ، وغارات انتقامية يقوم بها البوير للثأر من تلك القبائل .

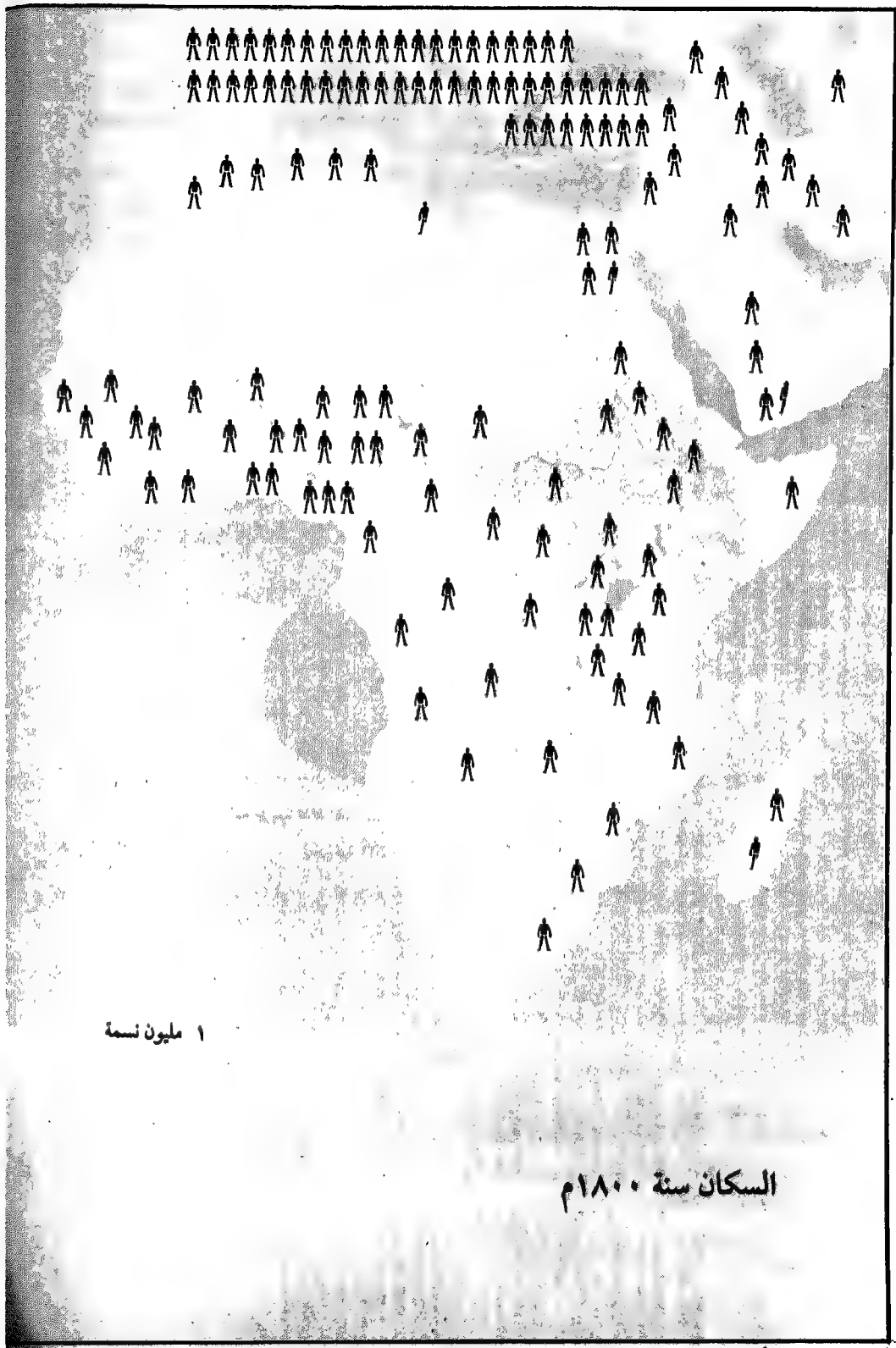
وكذلك فقد تم استيلاء الانجليز على مستعمرة الكيب من الهولانديين ، الذين كانوا فى ذلك الوقت حلفاء لفرنسا ، ودخلوا بالتالى فى نطاق الصراع الفرنسى البريطانى . وقد استولى الانجليز على المستعمرة سنة ١٧٨٥ م . غير أن الهولانديين استطاعوا استعادة المستعمرة سنة ١٨٠٣ م لفترة قصيرة وقفت فيها المعارك الحربية بين إنجلترا وفرنسا ولكن الانجليز استولوا على مستعمرة الكيب مرة أخرى بصفة نهائية سنة ١٨٠٦ م .

أما ابرز الأحداث التاريخية التى وقعت بمناطق شرق افريقيا فى تلك الفترة ، فتتمثل فى ظهور أول أكبر مملكة انشأتها قبائل البانتو ، وهى مملكة بوجندا Buganda التى تقع فى منطقة شمال غرب بحيرة فيكتوريا .

(١) الكافير : مصطلح يطلق على مجموعة القبائل والشعوب المتحدثة بلغة البانتو والذين يعيشون فى مناطق جنوب افريقيا . [المترجم]



لعبة افريقية قديمة كانت تسمى « حبل العالم » . من مصنوعات بنين القديمة .
ومعرضة الآن ضمن مجموعة « سوثنى » بلندن .



التوزيع السكاني سنة ١٨٠٠

اليوم بنحو مائة مليون نسمة] .

ويمكن القول بأن اخراج العبيد من افريقيا لم يؤثر في نظام التوزيع السكاني للقارة ، وذلك تأسيساً على أن تجارة العبيد التي بلغت ذروتها في عقد الثمانينات من القرن الثامن عشر ، كانت تستنزف من افريقيا نحو ١٠٠,٠٠٠ عبيد سنوياً . وهذا الرقم يكاد يعادل نصف المعدل السنوي لزيادة السكان في مناطق افريقيا السوداء . كما أن الاغلبية العظمى من هؤلاء العبيد كانوا من الذكور ، الأمر الذي قلل من التأثير في نقص السكان نظراً لأن الأناث قد قمن بتعويض هذا النقص بزيادة معدل الإنجاب .

كما يمكن القول أيضاً بأن الاتصالات التي تمت عبر الاطلنطي بين افريقيا والعالم الجديد ، قد أدت إلى إدخال أنواع جديدة من المحاصيل الزراعية إلى افريقيا مثل الذرة ونبات المنيوق Manioc ، وهو نبات تستخرج من جذوره مادة نشوية مغذية . وقد أدت هذه المحاصيل الزراعية الجديدة دورها في زيادة عدد المواليد بما يعوض أعداد العبيد الذين اخرجوا من القارة .

ومن أهم المناطق التي أدت فيها زراعة الذرة إلى زيادة معدل السكان إلى حد كبير ، المنطقة التي كانت تعيش فيها شعوب البانتو في جنوب افريقيا . حيث ارتفع عدد البانتو - سنة ١٨٠٠ م - إلى نحو مليوني نسمة ، وهو عدد كبير جداً إذا قورن بعدد البوير الذين كانوا يعيشون في منطقة الكيب ، وكانوا لا يزيدون عن ١٦,٠٠٠ نسمة .

في السنوات الأولى من القرن التاسع عشر ، أصبحت القبائل والشعوب السوداء تمثل الاغلبية الساحقة بين سكان افريقيا . ففي مناطق جنوب الصحراء الكبرى كان يعيش نحو ٦٠ مليوناً من السود ، مقابل عشرة ملايين يعيشون في مناطق شمال الصحراء .

إلا أننا نشير إلى أن بين الشعوب الافريقية التي كانت تعيش جنوب الصحراء ، كان هناك نحو خمسة ملايين من الكوشيين [النوبيين] الذين لا يمكن اعتبارهم من الأجناس السوداء بصفة قاطعة ، ونحو مليون ونصف مليون من شعب مالاجاسي Malagasy ، وهم بدورهم لا ينتمون إلى الجنس الاسود على الاطلاق .

ومع ذلك فيمكن القول بأن قارة افريقيا أصبحت الوطن الرئيسي للسود ، على اعتبار أن بين كل أربعة يعيشون في افريقيا ، بينهم ثلاثة ينتمون إما إلى الزنوج ، أو إلى الشعوب النيلية الصحراوية Saharan — Nilo .

أما التحركات والتنقلات البشرية التي حدثت بين افريقيا والعالم الخارجي ، فلم تؤدي إلى تغيير هذه الصورة العامة للتوزيع السكاني بمناطق القارة . وذلك بالرغم من أنها قد أدت بالفعل إلى تغيير صورة التوزيع السكاني بالأمريكتين . لأن الافريقيين السود الذين اخرجوا عنوة من قارتهم وبيعوا عبيداً في العالم الجديد ، كونوا في هذا العالم مجتمعات جديدة من الجنس الاسود وصل تعدادها سنة ١٨٠٠ م إلى نحو خمسة ملايين نسمة . [ويقدر احفادهم

النيجر
السنغال
سيجو
جامبيا
منحدرات
بوسا
بحيرة تشاد
?
?
أنهار الزيت
?
زائير
قرية كازمبي
الزامبيزي
الأورانج

افريقيا في نظر
الجغرافيين الاوربيين
سنة ١٨٠٠ م

افريقيا في نظر الجغرافيين الأوروبيين

سنة ١٨٠٠

الراسية قرب الساحل ، ودون اضطراب إلى النزول إلى الشاطئ إلا في القليل النادر .

ولكن حتى تتم سيطرة الأوروبيين على تلك المناطق التي تجري فيها هذه المبادلات التجارية ، كان من اللازم أن يقيم بعض الأوروبيين في مستوطنات أو تحصينات حربية ينشئون على الساحل ، وكانوا يفعلون ذلك على مضض ، ويقصد حماية هذه المناطق التجارية من أطماع الأوروبيين الآخرين ، وليس بقصد السيطرة على الأفريقيين .

ومع ذلك كانت هناك بعض الاستثناءات على هذه الصورة العامة . وعلى سبيل المثال فإن منطقة الكيب تعتبر منطقة صحية بالنسبة للأوروبيين ، ولذلك فقد تمكن البوير من استيطانها والاقامة المستمرة فيها ، بل والتوغل في مناطقها الداخلية . وفي سنة ١٨٠٠ م ، كان البوير قد استكشفوا كل مناطق نهر أورانج Orange .

وكذلك الحال بالنسبة للبرتغاليين الذين استطاعوا الإقامة في مستوطنتين : أنجولا على الساحل الغربي ، وموزمبيق على الساحل الشرقي . وقد يعزى ذلك إلى أن استمرار إقامة البرتغاليين في تلك المناطق الأفريقية لمدة تقرب من ٣٠٠ سنة ، قد اكسبهم قدراً كبيراً من المناعة والقدرة على مقاومة الأمراض المستوطنة . وهكذا اكتسب هؤلاء الأفروبرتغاليون Afro — Portuguese القدرة على التوغل في المناطق الداخلية بأمان تام .

حتى سنة ١٨٠٠ م ، ظلت افريقيا السوداء — بالنسبة للأوروبيين — قارة مجهولة ، لم تتوفر عنها معلومات كافية لمدة طويلة من الزمن ، بحيث أصبح من الصعب رسم أية خريطة موثوق بها ، لأكثر من ربع مساحة المناطق الشاسعة الواقعة جنوب الخط الذي يمر ببحيرة تشاد . أما الاسئلة الخاصة بمنايع النيل أو بمنايع الكونغو ، أو بمصب النيجر ، فقد ظلت بالنسبة للأوروبيين اسراراً مغلقة .

وهناك سبب مباشر لعدم توافر تلك المعلومات يتلخص في كلمة واحدة هي « الملاريا » Malaria . فإذا افترضنا أن عشرة من الأوروبيين قد نزلوا بسواحل غرب افريقيا ، فمن المؤكد أن ستة منهم على الأقل سيموتون بالملاريا قبل نهاية العام . ومن المؤكد كذلك ان نسبة هذه الوفيات سترتفع فوق هذا المعدل إذا عاش الأوروبيون في المناطق الداخلية . ولهذا فلم يكن من المستغرب أن يطلق على مناطق غرب افريقيا اسم شائع هو : « مقبرة الرجل الأبيض » .

وكنتيجة مباشرة لهذا السبب القوي ، أصبح من المحتم على الأوروبيين أن يقللوا اتصالاتهم بافريقيا إلى أقصى قدر مستطاع ، وأن يمارسوا هذه الاتصالات على حذر . ولذلك فقد أصبحت المبادلات التجارية مع الأفريقيين تتم على هذا النحو : يحضر الأفريقيون بضائعهم [العبيد والذهب والعاج] إلى الساحل ، ويقوم الأوروبيون بالتجارة معهم وهم على سفنهم

بريطانيا مزودين بالبنادق . وكانت خطته أن يصل إلى سيجو أولاً ، وهناك يشتري قارباً يركبه هو وجنوده ، ويسير بهذا القارب في منتصف مجرى النهر تماماً دون حاجة إلى النزول إلى الشاطئ . وإذا صادفته أية متاعب من جانب الأهالي ، فسوف يفتح عليهم النيران الكثيفة من بنادق جنوده . وهكذا يستمر في رحلته عبر النيجر حتى يصل إلى البحر من خلال مصبه .

ورغم أن هذه الخطة تبدو سليمة من الناحية النظرية ، إلا أن الجنود البريطانيين لم تكن لديهم تلك المناعة التي اكتسبها مونجو بارك ضد الملاريا ، لذلك فقد تهاوى الجنود مثل الذباب . ولم يعد باقياً منهم إلا أربعة فقط ، هم الذين استطاعوا الوصول مسالين إلى سيجو ، وركبوا القارب مع بارك للقيام بتلك الرحلة .

ومع ذلك فقد نجح بارك وجنوده الأربعة في التوغل في مجرى النيجر إلى مسافة تصل إلى نحو ألف ميل ، حتى وصلوا إلى منحدرات النهر في منطقة بوسا Bussa . وهناك لقي الجميع حتفهم بعد الاشتباك في معركة مع الأهالي . ولم يكن هؤلاء الأهالي من المسلمين الذين توقع منهم الخطر ، بل كانوا من الوثنيين الذين اعتقدوا أن بارك وجنوده مسلمون يريدون غزو بلادهم .

ويموت مونجو بارك على هذا النحو ، ظل مصير مجرى النيجر مجهولاً : فهل ينحني النيجر بعد منحدرات بوسا ليكون الدلتا التي كان يطلق عليها في خلال القرن التاسع عشر « أنهار الزيت » Oil Rivers ، أم يواصل النهر انحناءه نحو الجنوب ليتصل بنهر زائير ، أو يصبح هو نفسه نهر زائير ، أم ينحني النهر شمالاً ليصب في بحيرة تشاد ؟ !

ولم تجد كل هذه التخمينات والافتراضات جواباً شافياً .

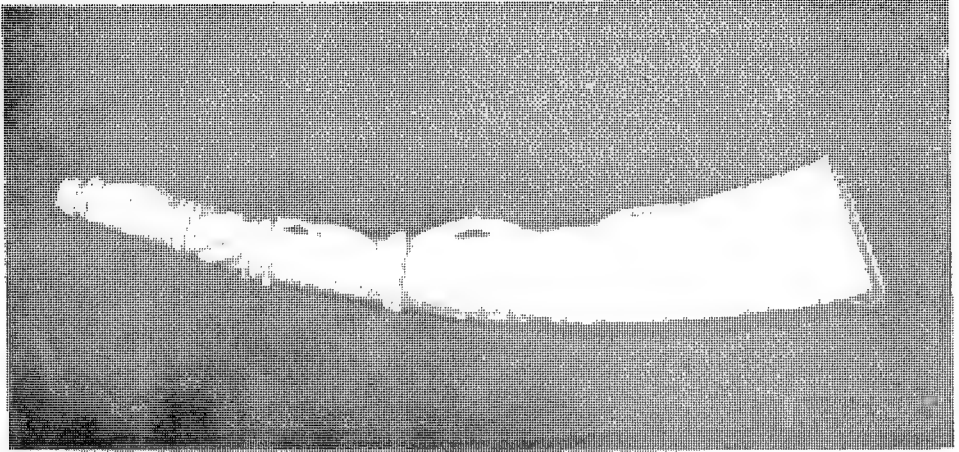
ومع ذلك فقد ظل البرتغاليون يقيمون في المناطق الساحلية بصفة أساسية . وحتى إذا امتد نشاطهم التجاري لمسافة ٤٠٠ ميل بالداخل ، سواء من منطقة انجولا أو من منطقة موزمبيق ، فقد كان من المتعين عليهم أن يجتازوا ٨٠٠ ميل أخرى حتى يصلوا - برا - من مستوطنة إلى أخرى . وهي مسافة طويلة جداً وتمتد في مناطق لم يتم استكشافها بعد ، وتعتبر مناطق مجهولة تماماً .

وفي سنة ١٧٩٨ م ، حاول البرتغالي فرانسيسكو لاسيردا Francisco Lacerda أن يخترق هذه المناطق الداخلية التي تقع بين انجولا وموزمبيق ، ولكنه لقي حتفه في قرية كازمبي Kraal of Cazembe وهي أبعد نقطة داخلية استطاع التجار البرتغاليون القادمون من منطقة نهر زامبيزي ، الوصول إليها للمتاجرة مع أهلها .

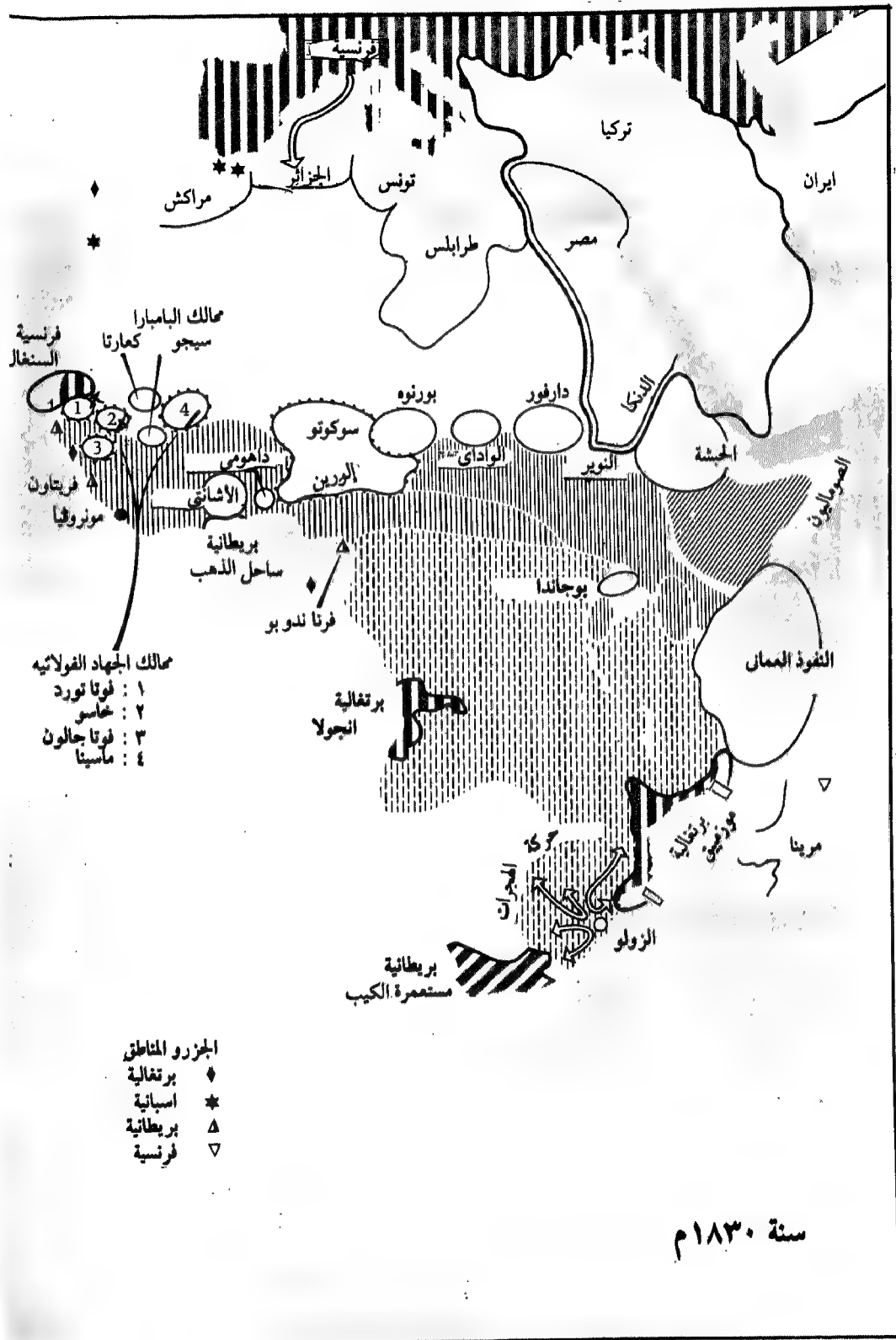
ومن أهم البعثات الاستكشافية التي قام بها الأوربيون في تلك الفترة بقصد التوغل في المناطق الأفريقية الداخلية ، تلك الرحلة التي قام بها مونجو بارك Mungo Park الذي غادر إنجلترا سنة ١٧٩٥ م قاصداً استكشاف مناطق نهر النيجر . وبالرغم من نوبات الحمى التي أصيب بها ، فقد استطاع أن يشق طريقه بين جامبيا وسيجو خلال سنة ١٧٩٦ م .

وما إن وصل إلى سيجو حتى أثر العودة سالماً بعد أن تأكد له أنه سيتعرض للقتل إذا توغل في الداخل أكثر من ذلك ، حيث أن المسلمين الذين يعيشون في مناطق النيجر الأوسط يتخذون موقفاً عدائياً ضد أى مسيحي يحاول الوصول إلى تلك المناطق .

وفي سنة ١٨٠٥ م ، عاود مونجو بارك الكرة مرة ثانية ، ولكنه أحضر معه هذه المرة ٤٦ جندياً



مزمارة أفريق قديم 'مصنوع من العاج المزخرف ، وله دلالة سحرية .
من معروضات المتحف البريطاني بلندن .



كان من المستحيل أن يسمح لهم البريطانيون
بالإقامة داخل حدود المستعمرة .

كذلك فقد هربت بعض القبائل الأخرى
نحو الشمال في المنطقة المعروفة الآن باسم
موزمبيق ، ولكن هذه المنطقة لم ترحب بهم ، ولم
تقبل لجوئهم إليها ، عدا بعض الجماعات
القليلة التي نجحت في التسلل إلى المنطقة وأقامت
فيها .

أما أصلح ملاذ لجأت إليه القبائل الهاربة من
وجه الزولو ، فكان يقع في منطقة المروج العليا
High Veld بجبال دراكنزبرج
Drakensberg ، وهي سلسلة جبلية تمتد
موازية للساحل . وكانت هذه المنطقة تعتبر في
ذلك الوقت من أهدأ المناطق الأفريقية وأقلها من
ناحية الكثافة السكانية ، حيث تعيش فيها
مجموعات قليلة من قبائل السوتو Sotho التي
تعيش بمجموعاتها الرئيسية على المنحدرات
والسفوح الغربية لجبال دراكنزبرج .

ومع ذلك فما أن حلت قبائل انجونى Nguni
بتلك المنطقة هاربة من وجه الزولو ، حتى حلت
الفوضى في جميع أنحاء المنطقة . [ويطلق اسم
انجونى على القبائل التي كانت تعيش في المناطق
الواقعة بين جبال دراكنزبرج وساحل المحيط ،
وهي قبائل كانت تستخدم لغة الطقطقة والقرقة
Clicks في التخاطب ، وهي لغة اكتسبتها من
الاحتكاك والاتصال بقبائل الهوتنتوت
Hottentots .

أما في مناطق غرب إفريقيا ، فقد شهدت في
مطلع القرن التاسع عشر ، استمرار عمليات

في العقد الثالث من القرن التاسع عشر ،
ارتفع المعدل السكاني في النصف الجنوبي من
إفريقيا السوداء بشكل أدى إلى حدوث عديد من
الأزمات السياسية التي اتسمت بالعنف
الشديد . وكانت بؤرة هذا العنف متمثلة في
الملك شاكا Shaka الرهيب الذي حكم قبائل
الزولو Zulus في الفترة من سنة ١٨١٨ م حتى
سنة ١٨٢٨ م . وكانت فترة حكمه عبارة عن
سلسلة متصلة من المعارك الضارية ، التي كان
يجرز فيها النصر دائما ، بسبب للتكتيك الجديد
الذي اتبعه شاكا في تدريب مقاتليه على استخدام
الحراب في الطعن المباشر ، وليس عن طريق
قذفها باليد أو بقوس السهام . وبهذه الطريقة
استطاعت الزولو أن تبث الرعب والفرع بين
جميع القبائل من سكان المناطق المجاورة .
وبذلك ونحت قيادة الملك شاكا ، تحول الزولو من
مجرد عشيرة لا أهمية لها ، إلى أن أصبحوا العنصر
المهيمن في جنوب شرق إفريقيا .

وقد استحال على جميع القبائل المجاورة
للزولو أن تواجه الانقضاضات الضارية
والغارات الوحشية التي كانت تشنها عليهم بين
حين وآخر ، الأمر الذي أدى بهذه القبائل إلى أن
تفر أمام الزولو وتبتعد عنهم بقدر الامكان .

وقد اتجهت بعض هذه القبائل هاربة إلى
الجنوب . ولكنها اصطدمت بالحامية البريطانية
التي كانت تسيطر على الحدود الشرقية لمستعمرة
الكيب ومناطق نهر السمك الأعظم Great Fish
River . وبطبيعة الحال فلم يكن في استطاعة
تلك القبائل أن تخترق خطوط البريطانيين ، كما

المناطق الواقعة على ضفاف النيجر بين مدينتي
جيني وتمبوكتو .

وفي نفس الوقت تقريبا ، ظهر اثنان آخران
من بناء الممالك والامبراطوريات في افريقيا .
أولهما : الملك راداما الأول Radama 1 ملك
Merina ، وهي الدولة التي انشأها ابوه في
منطقة متواضعة في جزيرة مدغشقر ، ولكنها
كانت منطقة كثيفة السكان . وفي خلال فترة
حكم راداما الأول التي استمرت من سنة ١٨١٠
إلى سنة ١٨٢٨ م ، استطاع أن يوسع حدود
المملكة حتى أصبح يسيطر على الجزيرة كلها .

أما ثاني بناء الامبراطوريات الذين ظهر وا في
افريقيا خلال تلك الفترة فهو محمد علي الضابط
بالجيش العثماني والذي أرسله سلطان تركيا
للمحافظة على النظام في مصر في اعقاب
انسحاب جيش الحملة الفرنسية . ونجدد الإشارة
هنا إلى أن محمد علي كان الوحيد بين معاصريه من
قادة وحكام افريقيا ، الذي قرر تكوين جيش
حديث على النظام الفرنسي ، ليحقق به التفوق
الحربي المائل للتفوق الذي كان يتمتع به الجيش
الفرنسي . وحتى يحقق محمد علي هذا الهدف ،
فلم يقتصر على مجرد شراء الاسلحة النارية من
دول أوروبا ، بل قام أيضا بتغيير التكوين
الاجتماعي لقواته المسلحة .

ويمكن القول بأن محمد علي قد بدأ
اصلاحاته بالفعل في سنة ١٨١١ م بعد قيامه
بمذبحة الماليك ، وبذلك قضى على البقية
المتبقية من النظام العسكري الاقطاعي القديم ،
الذي كان يقصر حرفة الحرب والتعامل بالاسلح
على طبقة واحدة متميزة هي طبقة الماليك .
وعلى هذا فقد شرع محمد علي على الفور في تجنيد
ابناء الفلاحين المصريين - وهم طبقة كانت
محتقرة من قبل - وكون منهم فرقا للمشاة قام

« الجهاد » الاسلامي التي بدأتها قبائل الفولاني
خلال الربع الأخير من القرن الثامن عشر . وقد
تم أكبر انجاز لهذه القبائل على يد الملك عثمان
دان فوديو Usman Dan Fodio الذي استطاع
خلال سنوات قليلة أن يسيطر على جميع
« الدويلات / المدن » السبع التي انشأتها قبائل
الهوسا ، والتي كان يطلق عليها اسم الهوسالاند
Hausaland أو مناطق الهوسا . ولم يسيطر
عثمان دان فوديو على تلك المدن السبع وحدها ،
بل ضم إلى كل مدينة كل ما كان يجاورها من
المناطق المحيطة ، بحيث أصبح اسم هوسالاند
ينصرف إلى الدويلات / المدن السبع وما يتاخها
من مناطق مجاورة .

وأهم المناطق التي صار ضمها إلى تلك المدن
منطقة إيلورين Ilorin التي كانت تعتبر فيما سبق
الاقليم الشمالي لامبراطورية الأويو التي انشأتها
قبائل اليوروبا . وما أن فقدت الامبراطورية هذا
الاقليم ، حتى انهارت تماما ، ولم يعد متبقيا منها
سوى إحدى الممالك التي كانت تابعة لها ، وهي
مملكة داهومي Dahomey التي اعتبرت المملكة
الوحيدة التي تفصل بين الهوسالاند وسواحل
البحر .

وفي سنة ١٨١٧ م مات عثمان دان فوديو في
المدينة الجديدة سوكتو Sokoto التي انشأها
لتصبح عاصمة لامبراطوريته . وخلفه على
العرش ابنه القدير محمد بللو Mohamed Bel-
lo الذي حافظ على الامبراطورية ، ثم خلفه على
العرش أحد مريديه المخلصين وهو أحمدو لوبو
Ahmado Lobo الذي سعى إلى نشر الدعوة إلى
« الجهاد » في مناطق النيجر الأوسط ، وخصوصا
في دويلة ماسينا Masina التابعة لقبائل
الفولاني . وقد نجح أحمدو لوبو في ذلك حتى
أصبح في خلال سنوات قليلة ، يسيطر على كل

بتدريبهم وتسليحهم طبقا لنظام الجيوش الغربية .

وعندما طلب السلطان العثماني من محمد علي أن يساعده في القضاء على « الثورة الوهابية » التي نشبت في شبه الجزيرة العربية ، استطاع هذا الجيش المصري الجديد أن ينجح فيما فشل فيه الجيش العثماني . وفي سنة ١٨١٨ م أعاد محمد علي النظام إلى شبه الجزيرة العربية بعد أن قضى على الثورة .

وفي سنة ١٨٢٠ م قام محمد علي بجيشه الجديد بعملية عسكرية لحسابه الخاص ، ضم على أثرها كل مناطق النوبة العليا ، وبذلك امتدت حدود الامبراطورية المصرية جنوبا حتى وصلت إلى مناطق لم يستطع الوصول إليها القراعة الأوائل .

ولم تكن اصلاحات محمد علي قاصرة على الجانب العسكري فحسب ، بل امتدت أيضا لتشمل الجوانب المدنية . فأنشأ مئات المدارس ، وعشرات المصالح الحكومية والادارية . وأخذ بنظام التعداد السكاني . وأقام أول مطبعة حكومية في مصر .

ولكن المشكلة الرئيسية التي لم يستطع محمد علي أن يحلها ، هي كيفية تدبير الموارد الكافية لتمويل هذه المشروعات كلها . فالإقتصاد المصري كان يقوم أساساً على الزراعة . ورغم أنه أدخل بعض الصناعات الحديثة في البلاد ، إلا أن الهوة بين هذا التقدم الصناعي والتقدم الذي كانت تحرزه أوروبا في ذلك الوقت كانت سحيقة . وقد أدى هذا الوضع إلى ازدياد الواردات من الخارج دون أن يقابلها ما يوزيها من صادرات ، الأمر الذي أصبح يهدد بحدوث الكثير من المشاكل .

وربما كان محمد علي يأمل في الحصول على الذهب من أراضي السودان . ولكن ظنه هذا كان على غير أساس . وبالرغم من حصوله على بعض المكاسب بسبب ازدياد عمليات صيد الأفيال للحصول على العاج من المناطق الجديدة التي فتحها [مناطق النيل الأبيض حيث تعيش شعوب الدنكا والنوير Dinka And Nuer] فمن المؤكد أن محمد علي لم يحصل من أية منطقة من تلك المناطق على موارد تغطي تكاليف الحملة العسكرية التي أرسلت للسيطرة عليها .

ومن أهم الأحداث التاريخية التي وقعت في سواحل شرق أفريقيا في تلك الفترة قيام السلطان سيد سلطان عمان بإعادة فرض السيطرة على جميع المدن الساحلية وتوحيدها في مملكة قوية واحدة تخضع للسيادة العمانية ، وذلك اعتباراً من سنة ١٨١٣ م فصاعداً .

أما في مناطق شمال أفريقيا ، فقد قام الفرنسيون بغزو الجزائر سنة ١٨٣٠ م ، تحت الادعاء بأن الجزائريين قد أهانوا السفير الفرنسي وعاملوه معاملة غير لائقة . وقد واجه الفرنسيون بعض الصعوبات في الاستيلاء على الجزائر ، ومع ذلك فلم تكن لديهم خطة واضحة للاستفادة التي قد يجنونها من وراء الاستيلاء عليها .

وفي سنة ١٨١١ م ، قامت طرابلس باحتلال واحات فزان Fezzan كمحاولة للسيطرة على الطريق التجاري الذي يصل بين طرابلس ويورنوه ، والذي كان أثقل في ذروة نشاطه .

وقد شهد مطلع القرن التاسع عشر أولى المحاولات لوضع نهاية لتجارة العبيد التي كانت

تتم عبر الاطلنطي . وقد تولت بريطانيا القيام بهذه المهمة . فأصدرت في سنة ١٨٠٧ م قوانين تحريم تجارة العبيد في المناطق التي تسيطر عليها . كما حثت الدول الأوروبية الأخرى لتنتهج نفس السياسة .

وبطبيعة الحال فإن إصدار قوانين تحريم تجارة العبيد شيء ، وتطبيق هذه القوانين كان شيئاً آخر . وقد أخذت بريطانيا على عاتقها تدبير الموارد اللازمة لمنع تجارة العبيد بطريقة إيجابية ، فخصصت اسطولاً حربيّاً للمراقبة أمام سواحل غرب إفريقيا ، ومزوداً بالتعليمات اللازمة للبحث عن أية سفينة يشك في قيامها بنقل العبيد من إفريقيا ، وإيقاف هذه السفينة بصرف النظر عن جنسية العلم الذي ترفعه .

ولذلك فقد انخفض عدد العبيد الذين يتم نقلهم من سواحل غرب إفريقيا انخفاضاً كبيراً . ولكن لوحظ في نفس الوقت ازدياد عدد العبيد الذين كان البرتغاليون يقومون بتفريغهم من سواحل أنجولا . فقد كان المستعمرون البرتغاليون في حاجة ماسة إلى المزيد من العبيد لتعمير وزراعة المساحات الشاسعة في البرازيل التي كانت خاضعة لحكم البرتغال في ذلك الوقت . ومع ذلك فيمكن القول بأن عمليات تجارة العبيد قد بدأت تنخفض على مستوى العالم أجمع .

وقد أدى اضطلاع بريطانيا للقيام بتنفيذ قوانين تحريم تجارة العبيد إلى زيادة النفوذ البريطاني في مناطق غرب إفريقيا ، بالمقارنة بغيرها من الدول الأوروبية الأخرى . وقد ظهر هذا الاتجاه جلياً في منطقة ساحل الذهب ، التي أصبحت محمية Protectorate بريطانية ، رغم وجود بعض القلاع أو التحصينات الحربية التابعة لهولاندا والدنمارك .

وفي سنة ١٨٢٤ م قامت بريطانيا بخطوة حاسمة في هذا الاتجاه ، حين قام الجيش البريطاني بتحرير قبائل الفانتى Fante التي كانت تعيش على الساحل من سيطرة « الأشانتهين » Ashantehene [ملك قبائل الاشانتي] .

وتجدر الإشارة إلى أن هذه الخريطة والخريطة التالية أيضاً ، تبيان وجود المنشآت الدنماركية على ساحل الذهب ، حيث لم تخرج الدنمارك من تلك المنطقة إلا في سنة ١٨٥٠ م حين باعت حقوقها في تلك المنطقة إلى بريطانيا .

كما أن هذه الخريطة والخريطتين التاليتين ، تبين استمرار وجود الهولانديين حتى سنة ١٨٧٢ م بمنطقة ساحل الذهب . ولعل السبب في قبول بريطانيا استمرار وجود كل من الدنماركيين والهولانديين بتلك المنطقة ، يرجع إلى أسباب تجارية وليس بقصد تحقيق أهداف سياسية .

وقد أصبحت منطقة ساحل الذهب مستعمرة بريطانية بصفة رسمية اعتباراً من سنة ١٨٧٤ م . وهي المنطقة التي تدخل الآن ضمن حدود دولة غانا الحديثة .

وظهرت في منطقة غرب إفريقيا دولتان إفريقيتان لهما علاقة مباشرة بعمليات منع وتحريم تجارة العبيد ، وهما : سيراليون Sierra Leone وليبيريا Liberia .

ففي سنة ١٧٩٢ م أنشأ البريطانيون مدينة فريتاون Freetown [وهي النواة التي نشأت حولها دولة سيراليون] وذلك بقصد توفير ملجأ آمن للعبيد المحررين الذين وقفوا إلى جانب البريطانيين أثناء حرب الاستقلال الأمريكية . وكانت بريطانيا قد قامت من قبل بمحاولة توطين هؤلاء العبيد المحررين في كندا ، إلا أنهم لم

يحتملوا البرد القارس في الأصقاع الكندية .

ومع أن عدد العبيد الذين اعيدوا من كندا إلى فريتاون كان لا يتعدى ألف عبد ، فقد أصبح من الواضح أن مصير فريتاون قد أصبح محل شك . ولكن عندما رابط الاسطول الملكي البريطاني أمام سواحل غرب افريقيا في سنة ١٨٠٨ م لتنفيذ قوانين تحريم تجارة العبيد ، زال الشك عن مصير فريتاون بعد أن أودع بها جميع العبيد الذين تم انقاذهم من بين أيدي النخاسين . وعلى مدى نحو خمسين عاما ، تم انقاذ وتحرير حوالي ١٠٠,٠٠٠ عبد ، أرسل نحو ٨٠ ٪ منهم للاقامة في فريتاون . ومع ذلك فقد فر نصفهم في محاولة للرجوع إلى مواطنهم الأصلية [وقليلون منهم استطاع تحقيق ذلك] . أما النصف الآخر فقد استمر في الحياة الجديدة في فريتاون .

أما مونروثيا Monrovia عاصمة ليبيريا ، فلها أيضا تاريخ ماثل . فقد انشأ الأمريكيون هذه المدينة سنة ١٨٢١ م لمساعدة العبيد المحررين في الرجوع إلى افريقيا . وفي سنة ١٨٤٧ م أعلنت ليبيريا جمهورية مستقلة . وكان تعدادها لا يزيد عن ١٦,٠٠٠ نسمة معظمهم من العبيد المحررين العائدين من امريكا عبر الاطلنطي ، بالإضافة إلى نحو ٦,٠٠٠ من العبيد الذين حررتهم سفن خفر السواحل التابعة للاسطول الأمريكي والتي ارسلت إلى سواحل غرب افريقيا للمعاونة في إيقاف عمليات تجارة العبيد . وقد أجبر هؤلاء العبيد المحررين على الإقامة في ليبيريا .

وبطبيعة الحال ، فإن هذه الاعداد تعتبر ضئيلة للغاية ، ولتمثل أكثر من قطرة أضيفت إلى السكان المحليين الذين كانوا يعيشون في منطقة ليبيريا من قبل . وعلى سبيل المثال فإن

عدد الليبيريين الذين يعيشون حاليا في جمهورية ليبيريا ، والذين ترجع أصولهم إلى أصول أفرو امريكية لا يتعدى ١ ٪ من عدد السكان الاجمالي .

وفي سنة ١٨٢٧ م انشأ الاسطول الملكي البريطاني قاعدة له في جزيرة فرناندو بو ، وذلك لاحكام مراقبة وتنفيذ قوانين تحريم تجارة العبيد . وكانت هذه الجزيرة تابعة في الأصل للبرتغال . وفي سنة ١٧٧٦ م تخلت عنها البرتغال لاسبانيا مقابل تحلى اسبانيا عن بعض المناطق في امريكا الجنوبية لصالح البرتغال . ثم قامت اسبانيا بتأجير تلك الجزيرة لبريطانيا التي ظلت مسيطرة عليها حتى سنة ١٨٥٨ م . وخلال تلك الفترة قامت سفن الاسطول البريطاني بغل يد تجار العبيد ، ووضعت نهاية لعمليات تصدير العبيد من افريقيا إلى الأمريكتين .

ولذلك فإن الدول والدويلات الافريقية الواقعة على سواحل غرب افريقيا والتي كانت تساهم في عمليات اقتناص وجلب العبيد وبيعهم قد عانت معاناة شديدة بسبب نقص الموارد التي كانت تجنيها من تلك التجارة . وبالرغم من أن بريطانيا قد حاولت تعويض بعض خسائر تلك الدول والدويلات ، وذلك بتشجيع إمارات نهر النيجر على زراعة وإنتاج زيت النخيل كاجراء بديل للدخل المفقود ، إلا أن هذه الفترة قد اتسمت بتقليص الصادرات الافريقية المنقولة عبر الاطلنطي إلى أقصى حد .

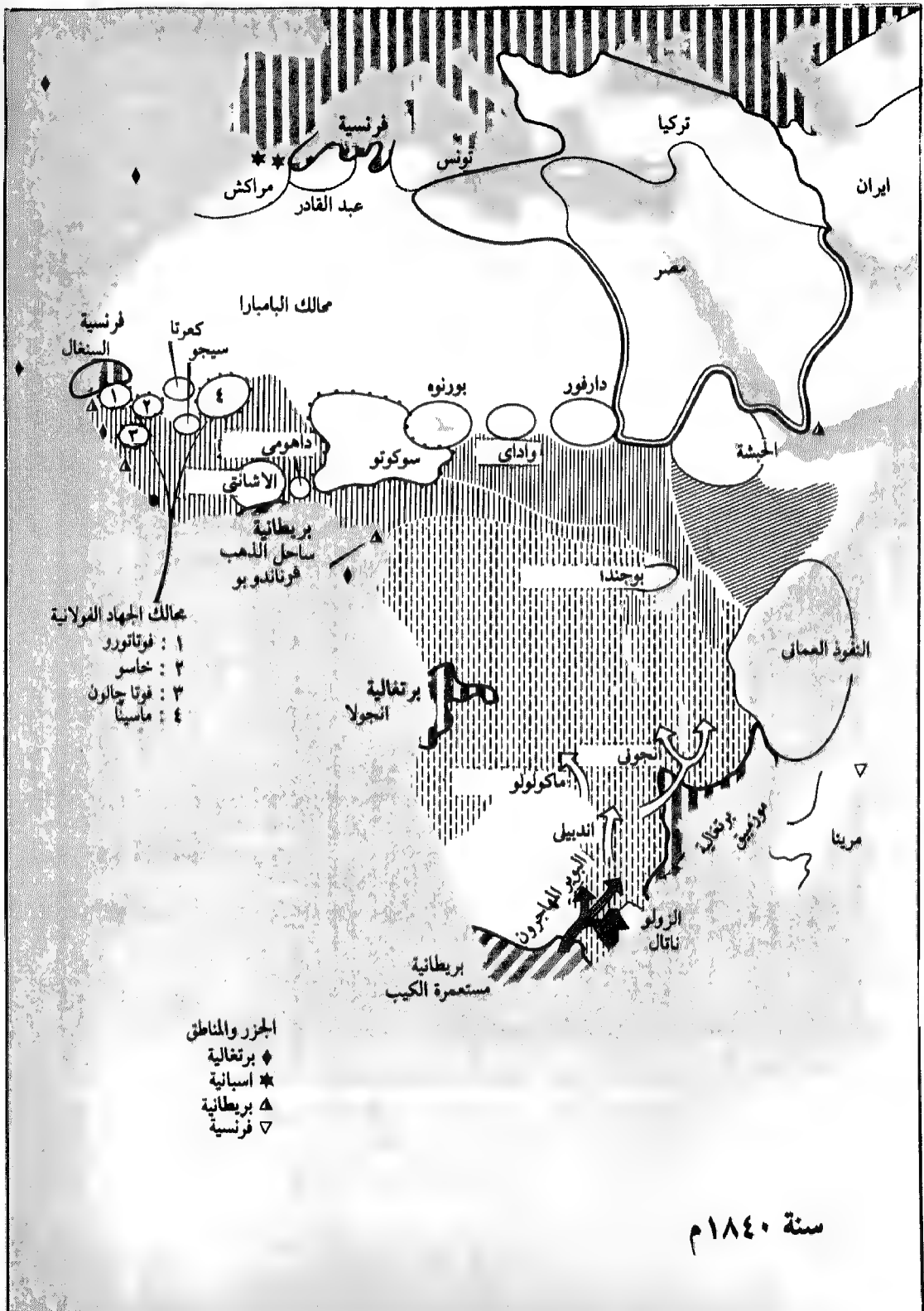
كذلك فقد عادت عمليات تحريم تجارة العبيد بالوبال على مختلف فئات الذين كانوا يعملون في تلك التجارة البغيضة . فالجرمون أصبحوا الآن يحالون إلى الجلادين المدنيين لينالوا عقابهم ، كما أن أسرى الحرب أصبحوا يرسلون إلى الأطباء السحرة

للتضحية بأرواحهم . ولعل هذا هو السبب في اصطباغ نظم الحكم في ممالك غرب افريقيا في خلال القرن التاسع عشر بصبغة دموية مروعة . وعلى سبيل المثال فإن دولة مثل داهومي التي كانت تضطلع من قبل بنشاط كبير في عمليات

تصدير العبيد ، أصبحت آنثذ مشغولة باعدام العديد من الاشخاص غير المرغوب فيهم . وكانت الطرق التي تنفذ بها هذه الاعدامات ، هي النهاية الغريبة لتلك التجارة البغيضة التي كانت تتسم بالحزن وتدعو للأسف .



لوحة من النحاس يرجع تاريخها إلى منتصف القرن السابع عشر تمثل أحد ملوك بنين المحاربين .
من معروضات متحف الفن بكابيفلانده .



في ذلك الوقت ، ويحكمه الملك دينجان Dingane الذى تولى عرش الزولو بعد قيامه باغتيال أخيه نصف الشقيق الملك شاكا . ولم يتردد الملك دينجان لحظة واحدة حين أمر بذبح بيت رتيف وحاشيته عندما قاموا بزيارته في قريته . وسرعان ما نشبت الحرب بين البوير والزولو ، وكانت الغلبة فيها للنوير الذين استطاعوا أخيراً اعلان جمهوريتهم المستقلة التى كانوا يطمحون إليها دائماً [سنة ١٨٣٩ م] .

وفي نفس الوقت تقريباً كانت القبائل الافريقية التى هربت من وجه الزولو وتشتتت في مناطق جنوب شرق افريقيا [وأهمها قبائل انجونى] ، وقد واصلت هروبها حتى وصلت أخيراً إلى مقرها النهائي على جانبي بحيرة نياسا Nyasa بعد أن انتصرت في المعارك التى خاضتها ضد مملكة الشونا Shona [روديسيا حالياً] ومملكة مارافى Maravi [مالاوى حالياً] .

كذلك فقد قامت جماعات من الماكولولو Makololo التابعة لمجموعة قبائل السوتو Sotho بالهجوم على مملكة اللوزى Lozi التى انشأتها قبائل الباروتسى Barotse في أعالي نهر زامبيزى Zambesi . ولعل هذا هو السبب في أن سكان هذه المنطقة الآن يتحدثون بلغة السوتو .

كذلك فقد فرت قبائل انديبى Ndebele أمام زحف البوير المهاجرين ، واكتسحت في طريقها مملكة بوتوا Butua الواقعة في غرب المناطق التى تسيطر عليها قبائل الشونا . وهناك استقرت قبائل انديبى وأمسست مملكتها الخاصة .

كان البوير لا يطبقون الحكم الهولانديين الذين كانت ترسلهم هولاندا لحكم منطقتهم . وبالتالي فقد أصبحوا يكرهون الحكم الانجليز الذين كانت تعينهم انجلترا لحكم المنطقة بعد أن استولت عليها . وبينما انحازت أوربا إلى الفكرة العامة التى تحرم تجارة العبيد ، ظل البوير متمسكين بفكرتهم السابقة عن الافريقيين السود ، باعتبارهم مخلوقات أدنى خلقهم الله خصيصاً للكدح في خدمة الانسان الابيض .

ولذلك فقد تعرض البوير للضغط من جانب الحكومة البريطانية التى قامت بتحرير مستعمرة الكيب ، ومن جانب بعثات التبشير المحلية ، لكى يضعوا حداً لوحشيتهم في معاملة الافريقيين . ولكن البوير تمسكوا بانتهاك قوانين تحريم العبودية ، واضطروا إلى الهجرة الجماعية لغادارة المستعمرة والابتعاد عن مناطق النفوذ البريطانى . وفيما بين عامى ١٨٣٥ - ١٨٤٠ م ، قام نحو عشرة آلاف منهم بعبور نهر أورانج Orange الذى كان يعتبر حداً فاصلاً للنفوذ البريطانى ، وأقاموا في منطقة المروج العليا High Veld .

وقد حاول قادة هذه الهجرة الجماعية ، أن ينشئوا للبوير دولة مستقلة لها منفذ خاص مطل على البحر . ولذلك فقد استقر بعض البوير بمنطقة المروج العليا ، بينما قامت الأغلبية العظمى من البوير - بقيادة بيت رتيف Piet Retief - بمواصلة الهجرة الجماعية مخترقين جبال دراكنزبرج حتى وصلوا إلى اقليم ناتال Natal .

وكان هذا الاقليم تحت سيطرة قبائل الزولو

وكان النظام الاجتماعي في تلك المملكة الجديدة يقوم على اساس فرض قبائل انجوني كطبقة حاكمة . تليها طبقة أخرى تتمثل في قبائل السوتو التي انضمت إليهم خلال عبورهم منطقة المروج العليا . أما الطبقة الثالثة والأخيرة ، فتكون من السكان الأصليين من قبائل الشونا .

أما بالنسبة لمناطق شمال افريقيا ، فقد عزم الفرنسيون على البقاء في الجزائر . وفي سنة ١٨٤٠ م قاموا بالسيطرة على كل المنطقة الساحلية بالجزائر . ومع ذلك فلم يتمكن الفرنسيون من فرض سيطرتهم على القبائل التي كانت تعيش بجبال أطلس تحت قيادة الأمير الباسل الشجاع « عبد القادر » .

وفي سنة ١٨٣٥ م أعاد العثمانيون سيطرتهم المباشرة على اقليم طرابلس ، رغم انهم لم

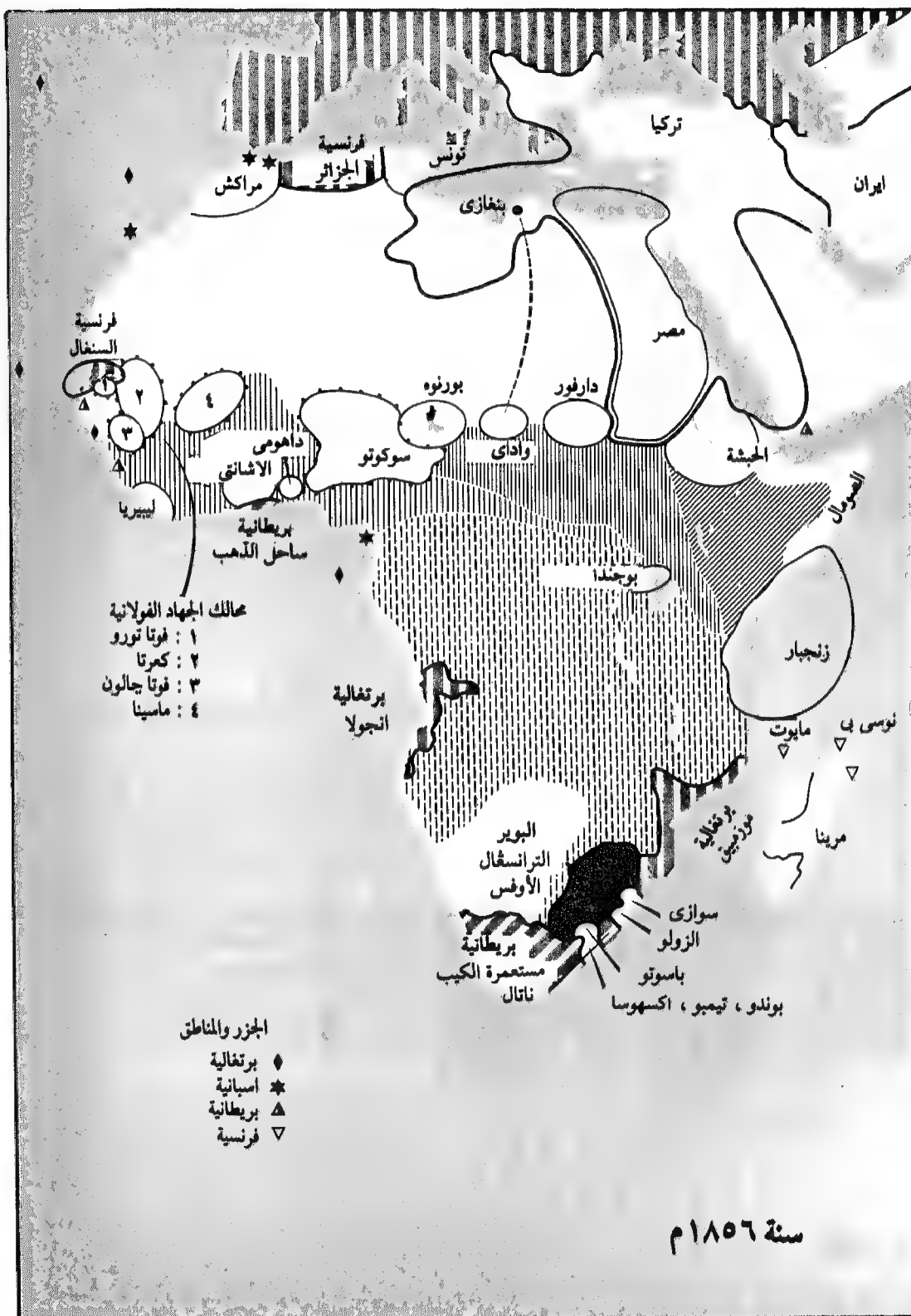
يتمكنوا من احتلال واحات فزان إلا في سنة ١٨٤٢ م .

أما بالنسبة لمناطق الساحل الشرقي لافريقيا التي كانت آنئذ خاضعة للنفوذ العماني ، فقد رأى السلطان سيد سلطان عمان ، أن هذا القسم الافريقي من امبراطوريته أكثر ثراءً وخيراً من القسم العربي ، لذلك فقد قام بنقل عرشه ويلاطه إلى جزيرة زنجبار في سنة ١٨٤٠ م .

وفي مصر ، اضطر محمد علي لايقاف محاولاته في السيطرة على جميع أرجاء الامبراطورية العثمانية - وقد كان ذلك في استطاعته - وذلك بعد أن أصبح من الواضح أن القوى الأوربية - خصوصاً بريطانيا - لن تسمح له أبداً بالفوز بتلك الغنيمة . وكان ذلك خلال السنوات ١٨٣٠ - - ١٨٤٠ م .



رأس عصا صولجان أحد ملوك بنين القدماء .
من معروضات متحف المتروبوليتان بنيويورك .



الكيب و٣٠٠٠ في جمهوريات البوير و٧٥٠٠ في إقليم ناتال [. هذا بالإضافة إلى نحو ٣٠٠٠ من البرتغاليين الذين يعيشون في انجولا وموزمبيق :

وفي منطقة جنوب غرب الصحراء الكبرى . واصل الفرنسيون تقدمهم في مناطق السنغال . وقد أدى ذلك إلى اصطدامهم بقوات « الحاج عمر » آخر قادة دول الجهاد التي أنشأتها قبائل الفولاني ، وهازم دولة كعرتا Kaarta . ولكن هذا الاصطدام قد أدى في النهاية إلى نتيجة متوازنة ، فلم يتقدم الحاج عمر للاستيلاء على القلعة التي أنشأها الفرنسيون في منطقة مدينه Medina ، كما لم يواصل الفرنسيون تقدمهم إلى ما وراء هذه النقطة .

أما في مناطق سواحل شرق إفريقيا ، فقد انفصلت زنجبار عن دولة عمان بموت السلطان سيد سنة ١٨٥٦ م . كما أقام الفرنسيون حاميات عسكرية في جزيرة مايوت Mayotte [من مجموعة جزر القمر] . وفي منطقة نوسى بى Nosy Be بجزيرة مدغشقر [سنة ١٨٤١ م] .

وأخيراً فقد ظهرت الطريقة السنوسية وأصبحت القوة المسيطرة على قبائل البدو الذين يعيشون بأواسط الصحراء الكبرى . وقد سيطر السنوسيون^(١) على الطريق التجارى الجديد الذى يخترق الصحراء ويربط بين بنغازى في إقليم برقه ومملكة وادى بالسودان .

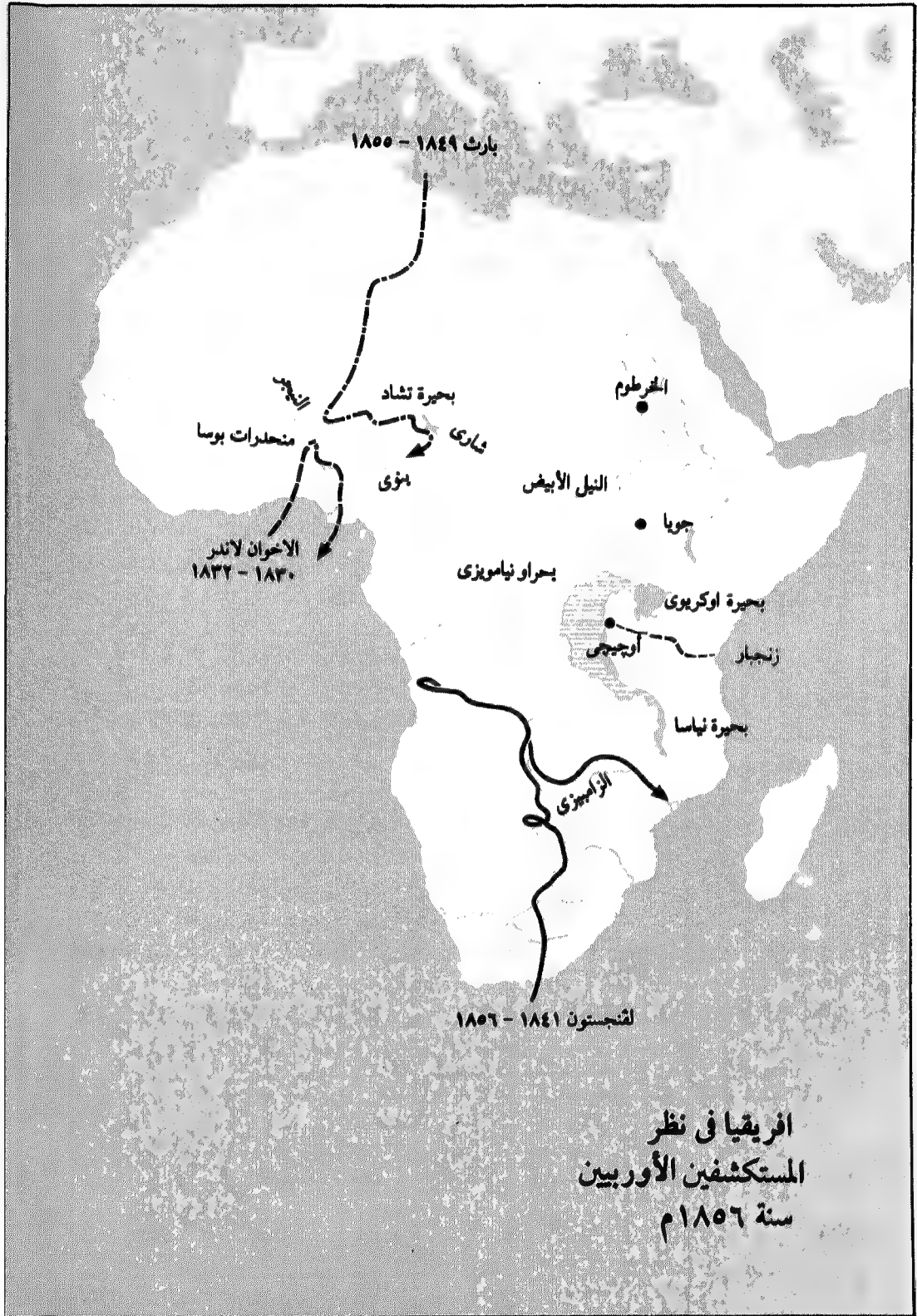
وقد أدى استمرار المنازعات بين البوير الذين استوطنوا إقليم ناتال والأهالى المحليين من قبائل البانتو ، إلى تدخل بريطانيا لحسم هذا النزاع . وبالتالي أصبح إقليم ناتال مستعمرة بريطانية ، وأصبح من المحتم على البوير أن يرحلوا من هذا الإقليم . فقاموا بهجرة جماعية أخرى حتى اخترقوا جبال دراكنز برج وعادوا إلى منطقة المروج العليا .

وفي هذه المرة اعترف البريطانيون للبوير بحقوقهم في البقاء . وفي سنة ١٨٥٢ م اعترفوا رسمياً بدولة البوير المستقلة في إقليم الترانسفال Transvaal . وفي سنة ١٨٥٤ م اعترفوا أيضاً بدولة أورانج الحرة Orange Free State .

وفي شمال إفريقيا ، تمكن الفرنسيون بقيادة الجنرال بوجو Bugeaud من احتلال الجزائر والانتصار على مقاومة قبائل جبال الأطلس بقيادة الأمير عبد القادر . وذلك بعد العديد من المعارك الحربية التي استمرت من سنة ١٨٤١ م حتى استسلام عبد القادر سنة ١٨٤٧ م . وعلى الفور تدفقت جموع غفيرة من الأوربيين ليستوطنوا الجزائر . أقليتهم من الفرنسيين وأغلبيتهم من الاسبان والايطاليين والمالطيين . وفي سنة ١٨٥٦ م وصل عدد هؤلاء المستوطنين الأوربيين إلى نحو ١٧٠٠٠ أوربي ، وهو عدد يكاد يكون مماثلاً لعدد المستوطنين الأوربيين البيض في مناطق جنوب إفريقيا [١٤٠٠٠٠ في منطقة

وقد انتشرت السنوسية في واحات فزان والكفرة ، ولما أوراد وأسرار خاصة . ونادت بالاجتهاد في الفقه والتشريع الاسلامى . وكان لها دور لا ينكر في مقاومة الاحتلال الايطالى والفرنسى [المترجم]

(١) - السنوسية: إحدى الطرق الصوفية . أسسها محمد بن على السنوسى الادريسي (١٧٨٧ - ١٨٥٩ م) الذى ولد بالجزائر وتوفى بواحة جغبوب التى اختارها مقراً لهذه الطريقة .



أفريقيا في نظر المستكشفين الجغرافيين الأوروبيين

سنة ١٨٥٦

العرب الذين كانوا يقومون برحلاتهم من زنجبار حتى وصلوا إلى منطقة أوجيجي Ujiji بشواطئ بحيرة تنجانيقا . فقد أورد هؤلاء التجار العرب تقاريراً تفيد بوجود بحيرتين كبيرتين أخريين : أحدهما بحيرة أوكريوى Ukerewe التي تقع شمالاً . وثانيتهما بحيرة نياسا التي تقع جنوباً .

وكان هناك اعتقاد شاع لدى الأوروبيين الذين كانوا يستوطنون المناطق القريبة من منطقة البحيرات الأفريقية ، أن هذه البحيرات الثلاث جميعها عبارة عن جزء من بحر داخل كبير عرف باسم بحر أونيامويزي Unyamwezi . وأياً كانت مدى صحة هذا الاعتقاد ، فقد ثبت أن بحيرة نياسا هي نفسها البحيرة التي أطلق عليها البرتغاليون الذين كانوا يستوطنون مناطق نهر زامبيزي اسماً آخر هو بحيرة مارافي Lake Maravi .

أما نهر الزامبيزي نفسه فقد تم استكشافه تماماً وأعدت له خرائطه الدقيقة بمعرفة دافيد ليفنجستون David Livingstone ، المبشر الذي استهوته عملية الاستكشاف . ولم تكن الرحلة التي قام بها في خلال عامي ١٨٥٥ - ١٨٥٦ م هي رحلته الأولى التي توغل فيها إلى داخل المناطق الأفريقية . ولكنها الرحلة التي كانت أكثر ذبوعاً وانتشرت أخبارها في بريطانيا ، الأمر الذي حث الحكومة البريطانية على أن تمد يد المساعدة إلى ليفنجستون وتزويده بالأموال اللازمة لاستمرار عملياته الاستكشافية .

وفي ذلك الوقت كانت الحكومة البريطانية

فيما بين عامي ١٨٣٠ - ١٨٣٢ م قام الأخوان لاندر Lander Brothers بكشف الغموض الذي كان يكتنف موقع مصب نهر النيجر . فقد قام الأخوان بالسفر براً من خليج غينيا حتى منطقة منحدرات بوسا [حيث قتل مونجو بارك] . ومن هناك أبحر الأخوان عبر أدنى النهر حتى وصلوا إلى البحر .

ومع ذلك فقد استمر الغموض يحيط بالرافد الرئيسي لنهر النيجر وهو نهر بنوي Benue حيث كان يظن فيما سبق أنه كان ينبع من بحيرة تشاد ، وهو ظن خاطيء وضحت عدم صحته بعد قيام هنريش بارث Heinrich Barth باستكشاف المنطقة وتقريره بأن نظام بحيرة تشاد ونهر شارى Chari الذي يخرج منها نظام مغلق ومستقل ومنفصل تماماً عن نظام نهر النيجر .

وفي الجانب الآخر من القارة ، أخذ محمد علي على عاتقه مهمة محاولة اكتشاف منابع النيل ، فأرسل عدة بعثات استكشافية بدأت رحلاتها من مدينة الخرطوم ، وواصلت الصعود في مجرى النيل الأبيض ، واختترقت منطقة السدود حتى وصلت إلى شلال جوبا Juba . وذلك في خلال الفترة ما بين عامي ١٨٣٩ - ١٨٤٢ م . ومعنى ذلك أن مجرى النيل أصبح معروفاً كله عدا بضعة مئات قليلة من الأميال تفصل بين جوبا والمنابع التقليدية لنهر النيل في منطقة البحيرات بشرق أفريقيا .

وكانت هناك بعض المعلومات القليلة عن منطقة البحيرات بشرق أفريقيا ، نقلها التجار

مناطق حوض النيل . ولذلك فلا يمكن بالتالى أن تكون هذه البحيرة منبعاً للنيل .

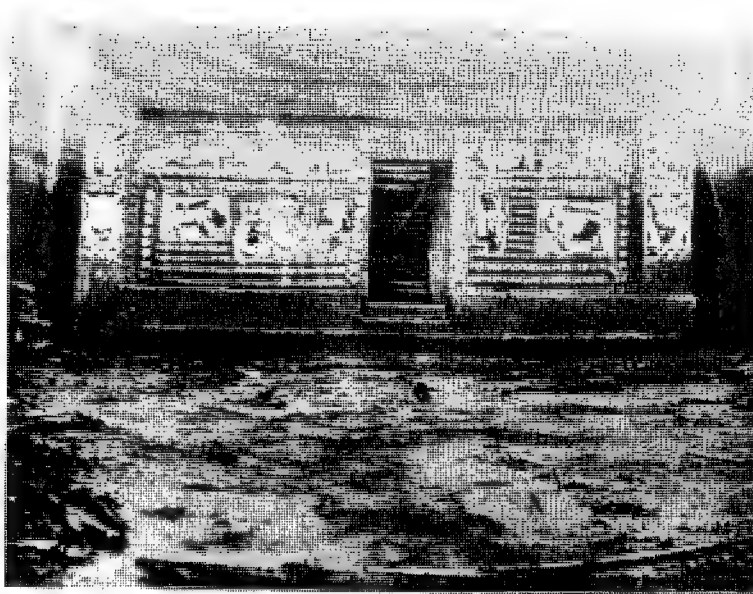
وفى طريق العودة ، أصر سبيك على أن يقوم وحده بالرحلة إلى الشمال بقصد الوصول إلى بحيرة أوكرىوى Ukerewe . وقد وصل إليها بالفعل وأطلق عليها اسماً جديداً هو بحيرة فيكتوريا . وعاد فوراً لكى يلحق ببيرتون حيث أخبره باكتشافه الجديد لمنابع النيل . غير أن بيرتون عارضه فى ذلك على أساس ان الأيام الثلاثة التى قضاها سبيك على شاطئ تلك البحيرة المترامية الأطراف ، لا تكفى كدليل على أنها منبع النيل ، حيث يقتضى الأمر الدوران حول محيطها الواسع للتأكد من أن النيل يخرج منها فعلاً . ومادام سبيك لم يتمكن من ذلك فلا يمكن الجزم بوجود اية علاقة بين هذه البحيرة ونهر النيل . وبالتالي فقد حدث خلاف شديد بين بيرتون وسبيك لدرجة انهما عندما عادا إلى زنجبار مرة ثانية ، كانا لا يتبادلان فيها بينهما كلمة واحدة .

ضالعة على نحو بسيط فى العمليات الاستكشافية فى افريقيا ، حيث تعهدت باعانة بعثة بيرتون Burton وسبيك Speke لاستكشاف مناطق البحيرات بشرق افريقيا .

وكان بيرتون رحالة أكثر منه مستكشفاً . وقد سبق له القيام بالعديد من الرحلات التى استغرقت فترة طويلة من حياته ، وقام فيها بكتابة التقارير عن البلاد التى زارها مثل مدينة مكة ومملكة داهومى ومدينة بحيرة الملح Salt Lake City . وكانت خطة بيرتون ان يبحر بنفس الطريق الذى كان يبحره التجار العرب من زنجبار إلى أوچيچى على بحيرة تنجانيقا .

أما سبيك ، فقد كانت تستحوز عليه فكرة واحدة هى الوصول إلى منابع النيل ، ولم يكن لديه عدا ذلك أى مطمع آخر .

وكانت العلاقة على ما يرام بين بيرتون وسبيك حتى وصلا معاً إلى أوچيچى . وهناك صدم سبيك عندما وجد أن بحيرة تنجانيقا تقع فى منطقة ذات مستوى أكثر انخفاضاً من مستوى



صورة فوتوجرافية التقطت سنة ١٨٩٧م لبيت أحد رؤساء القبائل في بنين .

الاستكشافات الأوربية لمنطقة البحيرات بشرق افريقيا [من سنة ١٨٦٠ حتى سنة ١٨٧٣ م]

هذا الموضوع الذى استهوى الكثيرين فى بريطانيا ، لم يبذل لفتحجستون الأب الروحي للاستكشافات الافريقية كثيراً من الجهد فى جمع التكاليف اللازمة لقيامه برحلة استكشافية يضع فيها حداً لهذا الجدل . وفى سنة ١٨٦٦ م بدأ لفتحجستون رحلته الجديدة من منطقة بحيرة نياسا [التى استكشفها خلال رحلاته بين عامى ١٨٥٨ - ١٨٦٣ م] واتجه إلى بحيرة تنجانيقا . وفجأة اختفى لفتحجستون وانقطعت أخباره عن العالم لمدة خمس سنوات متوالية .

وقامت حملة صحفية واسعة النطاق للدعوة إلى البحث عن لفتحجستون ومعرفة مصيره . وفى سنة ١٨٧١ م وصل هنرى مورتون ستانلى Stan-ley إلى أوچيچى ، حيث عثر على لفتحجستون منهوك القوى . وكان لفتحجستون - مثل بيرتون - يؤيد الفكرة القائلة بأن بحيرة تنجانيقا هى منبع النيل ، وقد عثر على ما يعضد هذه الفكرة متمثلاً فى نهر لوالابا Lualaba الذى يخرج من بحيرة تنجانيقا ويتجه شمالاً بغرب . وعلى هذا فيمكن اعتباره نهر النيل فى طريقه إلى بحيرة ألبرت .

وقام ستانلى ولفنجستون بالتأكد من أن نهر لوالابا هو النهر الوحيد الذى يخرج من بحيرة تنجانيقا . وعلى هذا فقد عاد ستانلى وحده إلى زنجبار عملاً السعادة بكشفه الجديد .

أما لفتحجستون فلم يغادر افريقيا . وفى سنة ١٨٧٢ م شرع فى رحلة استكشافية جديدة للوصول إلى المناطق العليا بحوض نهر لوالابا .

فى سنة ١٨٦٠ م عاد سبيك مرة أخرى إلى افريقيا . وفى سنة ١٨٦٢ م بعد إقامة طويلة فى بلاط الملك موتسا Mutesa ملك بوجندا Buganda واصل سبيك رحلته حتى وصل إلى شلالات ريبون Rippon Falls وهى سلسلة من مساقط المياه التى تخرج مباشرة من بحيرة فيكتوريا ، ويولد منها أشهر أنهار الدنيا . . نهر النيل . وعلى هذا واصل سبيك رحلته واتجه شمالاً وهو فى قمة السعادة باكتشافه الجديد .

وفى منطقة جوندوكورو Gondokoro تقابل سبيك مع الزوجين مستر ومسز بيكر Bak-er اللذين رحلا من الخرطوم واتجها جنوباً ليلتقيا به . واخبرهما سبيك باكتشافه الجديد لمنبع النيل ، واخبرهما كذلك بالاشاعات التى سمعها عن بحيرة أخرى تقع إلى الغرب من بحيرة فيكتوريا .

وفى سنة ١٨٦٤ م وصل الزوجان بيكر إلى هذه البحيرة وأطلقا عليها اسماً جديداً هو بحيرة ألبرت Lake Albert ولكنها وجدت أن نيل فيكتوريا الذى اكتشفه سبيك يصب فى الطرف الشمالى الشرقى من هذه البحيرة ، أما النيل الحقيقى فيخرج من الطرف الشمالى الغربى للبحيرة . ومعنى هذا أنه إذا كانت الأطراف الجنوبية لبحيرة ألبرت تمتد إلى الجنوب أكثر من امتداد الشواطىء الجنوبية لبحيرة فيكتوريا ، فلا يمكن بالتالى اعتبار هذه البحيرة الأخيرة منبعاً لنهر النيل كما قال سبيك .

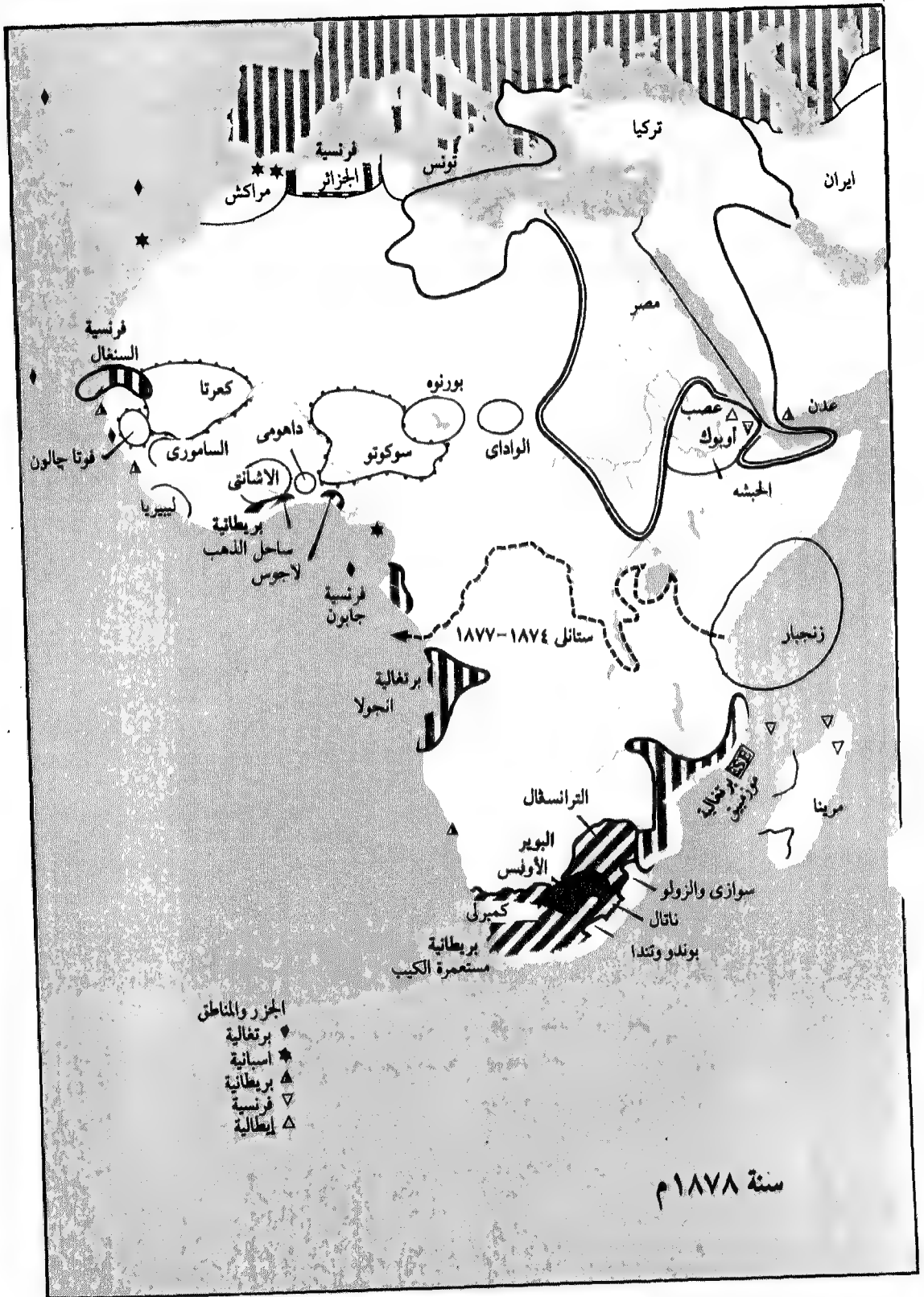
وبينما استمر الجدل بين سبيك وبيرتون حول

وفي سنة ١٨٧٣ م ، وفي منطقة تقع الآن على الحدود بين دولتي زامبيا وزائير مات لفنجستون وبينما انصرف اهتمام البريطانيين إلى اكتشاف منابع النيل ، كان الفرنسيون يشرفون على حفر أهم ممر مائي في افريقيا . ففي سنة ١٨٦٩ م انتهى فرديناند دى لسبس من حفر قناة السويس ، بعد التغلب على مجموعة من المصاعب المالية والسياسية والهندسية استمرت لنحو عشر سنوات متوالية .

وكان مهرجان افتتاح قناة السويس أهم الأحداث العالمية في تلك الفترة، وتلقى الخديوي اسماعيل [حفيد محمد علي] التهاني من كافة انحاء العالم . وبدأت مرحلة جديدة من دخول مصر والمصريين إلى الحياة العصرية الحديثة . وفرح الفرنسيون عندما اعتبروا أنفسهم الشركاء الرئيسيين للخديوي اسماعيل ، وأن علاقتهم الجديدة بخديو مصر ستعود عليهم بالكثير من الربح وعلو المكانة .



صبادو النمرور . لوحة افريقية يرجع تاريخها إلى القرن السادس عشر .
من معروضات المتحف البريطاني بلندن .



وفي الفترة ما بين عامي ١٨٧١ - ١٨٧٣ م استأجر الخديوى اسماعيل المستكشف صمويل بيكر Samuel Baker للقيام باستكشاف منطقة أعالي النيل الأبيض ، وهى المنطقة التى ضمها إلى امبراطوريته تحت اسم المديرية الاستوائية .

وفى بين عامي ١٨٧٤ - ١٨٧٥ م ضم أيضاً إقليم دارفور Darfur بناء على صفقة اتفق عليها مع الزبير ، وهو تاجر مصرى ، كان قد استولى على هذا الاقليم بجيشه الخاص الذى كان يعمل فى منطقة بحر الغزال .

وفي سنة ١٨٧٥ م حاول الخديوى اسماعيل غزو الحبشة . ولكن محاولته هذه باءت بالفشل الذريع . ذلك لأن الخزانة المصرية فى تلك الفترة أصبحت فى حالة ميثوس منها . وكان الخديوى فى حاجة ماسة إلى المال . فماذا فعل ليحصل عليه ١٩

باع الخديوى للبريطانيين حصّة مصر التى تبلغ نحو ٤٤ ٪ من اسهم قناة السويس ، فى مقابل أربعة ملايين من الجنيهات ، وهو مبلغ ضئيل سرعان ما تبخر قبل نهاية العام .

وفي العام التالى تلاحقت الهزائم فى منطقة الحبشة ، وأعلن افلاس الخزانة العامة للدولة ، اعقبه انذار من الدائنين الأوربيين ، كانت نتيجته المباشرة وضع الميزانية المصرية تحت اشراف وسيطرة الدائنين الأجانب . وبذلك انزلت مصر إلى الوقوع فى براثن الاستعمار ، واصبحت تمثل شكلاً من أشكال المحميات الدولية Inter-national Protectorate دون أن تطلق عليها طلاقة واحدة .

وبعد نحو عام من وفاة لفتنجستون ، عاد هنرى مورتون ستانلى مرة أخرى إلى افريقيا . وكان مزوداً هذه المرة بالامكانيات المالية والقدرة على تنظيم العمل لحل المشكلات والتساؤلات السابقة . وقام ستانلى أولاً بالدوران حول بحيرة فيكتوريا [سنة ١٨٧٥ م] . ثم حول بحيرة تنجانيقا [سنة ١٨٧٦ م] . ثم تغلب على كل الصعوبات التى اعترضته حتى وصل إلى نهر لوالابا حيث أنزل فيه قاربه المصنوع من الصلب [والمسمى ليدى آليس Lady Alice] . وظل مبحراً فى مجراه حتى وصل إلى البحر فى أغسطس ١٨٧٧ م . وأعلن ستانلى النتائج والمعلومات التى توصل إليها بتلك الرحلة : فنهر لوالابا هو نفسه نهر زائير Zaire ، وبحيرة فيكتوريا هى منبع النيل .

ومن أهم التطورات السياسية التى حدثت فى تلك الفترة قيام الخديوى اسماعيل الذى حكم مصر من سنة ١٨٦٣ حتى سنة ١٨٧٩ م بارسال البعثات الاستكشافية فى اتجاهين مختلفين : الاتجاه الأول نحو المناطق الجنوبية للبحر الأحمر . [وهو اتجاه كان مرتبطاً بفتح قناة السويس] . أما الاتجاه الثانى فكان نحو أعالي النيل .

وفي سنة ١٨٦٥ م حصل الخديوى اسماعيل على موافقة السلطان العثمانى بوضع كل من سواكن Suakin ومصروع Massawa تحت اشراف الحكم المصرى . وفى الفترة ما بين عامي ١٨٧١ - ١٨٧٥ م أقامت مصر حاميات عسكرية فى معظم الموانى الواقعة على الساحل الافريقى للبحر الأحمر وعلى خليج عدن .

على رؤساء القبائل وحكام الأقاليم . وقد تحقق ذلك على يد الملك تيودور الثانى ، فى خمسينات القرن التاسع عشر ، الذى سعى إلى تحقيق هذا الهدف باصرار يشوبه نوع من جنون العظمة . وقد نجح تيودور الثانى فى ذلك إلى حد كبير ، ولكنه اصطدم فى النهاية بحاجته الملحة إلى الموارد لتمويل عملياته الحربية .

وفى سنة ١٨٦٤م ، وبسبب عدم تلقيه الرد على أحد خطباته التى أرسلها إلى الملكة فيكتوريا ، قام تيودور الثانى باستدعاء القنصل البريطانى إلى قصره ، ووضع القيود الحديدية فى يديه ، وأمر بسجنه فى قلعة مجدلا Magdala .

وحتى تتمكن بريطانيا من تخليص قنصلها أرسلت جزءاً من جيوشها التى كانت تحتل الهند ، يتكون من ٣٢٠٠٠ جندي للقيام بهذه العملية . وبدأت هذه القوة مسيرتها من ميناء مصوع متجهة إلى مجدلا . وذلك عبر سكة حديدية كانت تمدها القوة بنفسها أولاً بأول ، حتى وصلت إلى مجدلا واقتحمت قلعتها وحررت القنصل البريطانى الذى لم يكن قد ألحق به أى أذى . وبعد ذلك عادت هذه القوة العسكرية إلى ميناء مصوع ومنه أبحرت عائدة إلى الهند .

ومن أهم نتائج هذه الحملة ، أن أصبحت الحبشة تعانى الفوضى مرة أخرى ، خصوصاً بعد أن انتحر تيودور الثانى باطلاقه النار على رأسه عندما بلغه خبر سقوط مجدلا .

ولكن هذا الوضع تغير بسرعة عندما تولى الملك جون الرابع عرش الحبشة وانتهج نفس سياسة سلفه . واستعاد السلطة الملكية على معظم أنحاء البلاد ، كما استطاعت قواته أن تصد الهجمات التى قام بها المصريون خلال عامى ١٨٧٤ - ١٨٧٥م . كما استفاد من الوضع الناتج من تراجع القوات المصرية عن حدود بلاده .

ومن الناحية التاريخية فقد وجه اللوم إلى الخديوى اسماعيل باعتباره السبب الذى أدى بمصر إلى هذا الوضع . كما وجه إليه اللوم لأسباب كثيرة أخرى وأحياناً بلا سبب . لقد كانت طريقته لحل المشاكل هى اغراقها بالأموال ، وربما كان مثل هذا السلوك مناسباً للحياة الخاصة لحاكم ينتمى إلى اسرة مالكة ويتصور أن عروقه تفرجى فيها دماء ملكية ، ولكن من المؤكد أن مثل هذه الطريقة لا تصلح مطلقاً لإدارة شئون الدولة .

ومع ذلك فلم يوجه اللوم إلى هذا الخديوى بسبب أفكاره وطموحاته ، فقد كان بعضها معقولاً ومقبولاً على نحو ما . ولكن يؤخذ عليه قيامه بالاتفاق على تحقيق كل هذه الأفكار والطموحات فى وقت واحد وبطريقة تتسم بالاسراف الشديد . فقد واصل العمل على مد حدود امبراطوريته دون أن يتحقق أى عائد أو ربح من وراء هذا التوسع . بل على العكس فقد عاد هذا التوسع عليه بخسائر جسيمة . وفى نفس الوقت كان يبعثر الأموال بدفع مرتبات سخية جداً للأوربيين الذين استخدمهم لتحقيق اطماعه [كان صمويل بيكر على سبيل المثال يتقاضى ١٠٠٠ جنيه كمرتب سنوى] .

وقد عاد هذا الاسراف بالوبال على الخزنة العامة للدولة التى لم تتحمل كل هذا الأرهاق . واضطر الخديوى اسماعيل فى النهاية أن يبيع أحسن مشروعاته [قناة السويس] فى نفس الوقت الذى بدأت فيه شركة قناة السويس تحقق أرباحاً لا بأس بها .

وفى الوقت الذى خيبت فيه مصر آمال اصدقائها ومحبيها ، خرجت الحبشة ، دون أى توقع أو احتمال من حالة التشوش والتفكك التى كانت تعانىها . فقد تم استعادة السلطة الملكية

تاريخهم إلى أقصى حد ، وأصبحت الدول الأوربية تقوم بهذه المهمة .

لقد اقتربنا الآن من بداية الفترة التي سميت فترة الزحف والتكالب على افريقيا . حيث تحركت القوى الاستعمارية وزحفت إلى القارة وقسمتها فيما بينها كالغنيمة . ونشير من الآن إلى أن الخرائط الست القادمة ، وهي تعبر عن الأحداث التي وقعت بافريقيا خلال سبعين سنة تالية على تاريخ هذه الخريطة ، تدل على أن مصير القارة قد أصبح تحت سيطرة الأوربيين . ونادرا ما كان الافريقيون يظهرون في الصورة .

ترى ما الذى دفع الأوربيين فجأة إلى التغلغل داخل أفريقيا ، بينما كانوا على مدى القرون الخمسة الماضية يدورون حول أطراف سواحل القارة ، ولا يحاولون النزول إليها إلا في أضيق نطاق ممكن ؟ . . ربما تكمن الاجابة على هذا التساؤل في كلمات أغنية انتشرت في ذلك الحين تقول :

نحن لا نريد أن نحارب . .
إلا أننا وطنيون متطرفون . .
ولدينا رغبة في السيطرة على الآخرين . .
ولدينا السفن والرجال . .
ولدينا أيضا أموال طائلة . . !

لقد وثقت أوروبا بنفسها ثقة زائدة عن كل حد ، وساد الاعتقاد بين الأوربيين بأنه لا توجد أية قوى في العالم القديم كله ، يمكنها مواجهة الاسلحة الأوربية . حتى الامبراطوريات القديمة الواسعة الأرجاء كالصين مثلا ، أصبح من الممكن السيطرة عليها . أو قمعها باعداد قليلة من الجنود المسلحين بالاسلحة النارية المتطورة . كذلك فإن الدول الأوربية كانت تمتلك الثروات والموارد المالية الكافية لا استمرار وامتداد العمليات الحربية إذا اقتضى الأمر . وعلى عكس

أما بالنسبة لبقية الممالك الافريقية الأخرى في أنحاء القارة ، فليس هناك الكثير من الأحداث التي تجدر الإشارة إليها ، فيما عدا قيام الحاج عمر حاكم كعرتا بالاستيلاء على ماسينا Masina في سنة ١٨٦٢م . وفي سنة ١٨٦٦م قام أحد قادة الجنود المرتزقة واسمه سامورى تورى Samori Toure بتأسيس إمارة في بيساندوجو Bisandugu التي تقع حاليا بدولة غينيا .

كذلك قام البريطانيون في سنة ١٨٧٤م بالزحف إلى كوماسى Kumasi عاصمة مملكة الأشانتى ، ولكنهم سرعان ما تراجعوا عن ذلك .

ooo

ونود أن نشير إلى التغيير الهام الذى حدث في طريقة رسم وتصميم هذه الخريطة . فقد اختفت تماما المساحات المظللة المختلفة التي كانت تشير إلى أماكن وجود وتوزيع وهجرات القبائل الافريقية المختلفة في مناطق جنوب الصحراء الكبرى ، كما أغفلت أسماء معظم تلك القبائل . ولذلك فمن الآن فصاعدا إذا أراد القارئ معرفة مكان وجود إحدى القبائل [كقبيلة الماساى Masai مثلا] فعليه الرجوع إلى الخرائط السابقة ، أو يلجأ إلى فهرس الأماكن والاعلام والأحداث الذى أعده « المترجم » في آخر الكتاب .

وقد رأينا تعديل رسم الخرائط القادمة على هذا النحو الجديد حتى يمكن أن نعرض بوضوح أحداث المائة سنة التالية على تاريخ هذه الخريطة ، وهي أحداث ازدادت بسرعة وكانت بالغة التعقيد ، وإن كانت ترمز في الوقت نفسه إلى ما كان يدور في العالم من أحداث سياسية أدت مباشرة إلى تقليص دور الافريقيين في صنع

مصر ، كانت أوروبا قادرة على تمويل الحروب التي لا تعود عليها بأرباح فورية سريعة .
وكان التفوق التكنولوجي للأوروبيين واضحاً في افريقيا لمدة طويلة من الزمن . ورغم هذا فقد عجزت بريطانيا عن إنشاء امبراطورية افريقية مماثلة لا امبراطوريتها في الهند بسبب الأمراض الافريقية « المتوطنة » وعلى رأسها مرض الملاريا .

ولكن في سنة ١٨٤٧م اكتشف أحد الأطباء العاملين بالاسطول البريطاني ، أن تناول جرعة يومية من مشروب الكينين Quinine [وهو مادة شبيهة قلبية شديدة المرارة] تعطى المناعة وتوفر الحماية من الإصابة بالملاريا . وفي سنة ١٨٥٤م أبحرت مجموعة تتكون من اثني عشر جندياً في قارب عبرت به أعالي النيجر ونهر بنوى دون أن يصاب أحدهم بهذا المرض . ولم يعد يسمع بعدئذ القول الشائع الذي كان يردده البحارة من الجيل السابق :

إياك إياك من خليج بنين . .
كثيرون يذهبون إليه . .
وقليلون يعودون سالمين . .

وهكذا أصبحت أكثر المناطق خطورة في افريقيا ، مفتوحة تماماً أمام الاستغلال الأوربي . وكانت أولى النتائج لذلك ، قيام بريطانيا بالاستيلاء على لاجوس Lagos سنة ١٨٦١م .

وبطبيعة الحال فقد كان من اللازم توفير الأموال اللازمة لاستمرار التحرك الاستعماري . وفي سنة ١٨٦٧م اكتشفت مناجم الماس في منطقة كمبرلي Kimberley الواقعة على الحدود بين مستعمرة الكيب ودولة أورانج الحرة التي أنشأها البوير . وعلى الفور تدفقت جموع المهاجرين البريطانيين إلى تلك المنطقة . ثم ضمت بريطانيا منطقة كمبرلي إلى مستعمرة الكيب في سنة

١٨٧٣م . وهكذا سيطرت بريطانيا على جنوب افريقيا ، وأصبحت لها القواعد العسكرية التي صارت تمكنها من فرض إرادتها وتوجيه الأحداث في تلك المنطقة .

وفي الطرف الآخر للقارة ، كان افتتاح وتشغيل قناة السويس عامل جذب للاستثمارات الأوربية في سواحل البحر الأحمر . حيث كانت السفن البخارية الحديثة التي كانت تعبر القناة في تلك الأيام ، في حاجة إلى تزويدها بالفحم اللازم لا استمرار رحلاتها . وأصبحت الحاجة ملحة إلى إنشاء محطات لتزويد السفن بهذا الوقود . وكان البريطانيون قد أنشأوا لسفنهم محطة تموين في عدن في سنة ١٨٣٩ ، ثم قام الفرنسيون بإنشاء محطة تموين في ميناء أوبوك obok سنة ١٨٦٢ . وقام الايطاليون بشراء موقع أنشأوا عليه محطة تموين في ميناء عصب سنة ١٨٦٩م .

ونظراً لأن بريطانيا كانت في ذلك الوقت على رأس قائمة الدول البحرية في العالم ، فقد تصدرت أيضاً قائمة الدول الاستعمارية وتليها فرنسا في الترتيب . وربما كان هذا الوضع لا يعكس حقائق الأمور في تركيبة النظام السياسي لأوروبا . ذلك لأن ألمانيا احتلت فرنسا سنة ١٨٧٠م ، وأصبح من الممكن أن تتبوأ المكانة التي كانت تحتلها فرنسا في النشاط الاستعماري ، غير أن ألمانيا لم تكن تمتلك القوة البحرية اللازمة لذلك ، كما أن المستشار الألماني بسمارك Bismark كان يعارض فكرة قيام ألمانيا بتكوين امبراطورية لها فيها وراء البحار .

وتأتى البرتغال في المرتبة الثالثة في قائمة الدول الاستعمارية ، رغم أنها كانت غير ذات تأثير فعال في توجيه السياسة الأوربية في ذلك الوقت . أما المرتبة الرابعة فكان يحتلها شخص

فرد هو الملك ليوبولد Leopold ملك بلجيكا .

وقصة ليوبولد قصة غريبة تجدر الإشارة إليها . فقد كان البرلمان البلجيكي غير راغب في قيام بلجيكا بأية مغامرات استعمارية . ولذلك فقد اضطر الملك ليوبولد إلى أن يتكفل بتمويل طموحه الاستعماري من خزائنه الخاصة . وكانت خطته الأصلية ترمى إلى إنشاء شبكة تجارية في منطقة الكاميرون Cameroon . إلى أن تقابل الملك مع ستانلي في سنة ١٨٧٨ م .

وكان ستانلي يطمع آنثذ في فتح مناطق حوض نهر زائير للمتاجرة مع أوروبا ، وكان يرى أن بريطانيا هي خير من يعاونه في هذه المهمة . ولكن بريطانيا قابلت هذه الفكرة بفتور ولا مبالة ، الأمر الذي دفع ستانلي إلى قبول الاتفاق مع الملك ليوبولد ليحقق له رغبته الاستعمارية العارمة .

ونود أن نشير إلى أن بداية المغامرة الاستعمارية التي قام بها الملك ليوبولد ، بل وبداية بناء الامبراطوريات الأوروبية في افريقيا بصفة عامة ، تظهر جلية في الخريطة القادمة أكثر من ظهورها في هذه الخريطة . ومع ذلك فنشير هنا إلى واقعيتين تمثلان نوعاً من الاعتداء على ممتلكات الآخرين : فقد استولت فرنسا على مناطق أعالي السنغال وأقامت لها قاعدة في منطقة اسمتها أنهار الجنوب Rivières Du Sud وتقع حالياً في دولة غينيا ، كما استولى القائد الفرنسي دي برازا De Brazza على منطقة الجابون Gabon.

أما الواقعة الثانية فتتمثل في قيام بريطانيا بحدود مستعمرة الكيب لتضم منطقة كمبرلي ومناطق أخرى بالساحل الشرقي سنة ١٨٦٦ م . كما استولت أيضا على معظم مناطق باسوتولاند Basutoland سنة ١٨٧١ م . [أما بقية مناطق باسوتولاند الأخرى فقد كانت تحت حكم البوير - دولة أورانج الحرة - منذ سنة ١٨٦٦ م] . كما استولت بريطانيا أيضا على إقليم الترانسفال في سنة ١٨٧٦ م .

وقد قبل بوير الترانسفال حكم البريطانيين وخضعوا له بعد أن تعرضوا للافلاس بسبب حروبهم الطويلة المستمرة ضد الأهالي المحليين من قبائل البانتو [الزولو على وجه الخصوص] . وترضية هؤلاء البوير ، وعدتهم بريطانيا بشن الحرب ضد الزولو والقضاء عليهم نهائيا .

وفي سنة ١٨٧٩م زحفت القوات البريطانية إلى مناطق الزولو ، ونشبت أول معركة بين الفريقين في إيساندا لوانا Isandhlwana عانى فيها البريطانيون من نقص الذخيرة وتعرضوا لمذبحة مروعة ولكنهم عادوا مرة أخرى بعد ثلاثة شهور ، وكانوا مزودين هذه المرة بالمدافع الرشاشة [من طراز مكسيم Maxim Gun] .

وكان استعمال هذا السلاح المروع ضد الافريقين ، بداية لعصر جديد ، تمثل في هذا القول الخالي من البطولة للشاعر بيلوك :

ليكن بعد ذلك ما يكون . .
فنحن نملك رشاش مكسيم . .
وهم لا يملكون ! . .

تطور يدعو إلى الدهشة لقيام مثل هذه الثورة في بلد كان خاضعاً تماماً للسيطرة الأجنبية . وسرعان ما حث الدائنون الأوروبيون حكوماتهم على التدخل لمواجهة هذا الوضع الجديد في مصر . وعلى الفور تدخل البريطانيون لإعادة النظام وإقراره ، ثم تسلسلت الأحداث واحدة وراء أخرى ، إلى أن وقع حادث عارض في يوليو ١٨٨٢م اتخذه البريطانيون ذريعة للهجوم على مصر واحتلالها .

ورغم ما كان يدعيه البريطانيون في ذلك الوقت ، وما كانوا يؤكده في كل المجالات ، من أن احتلالهم لمصر احتلال مؤقت إلا أن هذه الخطوة من جانب بريطانيا قد أثارت ثائرة الفرنسيين الذين أخذوا على غرة ، ولم يكن لديهم الوقت الكافي لحشد قواتهم لمشاركة البريطانيين في هذا الاحتلال . وكانت فرنسا على يقين من أن مصر التي كانت حتى وقت قريب محمية دولية تلعب فيها فرنسا دوراً رئيسياً بين الدول الأوروبية الأخرى التي تدير شؤون البلاد ، أصبحت الآن - كأمر واقع - جزءاً من الإمبراطورية البريطانية ، الأمر الذي يعد انتهاكاً من جانب بريطانيا للاتفاق القائم بين القوى الأوروبية .

وقد اتخذ الاحتلال البريطاني لمصر ذريعة دفعت الدول الأوروبية الأخرى للتدخل في الشؤون الأفريقية . فإذا كانت بريطانيا قد استطاعت أن تلتهم جزءاً من أفريقيا على مثل هذا النحو ، فلن الدول الأوروبية الأخرى في استطاعتها أن تفعل الشيء نفسه . وسرعان ما ارتفع في أوروبا صخب وضجيج النعرات الوطنية التي أخذت تتطلع إلى البحث عن مناطق

شدد الأوروبيون زحفهم وتكالبهم على أفريقيا . وفي عقد الثمانينات من القرن التاسع عشر ، مزق الأوروبيون أوصال القارة واقتسموها فيما بينهم . وما أن انتهى هذا العقد حتى تحدت بوضوح الحدود النهائية للإمبراطوريات الأوروبية في معظم المناطق الساحلية حول القارة . وتبين هذه الخريطة الحصص التي استولت عليها الدول الأوروبية المختلفة في المناطق الساحلية . أما تقسيم وتوزيع المناطق الداخلية بالقارة ، فقد بدأ بالكاد في تلك الفترة .

ويمكن النظر إلى عملية الزحف والتكالب على أفريقيا من عدة زوايا . فمن ناحية تسلسل الأحداث والوقائع التاريخية ، يمكن القول بأن فرنسا هي التي بدأت تلك العملية . وربما كان ذلك رد فعل للهزيمة المنكرة للفرنسيين حين احتلت ألمانيا بلادهم [سنة ١٨٧٠م] ، الأمر الذي دفعهم إلى ممارسة السلوك العدواني في مختلف أنحاء العالم بما في ذلك قارة أفريقيا .

وعلى هذا ، أعلنت تونس محمية فرنسية سنة ١٨٨١م . وفي السنغال واصل الفرنسيون زحفهم على مناطق نهر النيجر في الفترة ما بين عامي ١٨٧٩ - ١٨٨٣م . وفي الجابون تمكن القائد دي برازا من فرض التبعية الفرنسية على قبائل الفانج Fang التي تعيش بالمناطق الداخلية .

أما إذا نظرنا إلى عملية الزحف والتكالب على أفريقيا من الناحية الدبلوماسية ، فسوف نجد أن بريطانيا هي التي قلبت الأوضاع القائمة رأساً على عقب . ففي سنة ١٨٨١م قاد الضابط المصري أحمد عرابي ثورة وطنية في مصر ، وهو

النفوذ فيما وراء البحار .

حتى بسمارك نفسه ، اضطر إلى تغيير مواقفه السابقة ، واشترك في هذا الصخب ، وأعلن الحماية الألمانية على المناطق الأفريقية التي كانت تعمل فيها البعثات التبشيرية الألمانية [مناطق توجو والكاميرون وجنوب غرب إفريقيا] . كما أعلن نوعاً مبهماً من الحماية والسيادة على سلطنة زنجبار [بما في ذلك الجزيرة والمناطق الأفريقية الداخلية التي كانت تابعة لها ، وكذا سلطنة الويتو Witu الصغيرة الواقعة على الساحل الأفريقي] . الأمر الذي أدى إلى حدوث نوع من التداخل بين النفوذ الألماني والمصالح البريطانية في تلك المنطقة . ونتيجة لذلك فقد اضطرت الدول الأوروبية الضالعة بعملية الزحف والتكالب على إفريقيا ، إلى قبول الدعوة إلى عقد مؤتمر برلين سنة ١٨٨٥م ، لتتفق فيما بينها على تقسيم إفريقيا بين الأطراف المعنية دون حدوث تداخل بين مناطق النفوذ التابعة لكل طرف .

وكانت النتيجة المباشرة لهذا المؤتمر هي توزيع الحصص الأفريقية على الدول الأوروبية على النحو المبين بهذه الخريطة .

كما توضح هذه الخريطة أيضاً حدوث واقعتين هامتين بالنسبة لتطور الأوضاع بداخل القارة : حدثت الواقعة الأولى في مناطق أعالي

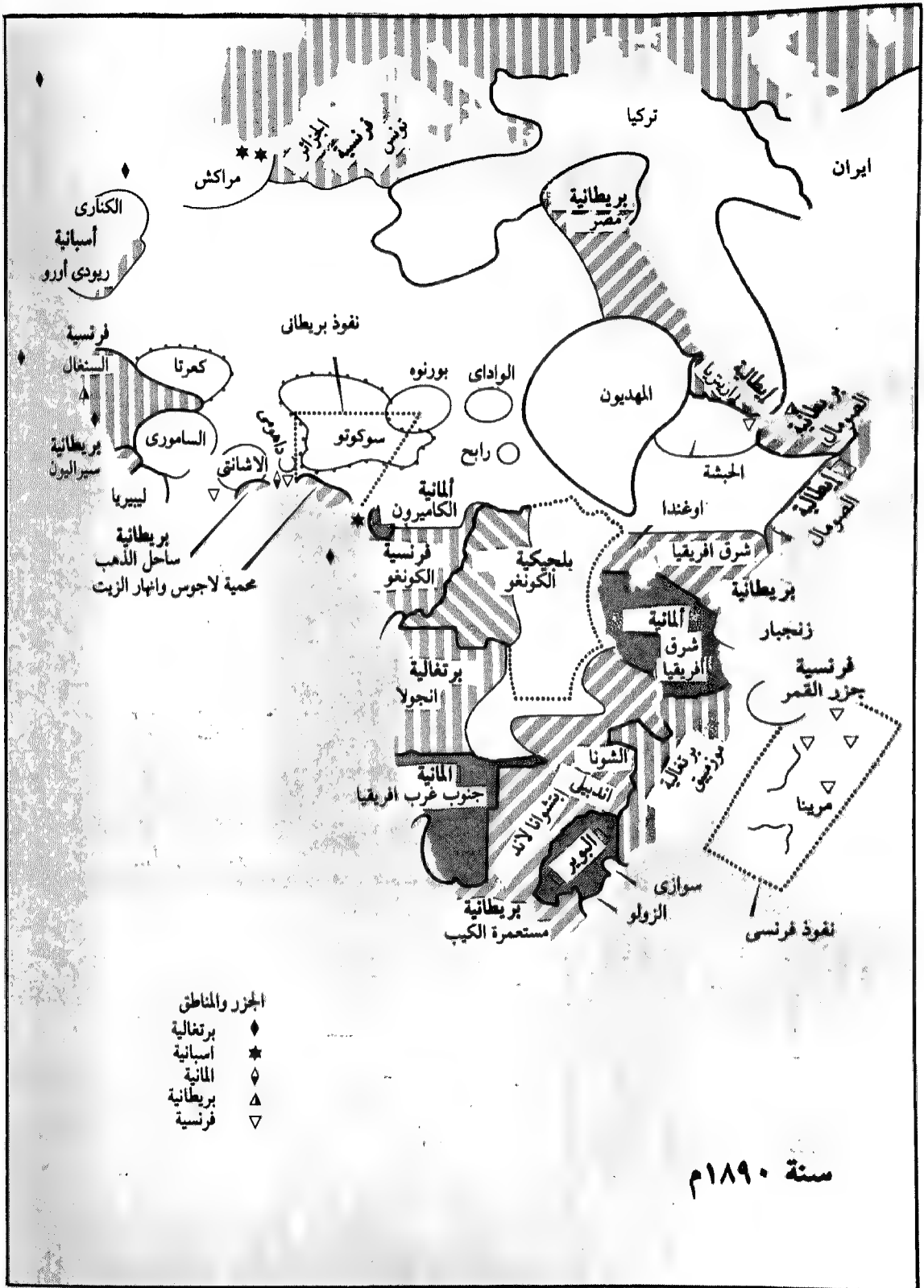
النيل ، حين نشبت الثورة المهدية بقيادة محمد أحمد المهدي في السودان سنة ١٨٨١م . واخرجت المصريين من جميع المناطق التي كانت تحت نفوذهم جنوب الجندل الثاني [فيما عدا المناطق الساحلية بجنوب البحر الأحمر فقد تم اقتسامها بين البريطانيين والitalيين] وقد تركت المديرية الاستوائية كما هي معزولة عن العالم كله تحت حكم التمساري أمين باشا .

أما الواقعة الثانية فقد حدثت في حوض نهر كبير آخر بإفريقيا الوسطى ، وهو نهر زائير [الكونغو] وقد أعاد ستانلي استكشاف مناطق هذا النهر بعد أن أصبح وكيلاً لأعمال الملك ليوبولد ملك بلجيكا . وفي الفترة بين عامي ١٨٧٩ - ١٨٨٤م ، قام ستانلي بإنشاء سلسلة من المراكز والمحطات التجارية على طول مجرى النهر . ونتيجة لذلك قامت امبراطورية شخصية تابعة للملك ليوبولد نفسه [وقد اعترفت الدول الأوروبية في مؤتمر برلين بهذه التسمية .] وهي امبراطورية واسعة الأرجاء تشمل معظم المساحات الشاسعة الداخلية في أفريقيا الوسطى .

أما في مناطق جنوب إفريقيا ، فقد قام بوير الترانسفال باجلاء البريطانيين ، وحصلوا على استقلالهم سنة ١٨٨١م .



تمويذة قديمة من الخشب المنحوت على شكل « حارس البوابة » كانت تعلق
على مدخل بيوت بعض رؤساء القبائل القديمة .



منطقة شرق افريقيا ، هو منع أية قوى أوروبية أخرى من الوصول أو التأثير على مناطق أعالي النيل . وقد نجح السير صمويل بيكر - ومعه قراء جريدة التايمز - في حث الحكومة البريطانية على انتهاج هذه السياسة ، تحت الادعاء بأن أية قوى أوروبية تصل إلى مناطق أعالي النيل ، تستطيع باستخدام الطرق الهندسية الحديثة ، أن تحجب مياه النيل الأبيض عن مصر ، الأمر الذي يعود بالخراب الحتمي على مصر ، ويعتبر كارثة كبرى للامبراطورية البريطانية . ومن هذا المنطلق ، قامت بريطانيا بتدعيم قواتها في تلك المناطق واحكام السيطرة عليها .

وتجدر الإشارة أيضا إلى أن بريطانيا قد سيطرت في نفس الفترة على المناطق الواقعة جنوب أواسط افريقيا ، بفضل الجهود التي قام بها سيسل رودس Cecil Rhodes المالتي مليونير الانجليزى الذى حقق ثروات خيالية نتيجة لسيطرته على مناجم الماس بجنوب افريقيا ، والذي وضع ملامينه هذه في خدمة الامبراطورية البريطانية وتوسيع حدودها في افريقيا .

وعلى الفور انتشر وكلاء رودس شمالا مخترقين نفس الطريق الذى فتحه لثنجستون في الجيل السابق ، وأخذوا يعقدون « معاهدات الحماية » Treaties of Protection مع كل القبائل الافريقية التى كانت تعيش في تلك المناطق ، وفرضوا عليها النفوذ البريطانى . . تعاقدا مع قبائل السوتو Sotho التى كانت تعيش في منطقة تسوانا Tswana ، والتي سميت آنشد بتشوانا Bechuana ثم بتشوانا لاند Bechuanaland فيما بعد . كما تعاقدا مع

واجه البريطانيون بحزم ردود الفعل التى حدثت بين القوى الأوروبية الأخرى بسبب قيام بريطانيا باحتلال مصر . وفي مؤتمر برلين حين كانت الدول الأوروبية المشتركة في المؤتمر تدعى مطالبات مبالغاً فيها ، فلم يسفر ذلك إلا عن تأكيد سيطرة هذه الدول على المناطق الافريقية التى كانت تسيطر عليها فعلا .

ومع ذلك فلم يمضى وقت طويل حتى شرعت هذه الدول الأوروبية في تحقيق نوع من التوازن بالنسبة لمناطق نفوذها في افريقيا . وخلال فترة الثمانينات من القرن التاسع عشر ، اتضح تماماً انه عندما يتعلق الأمر ببناء الامبراطوريات الأوروبية فيما وراء البحار ، فإن الدول الأوروبية المعنية لا تنتظر أن تتلقى دروساً من أحد ، ولا تتبالي إلا بمصالحها وحدها .

وقد استعادت بريطانيا مركزها المتفوق في افريقيا ، خصوصاً بعد أن تبين لها أن الألمان لا يرغبون حقيقة في توسيع نفوذهم في افريقيا . وعلى ذلك فقد تم الاتفاق سنة ١٨٩٠ م ، على أن تتنازل المانيا لبريطانيا عن المحميات الألمانية في الويتو وزنجبار Witu & Zanzibar . كما قبلت المانيا تقليص الحدود الشمالية لمنطقة نفوذها بشرق افريقيا ، بطريقة أتاحت لبريطانيا السيطرة على أوغندا Uganda . وكانت هذه التنازلات الألمانية كلها ، ثمنا لتنازل بريطانيا عن جزيرة هليجولاند Heligoland ، وهى جزيرة تقع في مواجهة سواحل المانيا . وكانت بريطانيا قد احتلتها واتخذتها قاعدة بحرية لاسطولها منذ أيام الحروب النابوليونية .

وكان الهدف الرئيسى للسياسة البريطانية في

قبائل الانديبلى [فى منطقة ماتا بيليلاند Matabeleland] . ومع قبائل الشونا [فى منطقة ماشونا لاند Mashonaland] . ومع جميع القبائل الأخرى التى كانت تعيش فى جميع المناطق الواقعة بين أعالى نهر الزامبيزي وبحيرة نياسا .

وفى سنة ١٨٩٠ م ، عندما أصبح سيسل رودس رئيساً لوزراء مستعمرة الكيب ، قضى رودس نهائياً على أحلام البرتغاليين فى السيطرة على المناطق الأفريقية الواصلة بين انجولا وموزمبيق . كما جرد البوير من أية قدرة على التوسع غرباً أو شمالاً .

ولم يكن لبريطانيا نشاط ملحوظ فى مناطق غرب أفريقيا ، وكانت أوضاعها مستقرة على ما هى عليه هناك . وكان المبعوثون الدبلوماسيون الانجليز فى تلك المناطق يزودون الحكومة البريطانية بتقارير تؤكد أن فرنسا وألمانيا تحترمان المصالح البريطانية فى منطقة نفوذها فى نيجيريا .

وعلى العكس من بريطانيا ، ازدادت التحركات الفرنسية فى مناطق غرب أفريقيا . وفى سنة ١٨٨٨ م ، قامت فرنسا بضم فوتا چالون ، كما مارست ضغطاً مستمراً على

أهم عاهلين بمناطق اعلى نهر النيجر وهما : شيخ أحمدو ملك كعرتا ، وهو ابن الحاج عمر وخليفته على عرش المملكة ، وسامورى تورى Samori Toure هازم قبائل الماندى والذى وضع كل القبائل التى كانت تعيش بمرتفعات غينيا تحت سيطرته منذ سبعينات القرن التاسع عشر . وأصبح من الواضح بعدئذ أن الفرنسيين سيتحركون إلى مناطق أبعد من ذلك على طول مجرى النيجر بمجرد تجهيزهم للقوات اللازمة لتحقيق المزيد من هذه التحركات . وبالتالي فقد أصبح الفرنسيون المنافسين الوحيدين للبريطانيين فى أفريقيا .

أما الايطاليون فقد كان لهم نصيب أيضاً فى عملية الزحف والتكالب على أفريقيا ، حيث تم أخيراً فتحهم لمنطقة اريتريا . كما أعطاهم البريطانيون الإذن بضم المنطقة الواقعة بالسواحل الصومالية والتى كانت من قبل تحت سيطرة زنجبار . كما تمكن الايطاليون من ممارسة الضغط على الحبشة التى أصبحت فى حالة بائسة بعد مقتل الملك چون أثناء إحدى معاركه مع المهديين ، وتولى العرش ملك حبشى جديد هو منليك Menelik الذى خضع للايطاليين ووقع معهم معاهدة يعترف فيها « بالمصالح الخاصة » لاييطاليا فى بلاده .



تمثال من النحاس يرجع تاريخه إلى القرن السابع عشر يمثل أحد رجال القبائل بغرب إفريقيا .
من معروضات متحف الثقافات الشعبية بـشينا بالنمسا .

الاسباب ما يجعلها لا تحزن كثيراً لابعادها عن مناطق النيل . فقد شقت فرنسا لنفسها طريقها في مناطق غرب افريقيا . وقامت بتقليص نفوذ أحد حاكم كعرتا في سنة ١٨٩٣ م . ثم دخلت تمبوكتو فيها بعد ، كما استطاعت تقليص نفوذ ساموري توري في سنة ١٨٩٨ م .

وبعد أن تمكنت فرنسا من تثبيت مركزها في منطقة النيجر الأوسط [والتي أطلقت عليها اسم السودان الفرنسي French Sudan] ، تطلعت إلى وصل تلك المنطقة بالمناطق التابعة لها في ساحل العاج ، وفي اقليم داهومي الذي استولت عليه سنة ١٨٩٤ م . وهكذا أصبحت فرنسا تسيطر على كتلة متماسكة واسعة الأرجاء من الأقاليم الافريقية جنوب الصحراء الكبرى . وفي سنة ١٨٩٥ م ، جمعت فرنسا هذه الأقاليم كلها في كيان سياسي واحد ، أطلقت عليه اسم افريقيا الغربية الفرنسية French West Africa .

وقد أدى هذا النجاح إلى تشجيع الفرنسيين على المزيد من الطموح إلى وصل الأقاليم التي تسيطر عليها في مختلف انحاء افريقيا بعضها ببعض . وفي سنة ١٩٠٠ م خرجت ثلاث بعثات عسكرية فرنسية قاصدة الالتقاء ببعضها في منطقة بحيرة تشاد . وقد خرجت البعثة الأولى من الجزائر ، وخرجت الثانية من افريقيا الغربية الفرنسية ، وخرجت الثالثة من الكونغو الفرنسية .

وكانت منطقة بحيرة تشاد [التي كانت فيما مضى مملكة بورنوه القديمة] تعاني حالات من الرعب والفرع الذي أشاعه « رابح » قناص

في الفترة ما بين عامي ١٨٩٦ - ١٨٩٨ م ، هجم البريطانيون على السودان وقضوا على دولة المهديين نهائياً . وعندما وصلوا زحفهم نحو أعلى النيل الأبيض ، فوجئوا بالعلم الفرنسي الثلاثي الألوان مرفوعاً على منطقة كودوك Kodok التي تعرف الآن باسم فاشودة Fashoda حيث عسكرت بعثة استكشافية فرنسية كانت قد وصلت إلى هذه المنطقة عبر الكونغو . وقد اعتبرت بريطانيا هذا الفعل من جانب الفرنسيين صفة موجهة لها في قلب منطقة نفوذها بأعلى النيل . وعلى الفور أمر الانجليز هذه البعثة الفرنسية بترك المنطقة . وكادت الحرب تنشب بين انجلترا وفرنسا فعلاً بسبب هذه الحادثة .

لقد واجهت بريطانيا مطامع الفرنسيين بحزم ، كما واجهت أيضاً مطامع الملك ليوبولد بحزم مماثل . فمنذ عام مضى أرسل ليوبولد حملة عسكرية ضد المهديين ، أجلتهم من منطقة لادو Lado [وتعرف حالياً باسم الرجاف Rejaf] وهي منطقة تقع داخل حدود المديرية الاستوائية التي تعتبر بدورها داخله ضمن مناطق النفوذ البريطاني . لذلك فقد قامت بريطانيا باخطار الملك ليوبولد بأن في امكانه الاحتفاظ بنفوذه على تلك المنطقة اثناء حياته فقط ، على أن تعاد بعد ذلك إلى السودان [أي إلى بريطانيا] بمجرد موته . أما اقليم دارفور Darfur وهو اقليم سوداني ، فقد ابقته بريطانيا تحت حكم أحد السلاطين المحليين الذين ينتمون إلى الاسرة الحاكمة القديمة .

وفي حقيقة الأمر كان لدى فرنسا من

العبيد الذي كان يهجم على المنطقة بين حين وآخر ، منطلقا من مكان اقامته الأصلي جنوب دارفور . وقد حققت البعثات العسكرية الفرنسية لقاءها بنجاح في منطقة بحيرة تشاد طبقا للخطة المرسومة . وبعد التخلص من رابع هذا ، تمكنت فرنسا من تحقيق الوصل بين افريقيا الشمالية الفرنسية ، و افريقيا الغربية الفرنسية ، والكونغو الفرنسي .

وفي سنة ١٨٩٥ م ، أطلق سيسل رودس اسمه على روديسيا ، الأمر الذي أدار رأسه وجعله يتلهم إلى تحقيق غايته في القضاء على البوير . فشن عليهم حملة عسكرية سميت [غارة جيمسون سنة ١٨٩٦] . وقد فشلت هذه العملية فشلاً ذريعاً دعا الحكومة البريطانية إلى التدخل في الحرب التي كانت قائمة بين البوير وقوات رودس . ومع ذلك فقد تلاحقت بعض الهزائم المنكرة على القوات البريطانية المحلية في خلال عام ١٨٩٩ م .

وفي بداية عام ١٩٠٠ م ، وصلت بعض الوحدات الرئيسية من الجيش البريطاني للاشتراك في الحرب الدائرة ، وسرعان ما رجحت كفة البريطانيين . وفي مدى بضع شهور قليلة احتلوا كافة النقاط والمراكز الرئيسية بما في ذلك

بلومفونتين Bloemfontein [عاصمة الأوفس Ofs] ، وحقول الذهب في راند Rand [وقد اكتشفت هذه الحقول سنة ١٨٥٦ م وكانت السبب الحقيقي للمشاكل التي أدت إلى الحرب] . كما احتلوا بريتوريا Pretoria [عاصمة الترانسفال] .

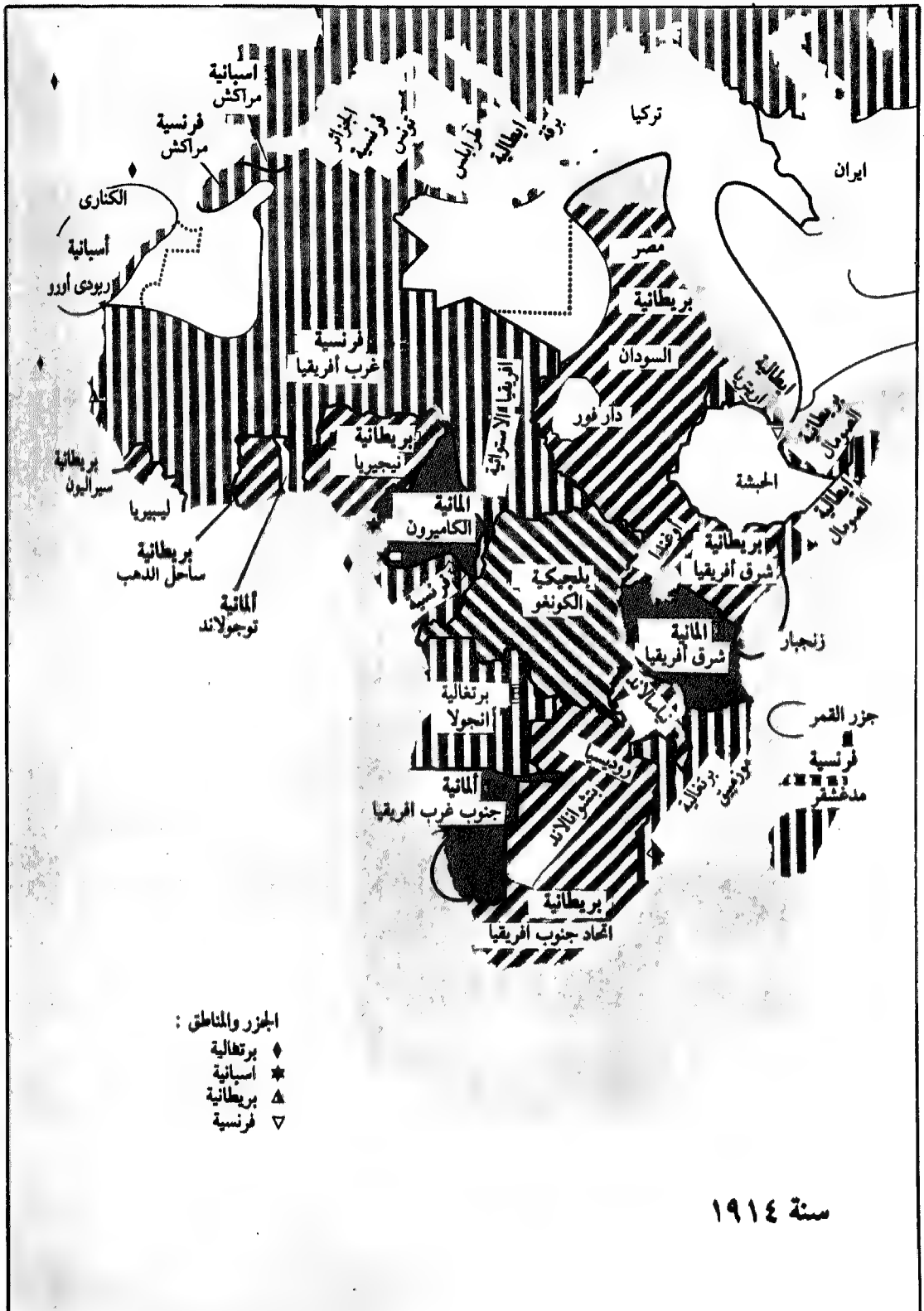
ورغم أن البوير قد حولوا مقاومتهم المريعة إلى حرب عصابات استمرت نحو عامين ، إلا أن النتيجة النهائية لكل ذلك هي أن سيطرة بريطانيا على جنوب افريقيا أصبحت غير محل شك .

وقد باءت محاولة الايطاليين للضغط على الحبشة بفشل ذريع في مدينة عدوه Adowa الواقعة جنوب الحدود الارتريرية الحبشية . حيث تغلبت الجيوش الحبشية التي أرسلها الامبراطور منليك على الجيش الايطالي الذي كان يحاول الاستيلاء على تلك المدينة . وهكذا توقفت ايطاليا عن محاولاتها لفرض حمايتها على الحبشة ، كما تبذرت أحلامها في وصل الاقليمين اللذين تسيطر عليهما في كل من الصومال وارتيريا .

وفي سنة ١٨٩٥ م ، بدأت فرنسا عملية الاستيلاء على معظم أنحاء جزيرة مدغشقر . وكانت قد استولت من قبل - سنة ١٨٨٦ م - على جزر القمر Comoros .



لوحة من النحاس يرجع تاريخها إلى القرن
السادس عشر تمثل ساحر القبيلة وهو
يمسك بكرواج لطرد الأرواح الشريرة .
من معروضات المتحف البريطاني بلندن .



النفوذ البريطاني في افريقيا ، فتمثل في الاستيلاء على نييجيريا الشمالية فيما بين عامي ١٩٠١ - ١٩٠٣ ، وفي سد الفجوة التي كانت تفصل بين السودان وأوغندا ، وذلك بضم منطقة لادو بعد موت الملك ليوبولد سنة ١٩٠٩ . وفي اعلان اتحاد جنوب افريقيا Union of South Africa بعد دمج مستعمرة الكيب واقليم ناتال ودولة أورانج الحرة واقليم الترانسفال في سنة ١٩١٠ م .

ويلاحظ أن تعداد الأوربيين البيض قد ازداد في تلك الفترة في منطقة جنوب افريقيا ، حيث وصل إلى نحو مليون وربع مليون نسمة ، وهو عدد كبير يمثل نحو ٢٢٪ من التعداد الاجمالي المفترض للأهالي السود الذي كان يقدر في ذلك الوقت بنحو ستة ملايين نسمة .

كذلك فقد وصل عدد الأوربيين في الجزائر إلى نحو ثلاثة أرباع مليون نسمة . أي حوالي ١٤٪ من اجمالي عدد الجزائريين الذي كان يقدر بنحو خمسة ملايين وربع مليون نسمة .

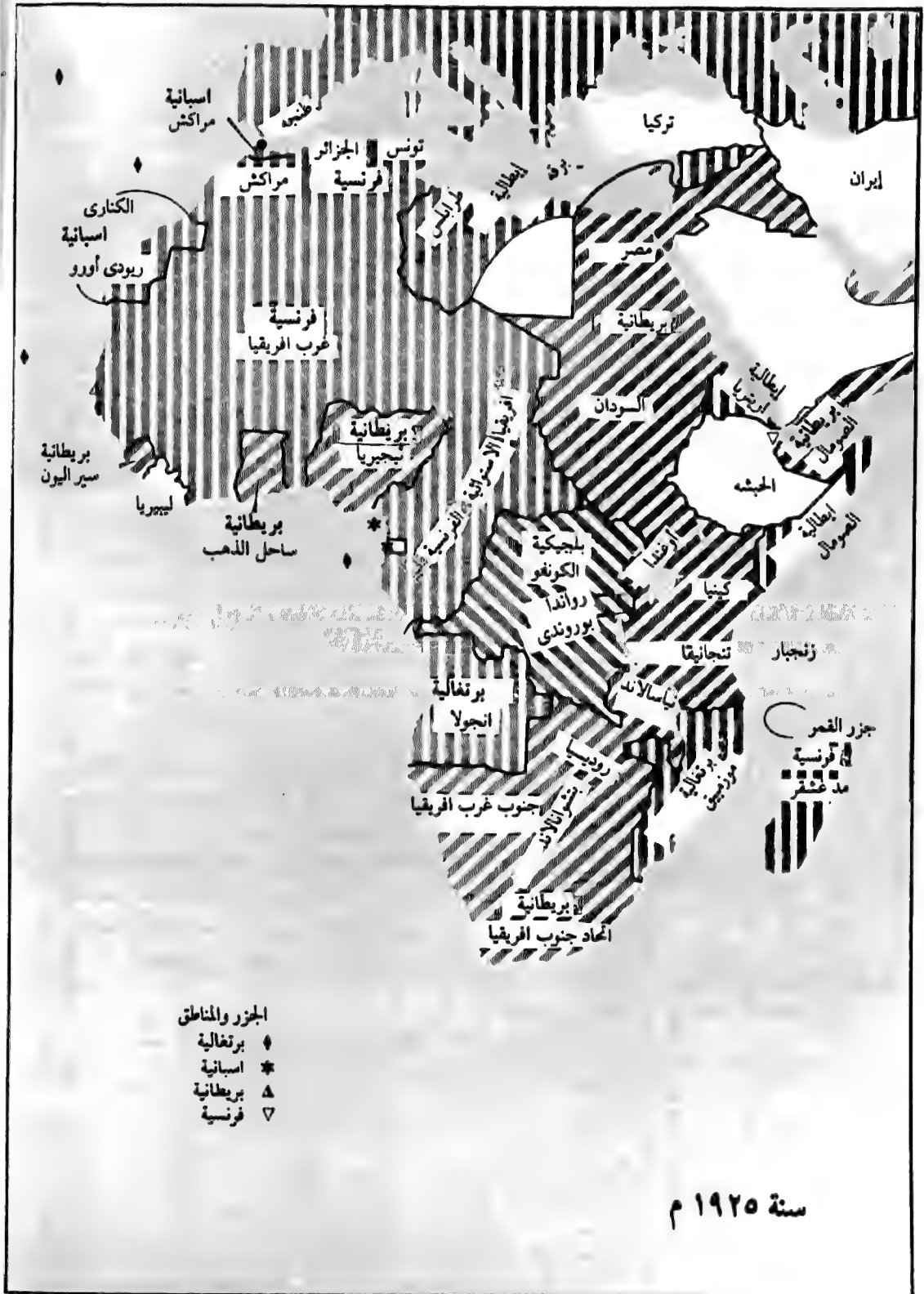
ونشير أخيراً إلى قيام إيطاليا بالاستيلاء على المنطقة الساحلية لكل من اقليمي برقه وطرابلس اللذين كانا يتبعان تركيا . وذلك في خلال عامي ١٩١١ - ١٩١٢ م . ومع ذلك لم ينجح الايطاليون في التغلغل إلى المنطقة الداخلية لأي من هذين الاقليمين .

منذ نهاية حرب البوير [سنة ١٩٠٢] وبداية الحرب العالمية الأولى [سنة ١٩١٤] ، حدث نوع من التماسك والمساندة بين الامبراطوريات الأوربية في افريقيا . فقد قام كل من الفرنسيين والبريطانيين باحتلال جميع المناطق التي كانوا يطمحون إلى احتلالها ووضعها تحت سيطرتهم . كما تحدت معالم معظم الحدود السياسية التي تفصل بين كل من الامبراطوريتين الفرنسية والبريطانية وغيرهما من الامبراطوريات أو الادارات الاستعمارية الأوربية الأخرى في مختلف انحاء القارة .

ونود أن نشير إلى الأزمة السياسية التي حدثت بين فرنسا واسبانيا خلال عامي ١٩٠٥ - ١٩٠٦ حول عملية تقسيم مراكش فيما بينهما . فقد انتهت الأزمة بحصول فرنسا على ٩٠٪ من أراضي مراكش وحصول اسبانيا على ١٠٪ من هذه الأراضي .

كما حصلت أزمة أخرى بين فرنسا وألمانيا في سنة ١٩١١ م انتهت بتحويل جزء من افريقيا الاستوائية الفرنسية إلى منطقة الكاميرون التي كانت تسيطر عليها ألمانيا . [وكانت فرنسا قد قامت في سنة ١٩١٠ م بتكوين كتلة سياسية واحدة ، أدمجت فيها مستعمراتها الجديدة في تشاد ، بمستعمراتها القائمة في الكونغو الفرنسي] .

أما أهم الأحداث التي وقعت في مناطق



الجزر والمناطق
 برتغالية ♦
 اسبانية *
 بريطانية ▲
 فرنسية ▽

سنة ١٩٢٥ م

من الناحية العملية - بين كل من بريطانيا أو فرنسا ومستعمراتها التي أصبحت واضحة المعالم والحدود في مختلف مناطق إفريقيا . وكانت تركيا قد اشتركت في الحرب العالمية

الأولى إلى جانب ألمانيا . وكان سلطان دارفور من بين الذين استجابوا لنداء « الجهاد » ضد قوات الحلفاء . وفي سنة ١٩١٦ تم القضاء عليه وقتله ، وضم إقليمه إلى حدود السودان .

أما بالنسبة إلى إيطاليا التي اشتركت في الحرب إلى جانب الحلفاء ، فقد واصل السنوسيون من بدو الصحراء الليبية جهادهم ضد القوات الإيطالية . وقد نجحوا في ذلك إلى حد كبير ، ولم تتمكن إيطاليا إلا على السيطرة على الموانئ البحرية على الساحل الليبي . ونتيجة لذلك فقد تم تعويض إيطاليا باعطائها الأقليم الشمالى الشرقى من كينيا ، حيث قامت بضمه إلى الصومال الإيطالى . [وكان هذا حلاً منطقياً ، لأن أغلب سكان هذا الاقليم كانوا من الصوماليين] . هذا بالإضافة إلى تعديل الحدود الليبية لصالح إيطاليا وعلى حساب كل من إنجلترا وفرنسا .

وبالرغم من هذا فقد كان من الصعب على إيطاليا ان تسيطر سيطرة فعلية على الأقاليم الداخلية بصحراء ليبيا ، حيث واصل السنوسيون نضالهم فى المناطق الداخلية باقليم برقة إلى أن تم القضاء على مقاومتهم سنة ١٩٢٨ .

ونشير إلى أن المعاهدة المبرمة سنة ١٩١٢ بشأن تقسيم مراكش بين كل من فرنسا واسبانيا ، كانت تتضمن نصاً يقضى بتدويل طنجه . ومع

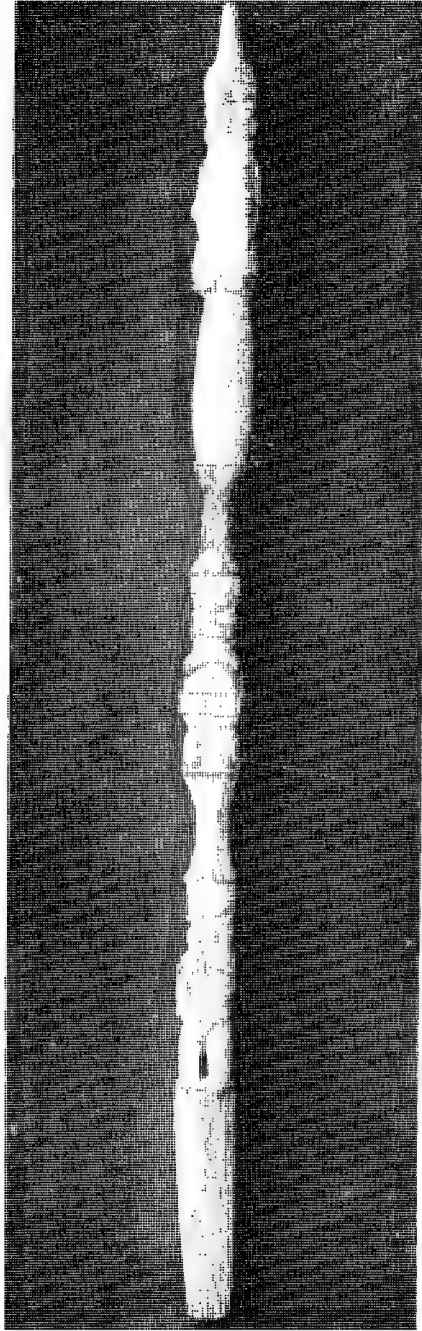
فى سنة ١٩١٤ اكتسحت الجيوش الألمانية حدود بلجيكا بادئة بذلك معارك الحرب العالمية الأولى . وبعد أربع سنوات من الحروب المضنية ، انهزم الألمان ، وغيروا نظامهم القيصرى ، وتوقفوا - فى ذلك الوقت - عن ممارسة افكارهم وطموحهم إلى حكم العالم .

أما الحلفاء المنتصرون فقد خرجوا من الحرب يلعبون جروحهم ، ولم تكن لديهم أسلاب أو غنائم يقتسمونها فيما بينهم سوى الامبراطورية الألمانية فيما وراء البحار ، التي وضعت على المائدة لتقطيعها وتوزيع اجزائها بأقصى سرعة .

وقد تحملت بريطانيا وفرنسا الجهد الأكبر بين قوات الحلفاء التي اشتركت فى تلك الحرب . ولذلك فلم يكن من الغريب أن تحصل الدولتان على نصيب الأسد من المستعمرات الألمانية فى إفريقيا . وعلى هذا فقد حصلت بريطانيا على المستعمرتين الألمانييتين فى جنوب غرب إفريقيا وفى شرق إفريقيا . كما اعطيت بلجيكا اقليمى رواندا وبوروندى . أما فرنسا فقد حصلت على الكاميرون [عدا شريط ممتد على حدودها الغربية صار ضمه إلى نييجيريا البريطانية] . كذلك فقد تم توزيع توجولاند Togoland بين بريطانيا وفرنسا .

وقد تم توزيع كل تلك الأقاليم بمعرفة عصبة الأمم League Of Nations التي انشئت فى فترة ما بين الحربين العالميتين ، كنموذج أولى مبكر لهيئة الأمم المتحدة United Nations . وحتى ذلك الوقت لم تكن ثمة اختلافات أو منازعات -

ذلك فقد انتهكت اسبانيا هذا الالتزام بمجرد اندلاع الحرب العالمية الأولى . ولكن تم تعديل هذا الوضع في سنة ١٩٢٤ ، واعلنت طنجه منطقة دولية مرة اخرى وبصفة فعلية .



عصا أفريقية محلاة بالزخارف . كانت
تستخدم في بعض الطقوس المتعلقة
بالسحر .

من معروضات المتحف القومى
بكويتناجن بالدنمارك .



لتلك المشاعر الوطنية بعد أن تيقنت من أن من المستحيل عليها أن تستمر في احتلال هاتين الدولتين ، فخرجت نهائيا من الهند ، واعترفت باستقلالها ، كما خرجت من المناطق الداخلية بمصر ، ولكنها أصرت على الاحتفاظ بقواتها في منطقة قناة السويس ، ولو على سبيل الاحتفاظ بمظهر عقيم للأفكار الاستراتيجية التي عفى عليها الزمن ، إذ ما فائدة الاحتفاظ بقناة السويس بعد أن ضاعت منها الهند ؟ . . ولم يقتنع البريطانيون بعقم هذا الاصرار حتى أجبرهم المصريون على الجلاء من بلادهم .

كذلك فقد زال النفوذ البريطانى عن جنوب افريقيا . ففي انتخابات ١٩٤٨ ، فاز حزب البوير الوطنى بأغلبية المقاعد فى البرلمان ، وأصبح بالتالى قادرا على تنفيذ سياسية التمييز العنصرى ، واستبعاد الأغلبية السوداء التى تعيش داخل اتحاد جنوب افريقيا من أن يكون لها أى تأثير مباشر فى الأوضاع السياسية والاقتصادية .

والجزء المظلل بهذه الخريطة ، يوضح المناطق التى تسيطر عليها حكومة اتحاد جنوب افريقيا وتطبق فيها هذه السياسة . كما يوضح الاقليمين اللذين ما زالا تحت الحكم الاستعماري البريطانى فى تلك الفترة وهما : سوازيلاند Swaziland وباسوتولاند Basutoland

كذلك فقد قامت بريطانيا بإعداد كل من ليبيا والصومال للاستقلال مستقبلا . وحاولت تعديل الحدود لصالح الصومال بأن ناشدت الاثيوبيين [وهو الاسم الذى أصبح الاحباش يفضلونه رسميا] بأن يتخلوا عن

فى سنة ١٩٣٥ ، صمم الدكتاتور الفاشيستي موسوليني الذى كان يحكم إيطاليا آنئذ ، على أن يحو من الأذهان الذكرى المؤلمة لهزيمة الايطاليين فى منطقة عدوه Adowa بالحشة . لذلك فقد قامت القوات الايطالية فى تلك السنة بغزو الحشة مرة أخرى . وقد استغل الايطاليون هذه المرة جبروت الفاشية ، واستعملوا غاز الخردل السام فى عملياتهم الحربية . وفى سنة ١٩٣٦ انكسرت مقاومة الحشة وخضعت تماما للسيطرة الايطالية .

وبعد نحو اربع سنوات من ذلك ، بدأت المانيا معارك الحرب العالمية الثانية ، ووقفت إيطاليا إلى جانبها [المحور] . وانتهزت هذه الفرصة ، وحقت احلامها باحتلال كل مناطق القرن الافريقى وطرد البريطانيين من الاقليم الذى كانوا يحتلونه من الصومال .

ولكن معاقبة ايطاليا على هذا الفعل لم تتأخر كثيرا . ففي سنة ١٩٤١ هزمت بريطانيا كل القوات الايطالية بمناطق شرق افريقيا . وفى سنة ١٩٤٣ قامت الجيوش البريطانية بطرد الايطاليين من ليبيا ، بالرغم من المساندة الفعالة التى وفرتها الجيوش الألمانية التى اشتركت إلى جانب ايطاليا فى تلك المعركة . وبالرغم من ذلك فمضى انتهاء الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٤٥ ، لم يكتسب الوجود البريطانى فى افريقيا أية قوة جديدة .

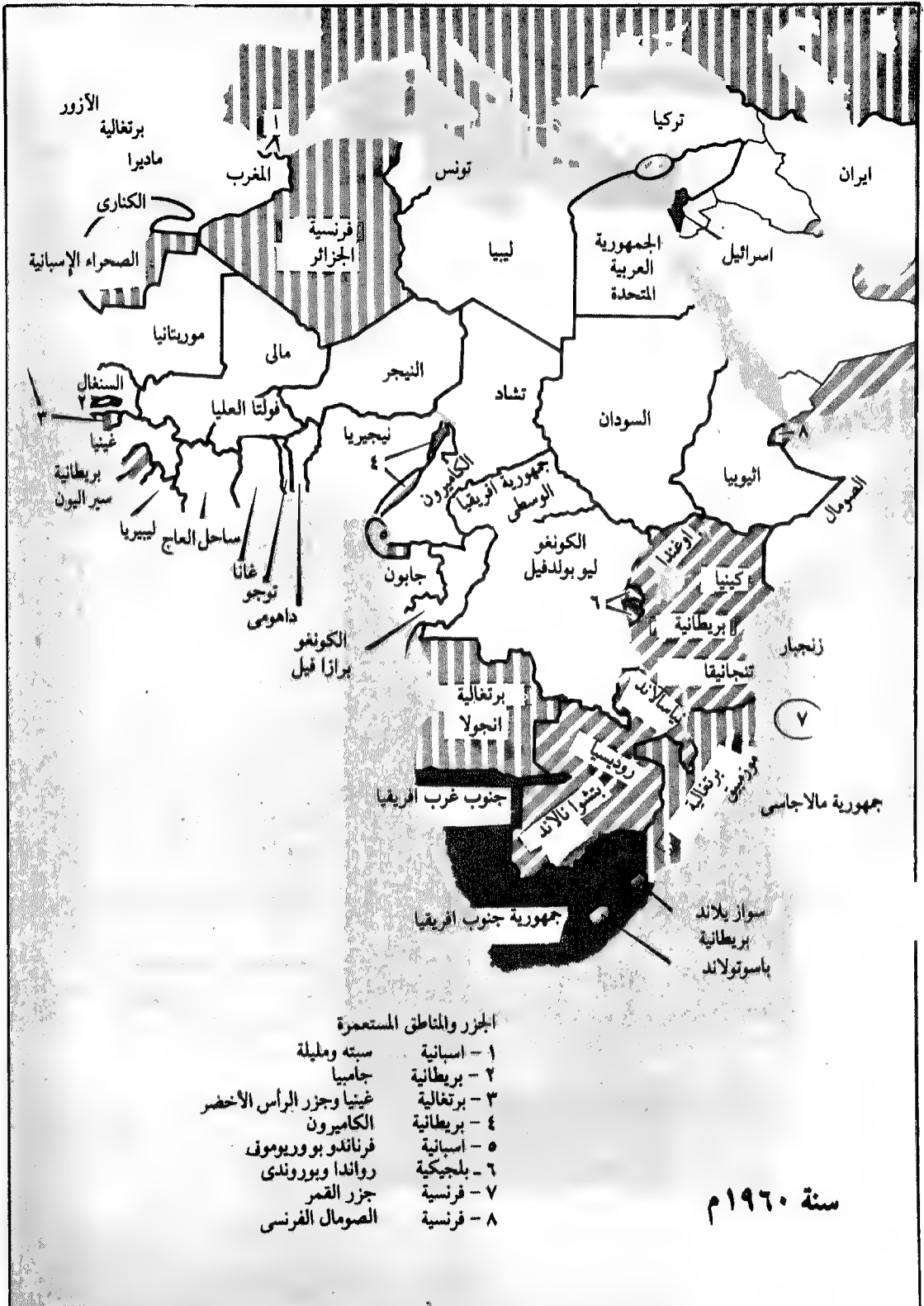
بل على العكس ، فقد أصبح الوجود البريطانى مهدداً بالزوال بفضل التصاعد المستمر للمشاعر الوطنية فى كل من الهند ومصر . وفى سنة ١٩٤٧ قبلت بريطانيا على مضض الخضوع

اوجادين Ogaden ، وهو اقليم صحراوي مجذب
ولا قيمة له إلا بالنسبة للقبائل الصومالية القليلة
التي تعيش فيه . ولكن الاثيوبيين لم يقبلوا ذلك .
أما الاريتريون فقد كانوا يطمحون إلى

الحصول على استقلالهم ، ولكنهم وجدوا
أنفسهم - سنة ١٩٥٢ - مضطرين إلى الدخول في
اتحاد مع اثيوبيا ، سواء أكانوا يقبلون هذا الوضع
الجديد أم يرفضونه على الاطلاق .



تفصيل لرخفة رأس العصا المينة و
الصورة السابقة .
من معروضات المتحف
القومي بكونيناجن بالدنمارك



ولم تكن الولايات المتحدة الامريكية من المساهمين في تلك الشركة ، ولكن انجلترا وفرنسا وهما من أصحاب أكبر حصص الاسهم ، تأمرت مع اسرائيل لكي تشن حرباً خاطفة ضد مصر ، يتخذها البريطانيون والفرنسيون ذريعة للتدخل « لاقرار النظام » . وهي نفس الحجة التي قيلت في الأيام الماضية سنة ١٨٨١ م .

غير أن هذه الحيل الاستعمارية العتيقة لم تعد مقبولة الآن . وأدان الرأي العام الدولي هذا العدوان الثلاثي السافر والذي قدر له الفشل حتى قبل أن يبدأ . لقد انتهى الآن تماماً عصر الاستعمار الصريح الذي كان يكشف عن وجهه سافراً ومعتداً على استخدام الأساطيل الحربية .

أما افريقيا السوداء فقد كان من المفترض ان يتأخر استقلالها قليلاً بعد حصول الدول العربية على استقلالها في مناطق شمال افريقيا . ومع ذلك فقد هبت رياح التغيير بسرعة على معظم المناطق التي كانت داخلة ضمن نفوذ الامبراطوريات القديمة . وفي سنة ١٩٦٠ كان عدد الدول الافريقية الجديدة المستقلة بمناطق جنوب الصحراء الكبرى يكاد أن يتساوى مع عدد المستعمرات التقليدية التي ما زالت قائمة .

وكانت أول دولتين حصلتا على الاستقلال هما : ساحل الذهب [التي سميت دولة غانا Ghana] وقد حصلت على استقلالها سنة ١٩٥٧ ، وغينيا الفرنسية [التي سميت دولة غينيا Guinal] وقد حصلت على استقلالها سنة ١٩٥٨ .

وفي سنة ١٩٦٠ حصلت نيجيريا على

في فترة الخمسينيات ، ازدادت عمليات زوال النفوذ الاستعماري عن كثير من المناطق والدول الافريقية . ففي سنة ١٩٥١ خرجت بريطانيا من ليبيا . وفي سنة ١٩٥٦ خرجت من السودان وأجلت قواتها عن قاعدة قناة السويس . وفي نفس السنة ، انسحبت فرنسا من تونس ، كما انسحبت من مراكش هي واسبانيا .

وكانت الجزائر أقل حظاً حيث كان يعيش فيها نحو مليون من المستوطنين البيض الذين تمسكوا بقوة بمطالبة الحكومة الفرنسية تنفيذ تعهدها غير الواقعي السابق بادماج الجزائر في فرنسا باعتبارها أرضاً فرنسية . وفي سنة ١٩٥٤ نشبت الحرب بين القوات الفرنسية المحتلة وبين ثوار جبهة التحرير الجزائرية - Algerian Liberation Front الذين اكتسبوا التأييد والمساندة من جانب اغلبية الدول الاسلامية ، كما اكتسبوا تعاطف كل المجتمعات الدولية بصفة عامة .

وقد حدثت محاولات قليلة الأهمية من جانب القوى الاستعمارية لارجاع التاريخ إلى الوراء . ولكن هذه المحاولات باءت بالفشل في نهاية عام ١٩٥٦ ، وهناك بعض الوقائع والأحداث السياسية التي قد تعتبر خارطة عن نطاق القارة الافريقية ولكنها مع ذلك أدت دورها في التأثير على الأوضاع السياسية الافريقية . من أهم تلك الوقائع والأحداث مساندة الولايات المتحدة الأمريكية لاسرائيل ، والحرب الباردة التي كانت لم تزل ناشبة بين امريكا وروسيا ، وتدهور العلاقات المصرية الأمريكية ، وعلان امريكا قطع معوناتها عن مصر ، وعلان مصر تأميم شركة قناة السويس .

استقلالها عن بريطانيا ، وهى اكبر دولة افريقية من ناحية تعداد السكان . كما انسحبت فرنسا كلية من جميع المناطق التى كانت تحتلها فى افريقيا السوداء واعترفت بكل دولة على حدة من الدول التى كانت مندمجة فى كتلة سياسية وادارية واحدة .

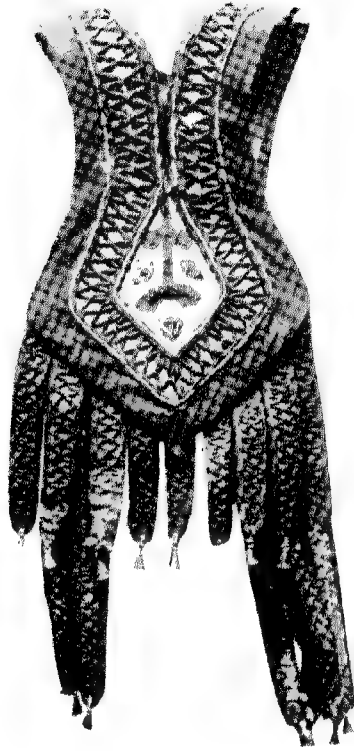
ففى الكتلة التى كانت معروفة من قبل باسم افريقيا الغربية الفرنسية ، استقلت دول عديدة هى : موريتانيا ، والسودان الفرنسى التى سميت مالى ، والنيجر ، والسنغال وٲولتسا العليا ، وساحل العاج ، وتوجو ، وداهومى .

ومن الكتلة التى كانت معروفة باسم افريقيا الاستوائية الفرنسية استقلت دول اخرى هى : تشاد ، وأوبانجى شارى Ubangi. Shari التى سميت جمهورية افريقيا الوسطى ، والكاميرون ، وجابون ، والكونغو .

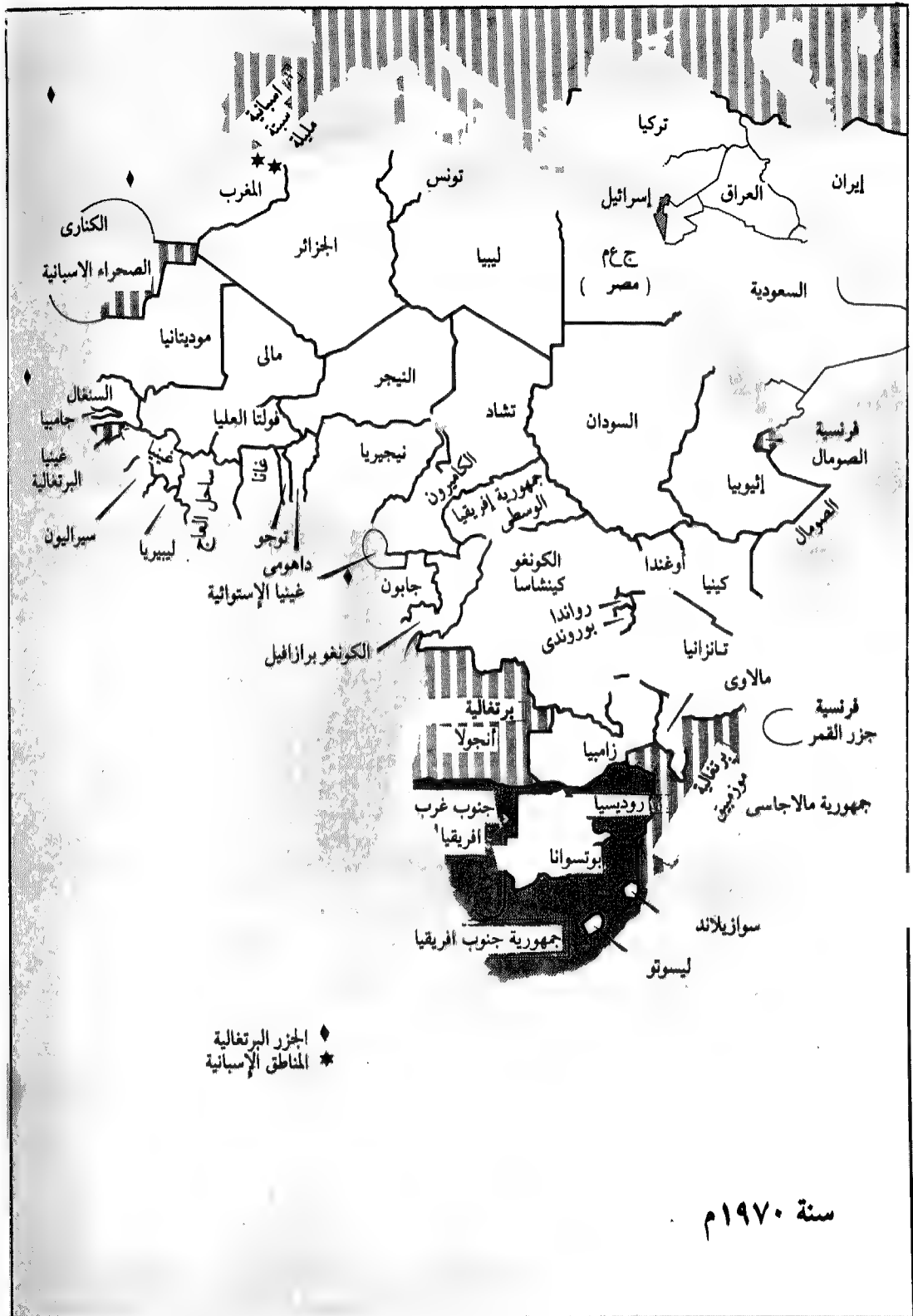
كذلك فقد انسحب البلجيكيون من الكونغو البلجيكي ، وانسحبت بريطانيا وإيطاليا من قسمى الصومال [وقد سمحت هيئة الأمم المتحدة للإيطاليين بالعودة إلى الصومال الإيطالى لاعداده وتجهيزه ليوم الاستقلال] . كذلك فقد انسحب الفرنسيون من جزيرة مدغشقر وسميت دولتها باسم جمهورية مالا جاسى Malagasy .

ويلاحظ أن دولتى الكونغو السابقتين : الكونغو الفرنسى والكونغو البلجيكي ، قد ميزتا نفسيهما بأن أطلقت كل واحدة منهما إسم عاصمتها مقرونا باسمها .

ويلاحظ كذلك حدوث تغيير فى اسم مصر ، فبعد طرد الملك فاروق بقيام الثورة التى قادها ضباط الجيش المصرى [سنة ١٩٥٢] ، اندمجت مصر مع سوريا [سنة ١٩٥٨] فى دولة واحدة سميت الجمهورية العربية المتحدة .



رداء حربي كان يستخدمه محاربو بني القدياء .
من معروضات المتحف البريطاني بلندن .



المحاولة قد أخفقت . وبهذا نجحت روديسيا - ولو إلى حين - في اقرار النظام العنصرى ، والانضمام إلى جبهة جنوب افريقيا .

وعلى جانبى تلك الجبهة العنصرية التى تتكون من روديسيا وجنوب افريقيا ، تقع المنطقتان اللتان كانت تسيطر عليهما البرتغال : موزمبيق فى الشرق ، وانجولا فى الغرب . وقد أعلن البرتغاليون أنهم لن يخرجوا أبداً من أى من هاتين المنطقتين .

كذلك فقد كانت هناك ثلاث مناطق تقع داخل حدود تلك الجبهة ، وكانت تابعة للاستعمار البريطانى . وفى سنة ١٩٦٦ منحت بريطانيا الاستقلال لكل من بتسواتا Botswana [بتشوانا لاند سابقا] ، وليسوتو Lesotho [باسوتولاند سابقا] . وفى سنة ١٩٧٨ حصلت سوازيلاند Swaziland على استقلالها . أما منطقة جنوب غرب افريقيا ، فقد استمرت تحت حكم إنتداب جنوب افريقيا [وكانت هذه المنطقة قد وضعت تحت انتداب اتحاد جنوب افريقيا بقرار صادر من عصبة الأمم القديمة . وقد وافقت هيئة الأمم المتحدة على مضض على استمرار هذا الإنتداب بقرار صدر سنة ١٩٦٦] .

وفى سنة ١٩٦٢ استسلمت فرنسا أخيراً للأمر الواقع وخرجت من الجزائر بعد حرب استمرت ثمان سنوات . وخرجت بلجيكا من رواندا وبورندى .

وفى سنة ١٩٦٩ أعادت اسبانيا منطقة إفنى Ifni إلى المغرب . كما أنشأت دولة جديدة أصبحت تعرف باسم غينيا الاستوائية Equato

فى السنوات الأولى من فترة الستينات ، استمرت عملية زوال النفوذ الاستعمارى عن الدول والمناطق الافريقية بلا مشاكل . ففى سنة ١٩٦١ انسحبت بريطانيا من سيراليون ، وتنجانيقا ، ومن الشريط الذى كانت تحتله فى منطقة الكاميرون .

[وقد اختار الأهالى الذين كانوا يسكنون النصف الشمالى من هذا الشريط أن ينضموا إلى دولة نيجيريا . أما الأهالى الذين كانوا يسكنون النصف الجنوبى من هذا الشريط ، فقد اختاروا الانضمام إلى دولة الكاميرون] .

وفى سنة ١٩٦٢ انسحبت بريطانيا كذلك من أوغندا . وفى سنة ١٩٦٣ انسحبت من كينيا وزنجبار . وفى سنة ١٩٦٤ انسحبت من زامبيا Zambia [روديسيا الشمالية سابقا] ، ومن مالاوى Malawi [نياسالاند سابقا] . وفى سنة ١٩٦٥ انسحبت من جامبيا .

وهنا بدأت المشاكل بالنسبة لدولة روديسيا [روديسيا الجنوبية سابقا] . فقد كان هناك نحو ربع مليون من المستوطنين البريطانيين البيض يقيمون فى روديسيا بصفة دائمة ، وكان مثل هذا العدد من المستوطنين البيض كافياً لاقامة نظام عنصرى على غرار النظام المطبق فى جنوب افريقيا . وفى سنة ١٩٦٥ أعلن هؤلاء المستوطنون استقلالهم من تلقاء أنفسهم ، وأنشأوا حكومة عنصرية بيضاء تتحكم فى الدولة بما فى ذلك الملايين الستة من الأهالى السود .

وقد رفضت بريطانيا استخدام القوة المسلحة ضد المستوطنين البيض . واكتفت بفرض بعض العقوبات الاقتصادية ، إلا أن هذه

rial Guinea وتتكون من جزيرة فرناندو بو والمستعمرة القريبة منها والواقعة بأرض الساحل والتي كانت تسمى مستعمرة ريو موني Rio Muni . [سنة ١٩٦٨] .

وبمجرد انتهاء عصر الاستعمار في افريقيا ، عادت إلى الظهور بعض الأسر المالكة القديمة لتصبح على رأس نظام الحكم في بعض الدول المستقلة الجديدة . وانجح نموذج للأسر المالكة الافريقية كان في المغرب التي مازلت تتبع النظام الملكي حتى اليوم . وذلك على عكس ما حدث بالنسبة للأسرة المالكة في جزيرة زنجبار . فبعد اسبوعين فقط من حصولها على استقلالها ، قامت جماعة ثورية تمثل الأغلبية السوداء من أهالي الجزيرة الأصليين بالاطاحة بالسلطان ، واستولت على الحكومة ، وطالبت فوراً بالانضمام إلى تنجانيقا التي قبلت هذا الاتحاد مع زنجبار ، واطلقت اسم تانزانيا Tanzania على هذا الاتحاد الجديد .

وقد حقق هذا الاتحاد نجاحاً كبيراً ، واستمر قائماً دون حدوث أية مشاكل ، وكان في صالح قسمي الاتحاد معاً . وذلك على عكس ما حدث بالنسبة للوحدة التي تمت بين كل من مصر وسوريا في سنة ١٩٥٨ ، حيث انفصلت سوريا سنة ١٩٦١ ، ومع ذلك فقد استبقت مصر اسم الجمهورية العربية المتحدة .

ooo

وفي سنة ١٩٧٠ ، كانت قد مرت نحو عشر سنوات على استقلال معظم الدول الافريقية . وهي فترة كافية لاستنتاج أن نظم الحكم في هذه الدول لم تنتهج النظام البرلماني الذي أوصاهم به المستعمرون الأوروبيون قبل أن يرحلوا . فبالنسبة للدول التي كانت توجد بها تنظيمات سياسية كافحت من أجل الحصول على الاستقلال ،

أصبح رئيس أي من هذه التنظيمات أو الأحزاب السياسية رئيساً للدولة بمجرد اعلان الاستقلال . كما أصبح الحزب الذي يرأسه هو القوة السياسية الوحيدة في الدولة . وذلك مثلما حدث في غانا فور استقلالها ، حيث أعلن كوامي نكروما Kwame Nkrumah رئيساً للدولة ، باعتباره رئيساً لحزب المؤتمر الشعبي الذي أسسه في فترة ما قبل الاستقلال .

وفي الحالات التي كان يفشل فيها السياسيون الافريقيون في ادارة وتنظيم حكومة مقبولة ، كان العسكريون يستولون على نظام الحكم على أمل انشاء هذه الحكومة . ولعل أوضح الأمثلة على ذلك ما حدث في الكونغو البلجيكي . فقد انسحب البلجيكيون منه قبل أن يتوقع أحد ، وتركوا البلاد تعاني فوضى شاملة إلى أن استولى الجنرال موبوتو Mobutu على الحكم في سنة ١٩٦٥ . وبالرغم من أن حكم موبوتو قد واجه كثيراً من المشاكل إلا أنه مازام قائماً ومستقراً حتى اليوم .

وهناك كثير من السياسيين المدنيين الذين رأسوا بلادهم فور استقلالها ، واستمروا في الحكم فترة طويلة ، حتى أصبح من الصعب أن ند تصور البلاد بدونهم . ونذكر منهم الحبيب بورقيبة في تونس ، وليوبولد سنغور في السنغال ، وسيكوتوري في غينيا كوناكري ، وفليكس هوفويه بواني في ساحل العاج ، وأحمدو أهيدجو في الكاميرون . وذلك بالإضافة إلى الآباء المؤسسين الذين ترأسوا بلادهم فور استقلالها واستمر حكمهم لفترات طويلة خصوصاً في دول شرق افريقيا . ونذكر منهم جومو كينيي في كينيا ، وجوليوس نيريري في تانزانيا ، وكينيث كواندا في زامبيا ، وهاستنجنس باندا في ملاوي .

أما بالنسبة للرجال العسكريين الذين ترأسوا

الدول الإفريقية المستقلة ، فقد تفاوتت أقدارهم . فقد انشأ بعضهم نظام حكم قوياً استمر لمدة طويلة . وأوضح نموذج على ذلك نظام الحكم الذى ترأسه عبد الناصر فى مصر بعد قيام ثورة ١٩٥٢ . فقد استمر عبد الناصر رئيساً للبلاد من سنة ١٩٥٤ حتى وفاته فى سنة ١٩٧٠ .

وبالرغم من أن حكم عبد الناصر كان حكماً فردياً مطلقاً [أوتوقراطياً] ، فلا ينكر أحد مدى إخلاصه لشعبه ونجاحه فى توفير مستوى أفضل لحياة المصريين العاديين .

وعلى المستوى العالمى بصفة عامة ، وبالنسبة للعرب بصفة خاصة ، عاش عبد الناصر أزهى أيامه بعد مواجهته للعدوان الثلاثى [البريطانى الفرنسى الاسرائيلى] سنة ١٩٥٦ . فقد واجه هذا العدوان بشجاعة دوت سمعتها فى أرجاء العالم . ولكن على المدى الطويل ، وبسبب ظهور الكثير من الحركات التحررية فى مختلف أنحاء العالم ، استنزفت مصر مواردها فى تدعيم هذه الحركات ، فى الوقت الذى كانت فيه أحوج ما تكون إلى هذه الموارد لاستثمارها فى التنمية الداخلية .

وفى سنة ١٩٦٧ نشبت حرب جديدة بين مصر واسرائيل التى اكتسحت الجيش المصرى فى ستة أيام ، تبينت فيها الهوة الواسعة بين تقدير عبد الناصر لقوة جيشه ، والقوة الفعلية التى كانت متاحة له فى تلك الأيام . وبعد موت عبد الناصر ، خلفه نائبه أنور السادات وكان أيضاً من العسكريين . واتسم حكمه فى البداية بنظرة أكثر واقعية فى إدارة شئون البلاد . [ولقى مصرعه فى ٦ أكتوبر ١٩٨١] .

وعند موت عبد الناصر فى سنة ١٩٧٠ ، كانت هناك مجموعة من الحكومات الافريقية التى يرأسها عسكريون وتتبع نظام حكم مماثلاً تقريباً

لنظام حكمه . ففى سنة ١٩٦٥ أطاح العقيد هوارى بومدين - وهو عسكري صارم - بأحمد بن بيل رئيس الجزائر الذى كان من قبل رئيساً للجناح السياسى لجهة التحرير الجزائرية .

ويبدو أن أغلبية الدول العربية فى شمال افريقيا ، كانت ترى أن النظم العسكرية هى الاسلوب الصحيح للحكم حتى يتبوأ العرب مكانهم فى هذا العالم . وكان عام ١٩٦٩ هو عام انتشار الانقلابات العسكرية . فقد استولى العسكريون على زمام الحكم فى كل من ليبيا والصومال والسودان [بالنسبة للسودان لم تكن هذه هى المرة الأولى لاستيلاء العسكريين على السلطة] .

فى ليبيا عزل العقيد معمر القذافى الملك السنوسى الذى نصبه البريطانيون على عرش ليبيا منذ سنة ١٩٥١ . وادعى القذافى لنفسه حق الدعوة إلى انشاء دولة اسلامية كبرى تضم الدول الاسلامية المعاصرة . واستغل القذافى موارد ليبيا وعائلاتها من البترول فى تكريس هذه الدعوة . ولكن كان من الواضح ان دعوته هذه لم تلق التأييد حتى من جيران ليبيا من الدول العربية المجاورة الذين رأوا أن مثل هذه الدعوة أصبحت لا تناسب الأوضاع السائدة فى القرن العشرين . وقد رفضت مصر [سنة ١٩٧٣] ، وتونس [سنة ١٩٧٤] العرض الذى قدمه القذافى للوحدة مع كل منهما .

أما اللواء جعفر النميرى رئيس السودان فى ذلك الوقت^(١) فقد كان يواجه وضعاً مختلفاً . فالسودان مثله فى ذلك مثل دول الساحل العشبى بجنوب الصحراء كان مستقطباً لكل من عرب الشمال والافريقيين السود فى الجنوب . وعندما تولى النميرى دفة الحكم ، كان العداء بين

(١) عزل من الحكم فى ابريل ١٩٨٥

الشمال والجنوب قد تصاعد بينهما حتى وصل إلى مرحلة الحرب السافرة ، حيث أصر الجنويون على الحصول على الاستقلال الكامل عن الخرطوم . وقد أعلن النمرى منح الجنوب نوعاً من الحكم الذاتي . وكان ذلك قراراً سياسياً حكيماً يناسب الأوضاع والظروف القائمة ، ووضع حداً للحرب الأهلية ، ونجح في تحقيق المصالحة الوطنية .

أما العسكريون الذين استولوا على نظم الحكم في دول افريقيا السوداء ، فلم يحققوا لدولهم أى نجاح ، كما لم يصل أى منهم إلى مكانة بين بنى وطنه تماثل المكانة التى وصل إليها الحكام المدنيين مثل كينياتا ونيريرى وكواندا وياندا . وربما يرجع ذلك إلى أن نظام الحكم المدنى لم يفقد بريقه بين شعوب تلك الدول على عكس الوضع بين شعوب شمال القارة . وبهذا يمكن تفسير الوضع الذى حدث في غانا عندما استولى العسكريون على الحكم وازاحوا كوامى نكروما سنة ١٩٦٦ . فقد أعلن القادة العسكريون أن حكومتهم حكومة انتقالية مؤقتة ، وأنهم سيعيدون الحكم للمدنيين بمجرد حل واصلاح الكوارث الاقتصادية التى سببها نكروما بتبذيره . ومن المدهش أن قادة الجيش الغانى قد أوفوا بوعدهم ، واعادوا الحكم إلى المدنيين في سنة ١٩٦٩ .

وكذلك الحال بالنسبة لنييجيريا . فعندما استولى العسكريون على الحكم سنة ١٩٦٦ ، أعلنوا أنهم سيعيدونه للمدنيين بمجرد قيامهم باقرار النظام في الدولة . ولكن نييجيريا كانت تعاني وقتئذ كثيراً من مشاكلها الخاصة . فقد نشبت حرب أهلية استمرت من سنة ١٩٦٧ حتى سنة ١٩٧٠ ، بسبب انسحاب قبائل الإيبو Ibo من الدولة ، وانشائهم دولة خاصة بهم سموها بيافرا Biafra . وبالرغم من أن هذه الدولة قد

حصلت على الاعتراف الدبلوماسى من العديد من الدول الافريقية الأخرى ، فقد تم القضاء عليها نهائياً . ثم قامت الحكومة الاتحادية [العسكرية] بتقسيم نييجيريا إلى وحدات إدارية صغيرة ، تقف كلها على قدم المساواة ، الأمر الذى يصعب معه حدوث مثل هذا الانقسام مرة أخرى .

وإذا وضعنا في الاعتبار أن رسم الحدود بين الدول الافريقية قد تم في الأصل بمعرفة القوى الاستعمارية التى رسمت هذه الحدود بما كان يلائم مصالحها ، فلم يكن من الغريب إذن أن معظم الدول الافريقية الجديدة قد عانت الكثير من المتاعب والصعوبات للاحتفاظ بوحدة ترابها . فمعظم هذه الدول كان يشغل بالفعل مساحات اقليمية اوسع كثيراً من حدود المساحات أو الأقاليم التى تشغلها القبائل المحلية . كما أن بعض هذه الدول - مثل السودان ونييجيريا - كانت تتكون من شعوب مختلفة عرقياً وعقائدياً وتاريخياً .

ومع ذلك فمن الملاحظ أن الحركات الانفصالية لم تحقق حتى الآن أى نجاح ، حتى في زائير [الكونغو كينشاسا] نفسها ، وهى دولة مترامية الأطراف وتشغل مساحات واسعة . وعندما خرج منها البلجيكىون ، تركوها دون أى نوع من التمهيد الإدارى الذى كان يمكن أن يساعد على اقرار النظام ، الأمر الذى أدى إلى حدوث القلاقل والاضطرابات في السنوات الأولى التالية على الاستقلال . وحتى تتمكن زائير من السيطرة على تماسك الأقاليم التابعة لها ، اضطرت إلى الاستعانة بقوات عسكرية أجنبية بين حين وآخر . رغم أن هذا الاجراء لم يلق ترحيباً من الدول الافريقية الأخرى ، ولم يكن لائقاً بكرامة الحكومة الزائيرية نفسها . ومع ذلك فقد كانت هذه هى الوسيلة الوحيدة أمام تلك

الحكومة للاحتفاظ بالأمر الواقع داخل حدود الدولة .

ومن الملاحظ أن معظم الافريقيين يقبلون النتائج التي تؤدي إليها الحركات الانفصالية . وذلك على أساس أن القارة لديها مشاكلها الخاصة الكافية ، ولا ينقصها أن ينشأ النزاع والشجار على مناطق الحدود بين دولها .

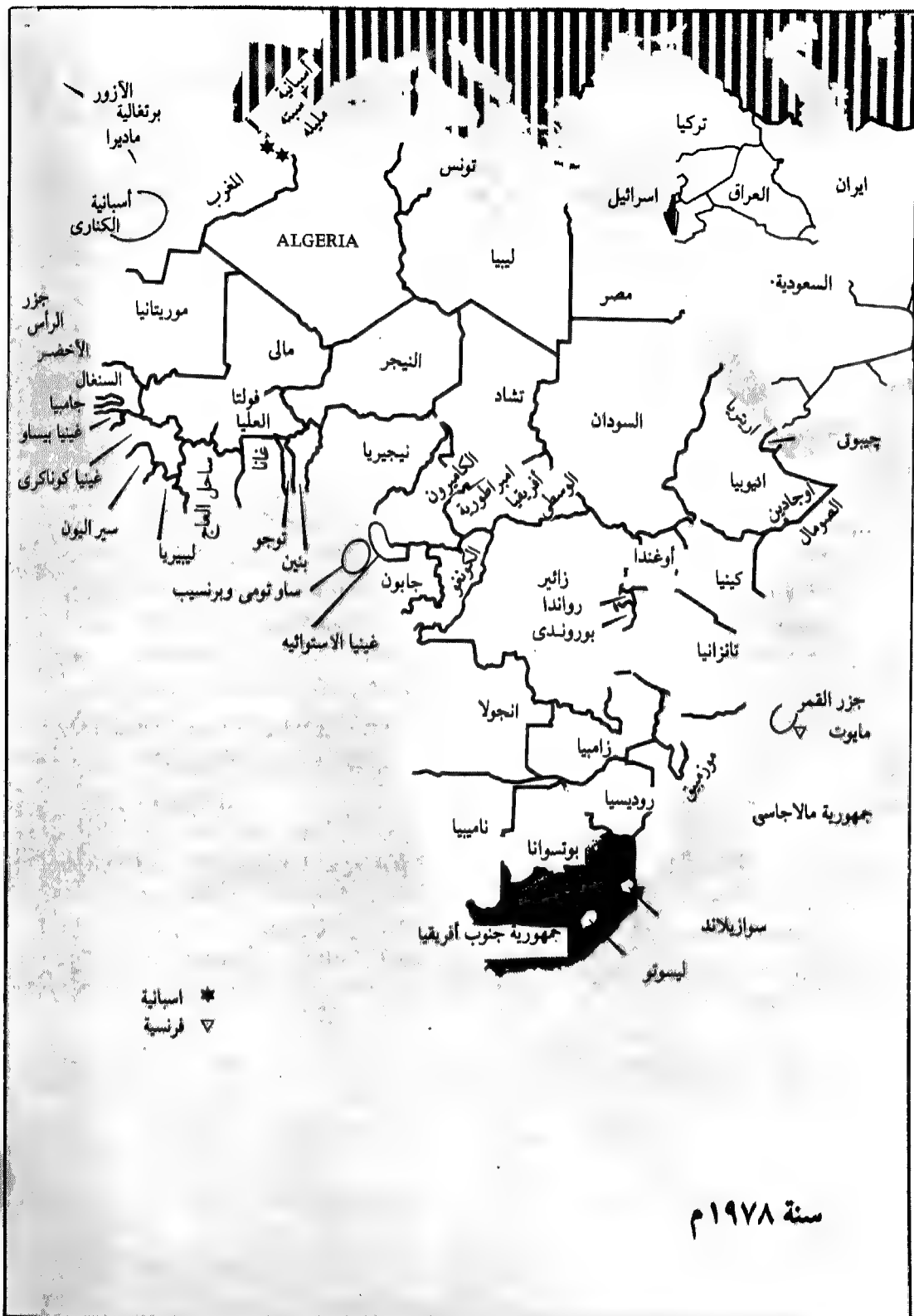
ومع ذلك فإن مشاكل الحدود بين الدول الافريقية تعتبر قليلة للغاية ويمكن عدها على أصابع اليد الواحدة . وبطبيعة الحال فإن بعضاً من هذه الدول تخرج خاسرة من تلك المشاكل ، ومع ذلك فإن « منظمة الوحدة الافريقية » تصدق غالباً على نتائج هذه المشاكل .

ولعل أهم مشكلتين من هذا النوع حدثتا في توجو والصومال . أما مشكلة توجو فتتمثل في أن جزءاً لا يستهان به من قبيلة الإيوى Ewe - وهي القبيلة الأساسية التي تتكون منها دولة توجو - قد أدمج منذ اعقاب الحرب العالمية الأولى في غانا ، بينما كان من المنطقي أن يدمج في

دولة توجو .

أما مشكلة الصومال فتعتبر أكثر تعقيداً . ففي أعقاب نهاية العصر الاستعماري في افريقيا ، وجد الصوماليون أنفسهم مشتتين بين خمسة نظم سياسية هي : الصومال الفرنسي ، والصومال البريطاني ، والصومال الايطالي ، واقليم أوجادين في اثيوبيا ، ومنطقة الحدود الشمالية لدولة كينيا .

أما جمهورية الصومال المستقلة [والتي تتكون من الصومال البريطاني والصومال الايطالي سابقاً] فقد اختارت رمزاً للأقاليم الخمسة التي كان يجب أن تتكون منها . ويتمثل هذا الرمز في النجمة الخماسية الأطراف التي تتوسط العلم الصومالي . وليس من المتوقع أن ينضم الصومال الفرنسي إلى هذه الجمهورية في يوم ما . أما الاقليمان الآخران اللذان يتكلم اهلها اللغة الصومالية في كل من اثيوبيا وكينيا ، فليس من المتوقع انضمامهما إلى الجمهورية الجديدة إلا باستخدام الحرب . وقد بدأت هذه الحرب فعلاً في اقليم أوجادين سنة ١٩٦٤ .



تنطلق من قواعدها في كل من موزمبيق وزامبيا .
أما جنوب أفريقيا ، فقد ظلت بعناد الحصن
الحصين لسياسة التمييز العنصري ضد الأغلبية
السوداء . وذلك بالرغم من أنها اضطرت في سنة
١٩٧٩ إلى قبول استقلال جنوب غرب أفريقيا ،
حيث نشأت دولة جديدة أطلقت على نفسها اسم
ناميبيا Namibia . ويشك كثير من المراقبين في
أن الدستور المقترح لتلك الدولة سيضمن
استمرار البيض الذين لا يتجاوز عددهم ١٠٪
من إجمالي السكان في السيطرة على إدارة دفة
الحكم في تلك الدولة .

ومن الملاحظ بصفة عامة أن بعض الدول
الافريقية المتحررة ، لم تخلو من داء النزاع فيها
بينها وعلى سبيل المثال نذكر النزاع الذي حدث
بمنطقة الصحراء الإسبانية في شمال غرب
افريقيا . فقد اتفقت اسبانيا على تقسيم هذا
الشريط الصحراوي الذي كانت تحتله بين كل من
المغرب وموريتانيا . ولكن الجزائر عارضت هذا
الوضع بشدة ، وقامت بمساندة وتدعيم إحدى
الحركات المحلية التي تنادى باستقلال هذا
الاقليم ، والتي تمارس حرب العصابات ضد
القوات المحتلة .

ونشير كذلك إلى أن اثيوبيا قد حاقت بها
المنازعات من جهتين . فقد بدأ الصوماليون
زحفهم التدريجي للاستيلاء على أوجادين ، بينما
ظهرت في اريتريا بعض الجماعات السياسية
التحررية التي أعلنت الكفاح في سبيل الاستقلال
عن اثيوبيا . وقد سيطرت هذه الجماعات بالفعل
على المناطق الريفية بالاقليم ، بينما ظلت المدن
الرئيسية تحت سيطرة الأنثيوبين .

في الستينات تمسك البرتغاليون بمبدأ
التصميم على عدم مغادرة المناطق التي يحتلونها في
افريقيا . وذلك في عهد الحاكم الرجعي
سالازار . ولكن في سنة ١٩٧٠ ، وبعد أربع
سنوات من موت سالازار ، قامت ثورة في
البرتغال نظرت إلى هذا الأمر من وجهة نظر
جديدة فقد خشيت البرتغال في عهدها الجديد من
الثورات العنيفة التي اشتعل أوارها في داخل
المناطق الأفريقية التي تحتلها ولهذا قررت الحكومة
البرتغالية الجديدة أن تنسحب من افريقيا كلية
وعلى الفور .

وخلال عامي ١٩٧٤ - ١٩٧٥ ، انسحب
نحو ثلاثة أرباع المليون من المستوطنين البرتغاليين
وعادوا إلى وطنهم . وبالتالي فقد استقلت كل من
انجولا وموزمبيق وغينيا البرتغالية ، التي عرفت
باسم غينيا بيساو Guinea Bissau كما استقلت
أيضا جزر رأس فيرد (جزر الرأس الأخضر) ،
وساو تومي وبرنسيب . وفي انجولا حدث
نزاع - من أجل السيطرة عليها - بين ثلاث من
الحركات السياسية التي كانت تكافح من أجل
استقلالها ، إلى أن سيطرت عليها الجماعة
الماركسية التي يساندها الكوبيون . كما سيطر
الماركسيون أيضا على موزمبيق .

وكان لانسحاب البرتغال من انجولا
وموزمبيق تأثير بالغ على روديسيا ، إلى أن انتهى
الأمر أخيراً في عام ١٩٧٩ بخضوع المستوطنين
البيض لحكم الأغلبية السوداء . وفي نهاية ذلك
العام تغير اسم روديسيا وأصبحت تسمى
زيمبابوي Zimbabwe . وقد تعرضت زيمبابوي
إلى التدخل من جانب فرق حرب العصابات التي

وفي سنة ١٩٧٤ حدث في اثيوبيا انقلاب عسكري أطاح بالامبراطور هيلاسلاسى ، وكان من نتيجته سيطرة العسكريين الماركسيين على نظام الحكم . وقد ساندت روسيا هذا النظام وساعدته ضد الصوماليين . وقد نجح هذا النظام واستمر حتى الآن ، بينما فشل الماركسيون من الجماعات السياسية في اقليم اريتريا (منتصف عام ١٩٧٨) .

ونشير كذلك إلى دولة تشاد التى تعاني الكثير من المشاكل ، حيث تدعى ليبيا - بل واحتلت - شريطا من أرضها في حدودها الشمالية . كما أن بقية أقاليمها الصحراوية أصبحت تحت سيطرة حركة سياسية تحررية كونتها القبائل المحلية من الطوارق وتوبو .

كذلك فقد استمرت قائمة الانقلابات العسكرية في الازدياد . وفي سنة ١٩٧١ استولى الجنرال عيى أمين على نظام الحكم في أوغندا ، كما استولى الجنرال أشيمبونج على نظام الحكم في غانا . (ويلاحظ أن الجيش الغانى الذى قام بهذا الانقلاب قد وعد مرة أخرى بأنه سيعيد الحكم إلى المدنيين بمجرد أن ينتهى من اقرار النظام . أما الجنرال عيى أمين فلم يعد يمثل ذلك ، بل ولم

يكن يهتم بهذا الموضوع أصلاً) .

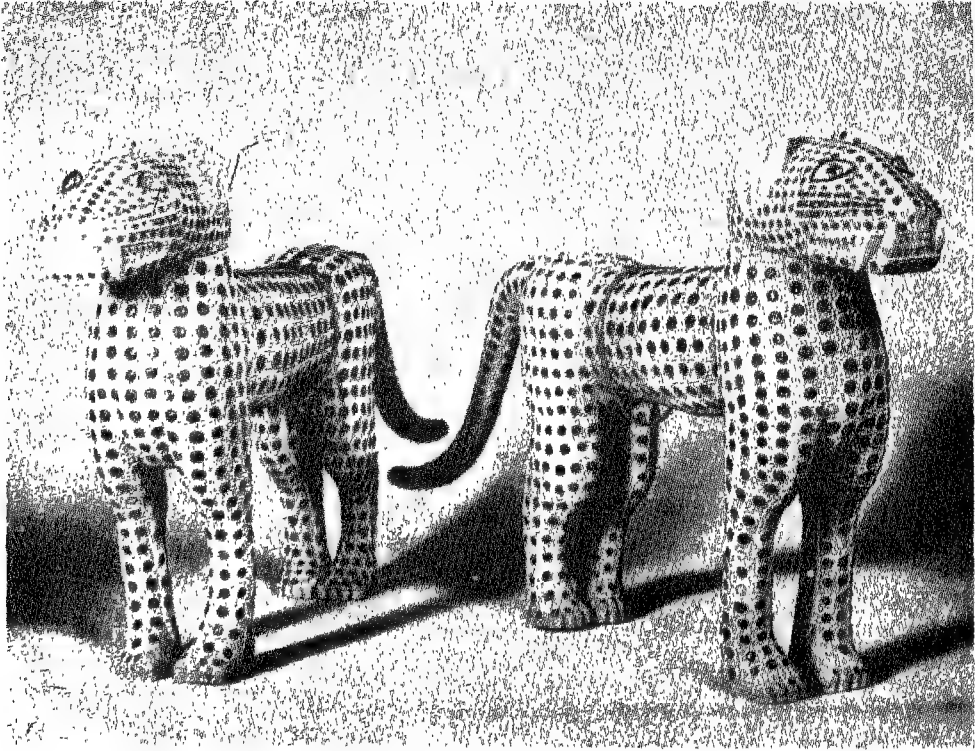
ثم توالى سلسلة الانقلابات العسكرية في النيجر سنة ١٩٧٤ ، وفي تشاد سنة ١٩٧٥ ، وفي موريتانيا سنة ١٩٧٨ .

وفي سنة ١٩٧٥ أعلنت استقلالها ثلاث من الجزر المسلمة من مجموعة جزر القمر . أما الجزيرة الرابعة التى يسكنها المسيحيون (جزيرة مايوت) Mayotte فقد رفضت الانضمام إلى تلك الجزر المستقلة الثلاث ، واختارت استمرار الحالة القائمة باعتبارها محمية فرنسية .

وفي سنة ١٩٧٧ حصل الصومال الفرنسى على الاستقلال ، وأقيمت دولة جديدة هي جمهورية جيبوتى Djibouti (اسم المدينة الرئيسية في هذا الإقليم) .

وكانت داهومى قد قامت بتغيير اسمها إلى بنين Benin في سنة ١٩٧٥ . وهو اسم قد يؤدى إلى الخلط إذا وضعنا في الاعتبار المكان الذى كانت توجد فيه امبراطورية بنين القديمة .

وفي سنة ١٩٧٧ قامت جمهورية افريقيا الوسطى بتغيير اسمها إلى امبراطورية افريقيا الوسطى .



تمثالان لمهدين مصنوعان من النحاس الأصفر المزخرف بالعاج والنحاس الأحمر يرجع تاريخهما إلى القرن التاسع عشر وكانا يوضعان على جانبي كرسي أحد ملوك بني
من المجموعة الخاصة بالملكة إليزابيث ملكة إنجلترا ومعرضان بالمتحف البريطاني بلندن .



التوزيع السكاني سنة ٢٠٠٠ م

التوزيع السكاني سنة ٢٠٠٠

أما المناطق التي احتفظت بمعدل النمو السكاني على نحو من الثبات ، فهي المناطق الفقيرة التي تعاني مشاكل القحط والجفاف في الساحل الأفريقي وفي القرن الأفريقي .

ولا نشير في هذه الخريطة إلى الاختلافات العرقية بين سكان أفريقيا . ومع ذلك فلا يسعنا إلا أن نشير إلى التفاوت الواضح بين تعداد البيض وتعداد السود في جنوب أفريقيا . فطبقاً للمعايير الحالية ، سيصل تعداد البيض في نهاية هذا القرن إلى نحو ٦,٥ مليون مقابل ٣,٥ مليون من السود ، بالإضافة إلى الجماعات الأخرى من الملونين والآسيويين والذين سيصل تعدادهم إلى نحو ٦ ملايين .

ومن هذا الاحصاء يتبين لنا أن نسبة البيض في انخفاض مستمر ، فهي الآن تمثل نحو ١٧٪ من اجمالي السكان ، وكانت نحو ٢٢٪ في الربع الأول من هذا القرن ، وستصل إلى نحو ١٣,٥٪ فقط في نهاية القرن ، ولا شك في أن هذا الانخفاض المستمر في نسبة السكان البيض سيعرضهم للخطر الحتمي إذا أصروا على اعتبار أنفسهم جنساً متميزاً يستحوذ على كل الأشياء الطيبة لنفسه فقط دون اعتبار للأغلبية الساحقة السوداء . ومع ذلك فإذا استمر وجود البيض في جنوب أفريقيا حتى نهاية هذا القرن ، فمن المتوقع أن تستمر سيطرتهم على سلطة الحكم ، إلا إذا حالت دون ذلك ظروف أخرى .

ويعتبر معدل زيادة السكان في أفريقيا والذي يصل إلى نحو ٢,٥٪ سنوياً ، من أعلى معدلات الزيادة في سكان العالم ، والتي يبلغ متوسطها نصف هذه النسبة على وجه التقريب . ومعنى

ما سوف يحدث من تغييرات في الخريطة السياسية لأفريقيا اعتباراً من وقتنا الحاضر حتى نهاية القرن العشرين ، يعتبر ضرباً من ضروب التخمين ، ولا يمكن لأحد أن يتنبأ بشكل هذه الخريطة على سبيل اليقين . ومع ذلك فقد يكون من قبيل التنبؤ المعقول ، أن يصبح شكل الخريطة الديموجرافية (الخاصة بتوزيع السكان) على هذا النحو المبين بالخريطة المرسومة بالصفحة المقابلة .

وهذه الخريطة الأخيرة ماثلة للخريطة التي عرضناها سابقاً والخاصة بتوزيع السكان في أفريقيا سنة ١٨٠٠م . مع فارق هام هو أن الاعداد المبينة في خريطة سنة ١٨٠٠ ستزداد إلى عشرة أضعاف مما كانت عليه . وبمقارنة هاتين الخريطتين ، نلاحظ على الفور أن التعداد الاجمالي لسكان أفريقيا في سنة ١٨٠٠ (وكان يقدر بنحو ٧٠ مليون نسمة) سيصبح في نهاية القرن نحو ٧٠٠ مليون نسمة الأمر الذي يعنى أن الأفريقيين قد تضاعفوا عشر مرات على مدى قرنين فقط من الزمان .

وبمقارنة الخريطتين سيتضح لنا أيضاً مدى التفاوت وعدم التوازن في زيادة السكان المرتبطة بالاحوال الاقتصادية بين منطقتين افريقيتين في أقصى شمال القارة وأقصى جنوبها . فمصر على سبيل المثال تعاني حالة من الانفجار السكاني تدفع المخططين إلى حالة من اليأس وفقدان الأمل ، في حين أن جنوب أفريقيا — وكانت تعتبر سنة ١٨٠٠م من الدول النامية — أصبحت الآن من أكثر مناطق القارة ازدهاراً من الناحية الاقتصادية .

هذا أن الأفريقيين سيمثلون ١٢٪ من إجمالي سكان العالم المتوقع في سنة ٢٠٠٠ م . في حين انهم كانوا يمثلون نحو ١٠٪ من سكان العالم سنة ١٩٧٥ ، ونحو ٧٪ فقط في سنة ١٨٠٠ م .

ومعظم هذه الاحصائيات والمقارنات أصبحت الآن محل دراسة حتى يمكن وضع الخطط والحلول التي تكفل عدم تخلف افريقيا وراء غيرها من قارات العالم الأخرى . ومن

المؤكد أن الأفريقيين يعملون جاهدين لاعطاء قارتهم مزيداً من الأهمية في عالم الغد .

ورغم أن القارة تعاني الآن كثيراً من المشاكل ، إلا أن أهلها لديهم من الحيوية قدراً يمكنهم من التغلب على هذه المشاكل والقضاء عليها . ولا شك أن الفصول التالية في التاريخ الأفريقي ستضمن الكثير من البيانات والمعلومات المثيرة .

فهرس تصنيفى عام

فنا بإعداد هذا القهرس التصنيفى العام كبديل للقهرس التصنيفى الذى أعدده المؤلف فى النص الأصلى للكتاب . ولا يخفى على فطنة القارىء أن الاختلافات بين اللحين الانجليزية والعربية ، وكذا ترتيب الأبيدية العربية يحفل ترجمة القهرس التصنيفى الأصلى غير مناسبة ولا مطابقة لأصول اللغة العربية .

لذلك فقد تم إعداد هذا القهرس التصنيفى العربى مستقلاً تماماً عن القهرس التصنيفى الذى أعدده المؤلف طبقاً لأصول اللغة الانجليزية .

وعلى أية حال فقد أوردنا فى هذا القهرس التصنيفى العربى «مواداً» مستقلة عن الغالبية العظمى من المعلومات التى يتضمنها الكتاب بعد الترجمة ، والتى تتناول أسماء الأعلام والأماكن والأقاليم والمدن والبلدان ، وأسماء الممالك والإمبراطوريات القديمة والجمهوريات والدول الحديثة ، وأسماء القبائل والأنهار والبحيرات والجبال ، بالإضافة إلى معظم الوقائع والأحداث الهامة فى تاريخ أفريقيا كقارة ، وفى تاريخ شعوبها وجماعاتها الإنسانية .

المترجم

[أ]

ابن بطوطة : ١٠١ ، ١٠٢

أبولو كاجوا : ١٠

إتحاد جنوب أفريقيا : [أنظر أيضاً جنوب أفريقيا]

٢٠١ ، ٢٠٧ ، ٢١٥ .

الأثر الك السلاجقة : ٨٧ .

إثيوبيا : [أنظر أيضاً الحبشة] ٢١ ، ٢٠٧ ،

٢٠٨ ، ٢١٩ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ .

أحمد بن بيل : ٢١٧ .

أحمد عرابي : ١٨٩ .

أحمدو أهيلجو : ٢١٦ .

أحمدو لويو : ١٦٢ .

الأخندودان العظميان : ٢١ ، ٢٢ ، ٥٦ ، ٥٩ .

الأدارسة : ٨٠ .

إدريس علومة : ١٣٤ .

إدوارد / بحيرة : [أنظر بحيرة إدوارد] : ٢٢ .

أدوليس : [أنظر عدال ، وعدولى] : ٥٢ .

أرجوين : ١١٣

أرض الذهب : ٧٦ ، ١١٣ .

إريتريا : ٤٩ ، ٥٢ ، ٦٠ ، ٧٦ ، ١٩٤ ، ١٩٨ ،

٢٠٨ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ .

أسيانيا : ٧٥ ، ٨٠ ، ٨٧ ، ٨٩ ، ١٠١ ، ١١٠ ،

١١٤ ، ١٢١ ، ١٢٥ ، ١٣٣ ، ١٤١ ،

١٦٥ ، ١٧٣ ، ٢٠١ ، ٢٠٣ ، ٢١١ ،

٢١٥ ، ٢٢١ .

أستراليا : ١٩

الاستعمار : ١٨٣ ، ١٨٥ ، ١٨٦ ، ١٨٧ ، ٢١١ ،

٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢١٨ ، ٢١٩ .

إسرائيل : ٢١١ ، ٢١٧ .

الاسكنلر الأكبر : ٥١

الاسكنلرية : ٥١

الإسلام : ٧٣ ، ٧٥ ، ٧٩ ، ٨٣ ، ٨٥ ، ٨٧ ،

٨٩ ، ٩٥ ، ٩٧ ، ١٠١ ، ١٠٥ ،

١٠٦ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٩ ، ١٥١ ،

١٥٨ ، ١٦٢ ، ١٧٣ ، ٢١١ ، ٢١٧ .

أسوان : ٤٣ .

الأشانقي قبائل / ومملكة : ١٤٩ ، ١٦٤ ، ١٨٥ .

الأسوريون : ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٩ .

إشيمبونج / الجنرال : ٢٢٢ .

الأغالبة : ٧٩ .

الإغريق : ٤٩ .

أغسطس / الامبراطور : ٥٥ .

أفغانستان : ٥١ .

- إفنى : ٢١٥ .
- الأقزام [قبائل] : ٣٥ ، ٥٩ ، ٦٣ .
- الأماكن / قبائل : ١٠٥ ، ١١٣ ، ١١٧ ، ١٢٩ ، ١٤١ ، ١٤٩ .
- الإكسهوسا / قبائل : ١٠ ، ١٥٢ .
- أكسوم / مملكة : ٦٩ ، ٦٠ .
- أكسيم / مدينة : ١٢٩ .
- ألبرت / بحيرة : ٢٢ ، ١٧٩ .
- الألطان : ٣١ ، ١٨٦ ، ١٩٠ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ، ٢٠١ ، ٢٠٣ ، ٢٠٧ .
- إلمينا : ١١٧ ، ١٢٩ ، ١٤١ .
- إمارة سوبا : ١٩٥ .
- إمارة شوا : ٨٩ .
- إمارة فرس : ٧٦ .
- إمبراطورية أفريقيا الوسطى : [أنظر أيضاً جمهورية أفريقيا الوسطى] : ٢٢٢ .
- الأمويون : ٨٠ .
- الأمير عبد القادر : ١٧٠ ، ١٧٣ .
- انتاركتيكا : ١٧ ، ١٩ .
- الانثروبولوجيا : ٣١ .
- الانجليز [المجلتزا / وبريطانيا / والبريطانيون] : ١٥٢ ، ١٥٨ ، ١٦١ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧٣ ، ١٧٥ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨٣ ، ١٨٥ ، ١٨٦ ، ١٨٧ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ، ٢٠١ ، ٢٠٣ ، ٢٠٧ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٥ ، ٢١٧ ، ٢١٩ .
- النجولا : ٩ ، ١٢٩ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٦٤ ، ١٧٣ ، ١٩٤ ، ٢١٥ ، ٢٢١ .
- النجوى / قبائل : ١٦١ ، ١٦٩ ، ١٧٠ .
- انديلي / قبائل : ١٦٩ ، ١٩٤ .
- إنلونيسيا : ٢٩ ، ١٣٠ .
- الإنسان البدائي الحديث : ٣١ .
- الإنسان البدائي القديم : ٣٥ .
- إنسان روديسيا : ٣١ ، ٣٢ ، ٣٥ .
- الإنسان القرد الجنوبي : ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٩ .
- إنسان نياندرتال : ٣١ ، ٣٢ ، ٣٥ .
- الإنسان الواقف على قدميه : ٢٩ .
- أنهار الجنوب : ١٨٧ .
- أنهار الزيت : ١٥٨ .
- أنور السادات : ٢١٧ .
- أويانجي شاري : ٢١٢ .
- أوبوك : ١٨٦ .
- أوتيكا : ٤٥ .
- أوجادين : ١٣٤ ، ٢٠٨ ، ٢١٩ ، ٢٢١ .
- أوجيجي : ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٧٩ .
- أوداجوست / مدينة : ٨٥ ، ٨٩ .
- أورانج أوتان : ٢٥ .
- الأورانج / نهر : ١٥٧ ، ١٦٩ .
- أوغندا : ٩ ، ١٠ ، ٢١ ، ١٣٧ ، ١٩٣ ، ٢٠١ ، ٢١٥ ، ٢٢٢ .
- أوكريوي / بحيرة : ١٧٥ ، ١٧٦ .
- الأويو [قبائل / ومملكة] : ١٤٥ ، ١٤٩ ، ١٦٢ .
- الايبو / قبائل : ٢١٨ .
- إيران : ٨٧ .
- إيساندالوانا : ١٨٧ .

الإيطاليون : ١٧٣ ، ١٨٦ ، ١٩٠ ، ١٩٤ ،
١٩٨ ، ٢٠١ ، ٢٠٣ ، ٢٠٧ ، ٢١٢ ،
٢١٩ .

إيلورين : ١٦٢ .

الأيويون : ٨٩ ، ٩٢ .

الايوى / قبائل : ٢١٩ .

[ب]

بابل : ٤٣

بادراو [صليب برتغالى] : ١١٧ .

بارثولوميو دياز : ١١٨ ، ١٢١ .

الباروتسى / قبائل : ١٦٩ .

باسوتولاند : ١٨٧ ، ٢٠٧ ، ٢١٥ .

البامبارا / قبائل : ١٤٩ ، ١٥١ ، ١٥٦ .

بامبوك : ٧٦ ، ٨٩ .

البانتو / قبائل : ١٠ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٩ ، ٦٣ ،

٦٩ ، ٩١ ، ٩٢ ، ٩٥ ، ٩٧ ، ١٢٩ ،

١٣٠ ، ١٤٩ ، ١٥٢ ، ١٥٥ ، ١٧٣ ،

١٨٧ .

بانجاي : ١١ ، ١٧ ، ١٩ .

البيجة / قبائل : ٤٩ .

بتشواتالاند : ١٩٣ ، ٢١٥ .

بحر الغزال : ١٨٣ .

بحر أونياموزى : ١٧٥ .

بحيرة تشاد : [أنظر أيضاً تشاد] ٤٣ ، ٧٩ ، ٩٧ ،

١٠٥ ، ١٣٠ ، ١٣٤ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ،

١٩٧ ، ١٩٨ ، ٢٠١ ، ٢١٢ .

بحيرة روكوا : ٢٢ .

بحيرة الملح / مدينة : ١٧٦ .

البرايرة : ٦٩ .

البربر : ٣٥ ، ٣٦ ، ٥٢ ، ٦٥ ، ٧٥ ، ٧٩ ،

٨٥ ، ٨٩ .

البرتغال : ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٧ ،

١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٩ ،

١٣٠ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ،

١٤١ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٥٨ ، ١٦٤ ،

١٦٥ ، ١٧٥ ، ١٨٦ ، ٢١٥ ، ٢٢١ .

برزخ السويس : [أنظر السويس / وقناة

السويس] : ٢١ .

برقة : [أنظر أيضاً سيريناىكا] : ٤٩ ، ٥٥ ، ٧٣ ،

٨٥ ، ٨٧ ، ١٢٥ ، ١٧٣ ، ٢٠١ ،

٢٠٣ .

برنيكى : ٥٢ .

بريتوريا : ١٩٨ .

بسارك : ١٨٦ .

البطالة / بطلمىوس : ٥١ ، ٥٢ .

بطلمىوس : ٥١ ، ٥٢ .

بطلمىوس الجفرائى : ٦٦ ، ٩٧ .

البثثات التبشيرية : ١٠ ، ٧٣ ، ١٢٩ ، ١٦٩

١٧٥ ، ١٩٠ .

بعنخى / الملك : ٤٥ .

بكين : ٢٩ .

البلجيك : ٢٠٣ ، ٢١٢ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢١٨ .

بلومفونتاين : ١٩٨ .

بلىنى / المؤرخ : ٨ .

بناة الامبراطوريات : ٩ .

بنغازى : ١٧٣ .

بتابوليس / المدن الليبية الخمس : ٤٩ .

البنجاب : ٥٩ .

بنجويلا : ١٤١ .

بنوسليم / قبائل : ٨٣ ، ٨٥ ، ٨٧ ، ٩٥ .

بنو مرين : ٩١ ، ١١٤ .

بنو هلال / قبائل : ٨٣ ، ٨٥ ، ٨٧ ، ٩٥ .

بنوى / نهر : ١٧٥ ، ١٨٦ .

بنين : ١١ ، ١٤٥ ، ٢٢٢ .

بوانا / مملكة : ١٤٦ .

بوانيه / فيلكس هوفويه : ٢١٦ .

بوتوا / مملكة : ١٤٥ ، ١٦٩ .

بوجندا / مملكة : ٩ ، ١٥٢ ، ١٧٩ .

بوجى / مدينة : ٨٧ .

بورنوه / مملكة : ١٠٥ ، ١٣٤ ، ١٦٣ ، ١٩٧ .

بوروندى : ١٣٧ ، ١٤٩ ، ٢٠٣ ، ٢١٥ .

بوسا : ١٥٨ ، ١٧٥ .

البوشمن / قبائل : ٣٥ ، ٥٩ ، ٦٣ ، ١٤٩ .

بولا بن آموس : ١١ .

البولالا / قبائل : ١٠٥ .

بوليبوس / المؤرخ : ٨ .

بومبي / الرومانى : ٥١ .

البوير : ١٤٩ ، ١٥٢ ، ١٥٥ ، ١٥٧ ، ١٦٩ ،

١٧٣ ، ١٨٧ ، ١٩٠ ، ١٩٤ ، ١٩٨ ،

٢٠١ .

بيافرا : ٢١٨

بيرتون : ١٧٦ ، ١٧٩ .

البيزنطيون : ٧٥ ، ٨٧ .

بيساندوجو : ١٨٥ .

بيكر / مسز ومسر : ١٧٩ .

بيورى : ٨٩ .

[ت]

تادمكة / مدينة : ٩١ .

تاكيدا / مدينة : ١٠١ .

تاتزانيا : ٢١ ، ١٤٩ ، ٢١٦ .

تجارة العيد : ١٠١ ، ١٠٩ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ،

١٤١ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٥٥ ، ١٥٧ ،

١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٦٩ ،

١٩٨ .

الترانسفال : ١٧٣ ، ١٨٧ ، ١٩٠ ، ١٩٨ ،

٢٠١ .

تركيا : ٤٣ .

ترنيفاين : ٢٩ .

تسوانا : ١٩٣ .

تشاد [بحيرة / ودولة] : ٤٣ ، ٧٩ ، ١٠٥ ،

١٣٠ ، ١٣٤ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٩٧ ،

١٩٨ ، ٢٠١ ، ٢١٢ ، ٢٢٢ .

التكالب على أفريقيا : ١٨٥ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ،

١٩٤ .

التل المكسور : ٣١ .

نمبوكتو / مدينة : ١٠٥ ، ١١٠ ، ١١٣ ، ١٤٢ ،

١٤٩ ، ١٥١ ، ١٦٢ ، ١٩٧ .

تنجانيقا [بحيرة وإقليم] : ١٠ ، ٢٢ ، ١٧٦ ،

١٧٩ ، ١٨٣ ، ٢١٥ ، ٢١٦ .

توبو / قبائل : ٢٢٢ .

توتسى / قبائل : ١٤٩ .

الجزائر . ٣٥ ، ٣٩ ، ٥١ ، ٧٩ ، ٨٣ ، ٨٧ ،
٩١ ، ١٢٩ ، ١٤٥ ، ١٤٩ ، ١٦٣ ،
١٧٠ ، ١٧٣ ، ١٩٧ ، ٢٠١ ، ٢١١ ،
٢١٥ ، ٢١٧ ، ٢٢١ .

جزر الآزور : ١١٠ .

جزر البولينيز : ٧٠ .

جزر تيدرا : ٨٥ .

جزر رأس فيرد : [أنظر أيضاً الرأس الأخضر /
وكيب فيرد] : ٢٢١ .

جزر ساوتومي وبرنسيب / مجموعة : [أنظر أيضاً
ساوتومي وبرنسيب] : ١٣٧ .

جزر الكناري : ٦٥ ، ١١٠ .

جزيرة أرجوين : ١١٠ .

جزيرة فرناندو بو : [أنظر أيضاً فرناندو بو] :
١١٤ ، ٢١٦ .

جزيرة ماديرا : ١١٠ ، ١٣٧ .

جزيرة مايوت : ١٧٣ ، ٢٢٢ .

جعفر نميري : ٢١٧ ، ٢١٨ .

جبال عبدالناصر : ٢١٧ .

جمعيات سرية : ٨٣ .

جمهورية أفريقيا الوسطى : [أنظر أيضاً امبراطورية
أفريقيا الوسطى] : ٢١٢ ، ٢٢٢ .

الجمهورية العربية المتحدة : ٢١٢ ، ٢١٦ .

جنادل النيل : ٤٣ ، ٤٥ ، ٤٩ ، ٩٥ ، ١٢٥ ،
١٩٠ .

جنوب أفريقيا : ١٩٣ ، ١٩٨ ، ٢٢١ ، ٢٢٥ .

جنوب غرب أفريقيا : ١٩٠ ، ٢٠٣ ، ٢١٥ ،
٢٢١ .

جوان جوزيف : ١١ .

توجو : ١٩٠ ، ٢١٢ ، ٢١٩ .

توجولاند : ٢٠٣ .

توركانا / بحيرة : ٢١ ، ١٤٩ .

توكولور / قبائل : ٨٥ .

تونس : ٣٥ ، ٣٩ ، ٤٥ ، ٥١ ، ٥٥ ، ٧٣ ،

٨٠ ، ٨٣ ، ٨٥ ، ٨٧ ، ٩١ ، ١٢٩ ،

١٤٥ ، ١٤٩ ، ١٨٩ ، ٢١١ ، ٢١٦ ،

٢١٧ .

تيق : ١٢٩ .

تيودور الثاني / ملك الحبشة : ١٨٤ .

[ث]

التدنيات : ١٧

الثورة المهدية : ١٩٠ .

[ج]

الجابون : ١٨٧ ، ١٨٩ ، ٢١٢ .

جادش / قادش : ٦٥ .

الجالا / قبائل : ١٣٤ .

جامبيا : ١٤٦ ، ١٥٨ ، ٢١٥ .

جاوه : ٢٩ .

جبال أطلس : ١٧٠ ، ١٧٣ .

جبال الألب : ٥٢ .

جبال دراكتيرج : ١٦١ ، ١٦٩ ، ١٧٣ .

جبل طارق / مضيق : ٦٥ ، ٦٧ ، ١٠١ .

جده : ٧٦ .

الجرايبات / الحيوانات ذات الكيس : ١٧ ، ١٩ .

جوبا الثاني / الملك : ٥٥ ، ٦٥ .

جوبير : ١٠٥ ، ١٢٢ .

جوستنيان / الامبراطور : ٧٣ .

جوليوس نيريري : ٢١٦ ، ٢١٨ .

جوموكينياتا : ٢١٦ ، ٢١٨ .

جون الثاني / ملك البرتغال : ١١٧ ، ١١٨ .

جون الرابع / ملك الحبشة : ١٨٤ .

جوندوانالاند : ١٧ ، ١٩ .

جوندوكورو : ١٧٩ .

چيوتى : ٢٢٢ .

جبرت شيزى : ١١ .

چينى / مدينة : ١٠٥ ، ١١٠ ، ١١٣ ، ١٦٢ .

[ح]

الحاج عمر . ١٧٣ ، ١٨٥ ، ١٩٤ .

الحاميون : ٣٥ .

الحبشة : ٤٦ ، ٦٠ ، ٦٩ ، ٧٣ ، ٧٦ ، ٨٩ ،

٩٥ ، ١٢٢ ، ١٢٥ ، ١٢٩ ، ١٣٤ ،

١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٩٤ ، ١٩٨ ، ٢٠٧ ،

٢٠٨ .

الحبيب بورقيبة : ٢١٦ .

الحرب العالمية الأولى : ٢٠١ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ،

٢١٩ .

الحرب العالمية الثانية : ٢٠٧ .

حوب الكافير : ١٥٢ .

الحفصيون : ٩١ .

حوض الكونغو : [أنظر نهر الكونغو / ونهر زائير] :

٣٥ .

الحيشون : ٤٣ .

[خ]

خاسو : ١٥١ .

الخديوى إسماعيل : ١٨٠ ، ١٨٣ ، ١٨٤ .

الخزطوم : ١٧٩ ، ٢١٨ .

الخلفاء الراشدون : ٧٣ .

الخلافة العباسية / العباسيون : ٧٩ ، ٨٠ ، ٨٣ .

خليج سالدانها : ٣١ .

خليج عدن : ٢١ ، ٦٥ ، ٦٦ .

[د]

الدار البيضاء : ٢٩ .

دارفور : ٩٥ ، ١٣٤ ، ١٤٢ ، ١٥١ ، ١٨٣ ،

١٩٧ ، ١٩٨ ، ٢٠٣ .

دارون / تشارلس : ٢٥ .

الدانوب / نهر : ٥٥ .

داهومى [المملكة/ والدولة] : ١٦٢ ، ١٦٦ ،

١٧٦ ، ١٩٧ ، ٢١٢ .

دلتا النيل : ٦٥ .

دلجادو / البرتغالى : ٩ .

دقلة : ٧٦ ، ٩٢ ، ٩٥ .

الدنكا / قبائل : ١٦٣ .

الدنماركيون : ١٦٤ .

دولة أورانج الحرة : ١٨٦ ، ١٨٧ ، ٢٠١

ديلافوس : ٩ .

دينجانى / الملك : ١٦٩ .

ديوجو كاو : ١١٧ ، ١١٨ .

[ر]

راداما الأول / الملك : ١٦٢ .

رأس براسوم : [انظر أيضاً رأس دجلارو] : ٦٦ ، ٩٧

رأس بوجادور : ٦٦ ، ٩٧ ، ١٠٩ ، ١١٠ .

رأس جاردافوى : ٦٦ .

رأس دجلادو : ٦٦ ، ٩٧ .

رأس الرجاء الصالح : ١١٨ ، ١٢١ .

رأس سانتا كاترينا : ١١٤ ، ١١٧ .

رأس سانتا ماريا : ١١٧ .

رأس الصليب : ١١٨ .

رأس العطور [أنظر أيضاً رأس جاردافوى] : ٦٦ .

رأس فريد / الرأس الأخضر / كيب فريد : ١٣ ، ١٢١ ، ١٣٧ ، ١٣٨ .

راند : ١٩٨ .

الراين / نهر : ٥٥ .

الرباط : ٢٩ ، ٨٥ .

ربطه : ٦٦ .

الرياحف : ١٩٧ .

رشاش مكسيم : ١٨٧ .

رواندا : ١٣٧ ، ١٤٩ ، ٢٠٣ ، ٢٠٥ .

روبرت / المؤرخ : ٩ .

روديسيا / روديسيا الشمالية / روديسيا الجنوبية :

٩١ ، ٩٢ ، ١٣٧ ، ١٦٩ ، ١٩٨ ،

٢٢١ ، ٢٢١ .

روكوا / بحيرة : ٢٢ .

الرومان : ٨ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٥ ، ٥٩ ، ٦٣ ،

٦٦ ، ٦٩ ، ٧٣ ، ٧٥ .

٢٣٤

ريون / شلالات : ١٧٩ .

ريو موفى : ٢١٦ .

ريونيون / جزر : ١٣ ، ١٤٦ .

[ز]

زائير [نهر / ودولة] : ٣٥ ، ٥٥ ، ٥٩ ، ١١٧ ،

١١٨ ، ١٢٩ ، ١٨٠ ، ١٨٣ ، ١٨٧ ،

١٩٠ ، ٢١٨ .

زاما / بتونس : ٥٢ .

زامبيا : ١٠ ، ٣١ ، ١٨٠ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ،

٢٢١ .

زامبيزي / نهر : ٢١ ، ١٢٩ ، ١٤٦ ، ١٥٨ ،

١٦٩ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٩٤ .

الزائدى / قبائل : ٥٥ ، ٥٦ .

زايرا / مدينة : ١٠٥ ، ١٢٢ .

زغاته / قبائل : ٨٩ ، ٩١ .

زنجبار [جزيرة / واقليم] : ١٠ ، ٦٦ ، ١٧٣ ،

١٧٥ ، ١٧٩ ، ١٩٠ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ،

٢١٥ ، ٢١٦ .

الزنج / قبائل : ٣٥ ، ٤٣ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٧٩ ،

٨٥ ، ٩١ ، ١٤٥ ، ١٥٥ .

الزولو / قبائل : ١٦١ ، ١٦٩ ، ١٨٧ .

الزبانين : ٩١ .

الزيريون : ٨٥ ، ٨٧ .

زيلع : ١٢٥ .

الزيمبا / قبائل : ١٣٤ .

زيمبابوى / زيمبابوى الكبرى : ٩١ ، ١١٠ ، ٢٢١ .

[م]

- ساحل الذهب : ١٤٦ ، ١٤٩ ، ١٦٤ ، ٢١١ .
 ساحل العاج : ٩ ، ١٠ ، ١٩٧ ، ٢١٢ ، ٢١٦ .
 ساحل العبيد : ١٤٥ .
 الساحل العشي : ٣٩ ، ٤٣ ، ٥٢ ، ٧٦ ، ٩٧ ،
 ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٣٠ ، ١٣٧ ، ٢١٧ ،
 ٢٢٥ .
 ساحل القرقة : ٦٥ .
 سالازار : ٢٢١ .
 ساموا : ٧٠ .
 ساموري توري : ١٨٥ ، ١٩٤ ، ١٩٧ .
 الساميون : ٣٥ ، ٤٩ .
 ساو تومي وبرنسيب / مجموعة جزر : ١٤ ، ٢٢١ .
 سبتة : ١٠٩ .
 سيك : ١٧٦ ، ١٧٩ .
 ستانلي / هنري مورتون : ١٧٩ ، ١٨٣ ، ١٨٧ ،
 ١٩٠ .
 السدود / منطقة : ٦٦ ، ٩٥ .
 سرجون الأكبر / الملك : ٤٣ .
 السكالاما : ١٤٦ .
 السلوقيون : ٥١ .
 سليان / الملك : ٩٥ .
 السنغال [نهر / ودولة / وإقليم] : ٩ ، ٥٦ ، ٧٥ ،
 ٧٦ ، ٨٩ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ١٠٥ ، ١١٠ ،
 ١٣٠ ، ١٣٨ ، ١٤٦ ، ١٨٧ ، ١٨٩ ،
 ٢١٢ ، ٢١٦ .
 السنوسي / الملك : ٢١٧ .
 السنوسية : ١٧٣ .

- السنوسيون : ٢٠٣ .
 السواحيل / لغة : ٧ .
 سوازيلاند : ٢٠٧ ، ٢١٥ .
 سواكن : ١٨٣ .
 سوبا [مملكة / وإمارة] : ١٢٢ ، ١٢٦ .
 السوتو / قبائل : ١٦١ ، ١٦٩ ، ١٧٥ ، ١٩٣ .
 سوجا / القس الأفريقي : ١٠ .
 السودان : ٣٩ ، ٦٣ ، ٧٥ ، ٧٩ ، ٨٩ ، ٩٥ ،
 ٩٧ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٣٠ ، ١٤٩ ،
 ١٥١ ، ١٦٣ ، ١٧٣ ، ١٩٧ ، ٢٠١ ،
 ٢٠٣ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٧ ، ٢١٨ .
 السوسو / قبائل : ٨٩ ، ٩١ .
 سوفيالا / سفالة الزنج / مدينة : ٩٢ ، ٩٧ ، ١٢١ .
 سوكتو / مدينة : ١٦٢ .
 سومطرة : ٧٠ .
 سوندياتا / الملك : ٩١ .
 السونفاي [مملكة / وقبائل] : ٧٩ ، ٨٧ ، ٩١ ،
 ١٠٥ ، ١١٣ ، ١٢٢ ، ١٣٣ .
 السونينكي / قبائل : ٥٦ ، ٧٦ ، ٧٩ ، ٨٩ .
 السويس : ٨٧ .
 سيجو / مملكة : ١٤٩ ، ١٥١ ، ١٥٨ .
 سيجيلاسا / مدينة : ٨٥ ، ١٠١ .
 سيراليون : ١١٠ ، ١٦٤ ، ٢١٥ .
 سيرجون جراي : ٩ .
 سيريناكا / برقة : ٤٩ ، ٥٥ ، ٧٣ ، ٧٥ ، ٨٧ ،
 ١٢٥ ، ١٧٣ ، ٢٠١ ، ٢٠٣ .
 سيسل رودس : ٩ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٨ .
 سيشل / جزر : ١٣ .

سيفاوا / قبائل : ٨٩ .

سيكونتوري : ٢١٦ .

سيتا : ١٢٩ .

سيوه : ٥١ .

[ش]

شارى / نهر : ١٧٥ .

شاكنا / الملك : ١٦٩ ، ١٦١ .

شاما : ١٢٩ .

شامبانزي : ٢٥ .

شبه الجزيرة العربية : ٢١ ، ٣٥ ، ٤٩ ، ٧٣ ،

٧٩ ، ٨٣ ، ١٠٦ ، ١٢٢ ، ١٤١ ،

١٤٦ ، ١٦٣ .

الشرق الأدنى : ٣٩ ، ٤٥ ، ٤٩ ، ١٠١ .

الشعوب الأندونيسية : ٦٩ .

الشعوب التشادية : ٤٣ ، ١٠٥ .

الشعوب النيلية الصحراوية : ٣٥ ، ٤٣ ، ٧٩ ،

١٣٠ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٤٩ ، ١٥٥ .

شلال جوبا : ٧٥ .

الشونا [مملكة / قبائل] : ٩٢ ، ١١٠ ، ١٤٥ ،

١٦٩ ، ١٧٠ .

شيخ أحمدو : ١٩٤ ، ١٩٧ .

الشيعة : ٨٣ .

[ص]

صحراء كالامارى : ٣٥ ، ٥٩ .

صقلية : ٤٥ .

الصلبيين : ٨٧ ، ٨٩ ، ٩٢ ، ١٢٥ .

صمويل بيكر : ١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٩٣ .

صمويل چونسون : ١٠ .

صنهاجه / قبائل : ٧٥ ، ٧٩ ، ٨٣ ، ٨٥ ، ٨٩ .

صور : ٤٥ ، ٦٥ .

الصومال / الصوماليون : ٦٥ ، ٨٧ ، ٨٩ ،

١٣٤ ، ١٩٤ ، ١٩٨ ، ٢٠٣ ، ٢٠٧ ،

٢٠٨ ، ٢١٧ ، ٢١٩ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ .

الصين : ٢٩ .

[ض]

ضياغانو : ٨٩ .

[ط]

الطاسيلي / قبائل : ١١٤ .

طرابلس / تريبوليتانيا : ٤٩ ، ٧٣ ، ٧٩ ، ٨٣ ،

٨٥ ، ٨٧ ، ١٢٩ ، ١٣٤ ، ١٤٥ ،

١٤٩ ، ١٦٣ ، ١٧٠ ، ٢٠١ .

طنجة : ١٠١ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ .

طهرقا / الملك : ٤٥ .

الطوارق / قبائل : ٧٩ ، ١٤٩ ، ٢٢٢ .

[ع]

عثمان دان فوديو / الملك : ١٦٢ .

العثمانيون : ١٢٥ ، ١٢٩ ، ١٣٣ ، ١٤٥ ،

١٤٩ ، ١٥١ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٧٠ ،

١٨٣ ، ٢٠١ ، ٢٠٣ .

عدال / عدولي / أدوليس : ١٢٥ ، ١٢٩ ، ١٣٤ .

عدن : ١٢٥ ، ١٨٣ .

العدوان الثلاثي : ٧ .
 عدوه : ١٩٨ ، ٢٠٧ .
 العراق : ٨٧ .
 غينيا البرتغالية : ٢٢١ .
 غينيا بيساو : ٢٢١ .
 غينيا كوناكري : ٢١٦ .

[ف]

فاروق الأول / الملك : ٢١١٢ .
 فاسكو ده جاما : ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٥ .
 فاشوده : ١٩٧ .
 الفاطميون : ٨٣ ، ٨٥ ، ٨٩ .
 الفانقي / قبائل : ١٦٤ .
 الفانج / قبائل : ١٨٩ .
 القانندال : ٥١ ، ٦٩ ، ٧٣ .
 الفرات / نهر : ٥٥ .
 فرانسيسكو لاسيردا : ١٥٨ .
 الفرس : ٤٩ ، ٥١ ، ٧٣ ، ٧٥ .
 فرناندو بو / جزيرة : ١٤١ ، ١٦٥ ، ٢١٦ .
 الفرنسيون : ١٤١ ، ١٤٥ ، ١٥٢ ، ١٦٣ ، ١٧٠ ، ١٧٣ ، ١٨٠ ، ١٨٦ ، ١٨٧ ، ١٨٩ ، ١٩٤ ، ١٩٧ ، ٢٠١ ، ٢٠٣ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٥ ، ٢١٧ ، ٢١٩ ، ٢٢٢ .
 فريتاون : ١٦٤ ، ١٦٥ .
 فزان / واحات : ٥٥ ، ٦٦ ، ١٦٣ ، ١٧٠ ، ١٧٣ .
 فلسطين : ٣٩ ، ٤٣ ، ٥١ ، ٨٣ ، ٨٧ ، ٩٢ .
 فوتا تورو : ١٥١ .
 فوتا جالون : ١٣٠ ، ١٥١ ، ١٩٤ .
 القردو / عقيدة : ١١ .

العرب : ٢٥ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٩ ، ٨٣ ، ٨٧ ، ٩٢ ، ٩٧ ، ١٠٩ ، ١٢٦ ، ١٣٤ ، ١٣٧ ، ١٧٥ ، ٢١٧ .

عرب بيت عبد الله / قبائل : ١٢٢ ، ١٢٦ .

عرب جهينة / قبائل : ٩٥ ، ١٢٢ .

عرب الشاوية / قبائل : ١٣٠ .

عصب : ١٨٦ .

عصبة الأمم : ٢٠٣ ، ٢١٥ .

عصر البرونز : ٤٦ .

عصر الحديد : ٤٦ ، ٥٦ ، ٦٣ .

العصور الجليدية : ٢٥ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٥ .

العصور الحجرية [القديم والوسيط والحديث] :
 ٣٩ ، ٤٣ ، ٤٦ ، ٥٩ ، ٦٣ ، ٩٥ .

على الأكبر / الملك : ١١٣ ، ١١٢ .

العُمانيون / عُمان : ١٤١ ، ١٤٦ ، ١٦٣ ، ١٧٠ ، ١٧٣ .

عيدى أمين : ٢٢٢ .

[غ]

غانا [المملكة القديمة / والجمهورية] : ٧٦ ، ٧٩ ، ٨٧ ، ٨٩ ، ٩١ ، ١١٣ ، ١٤٩ ، ١٦٤ ، ٢١١ ، ٢١٦ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٢ .

غوريللا : ٢٥ .

غينيا : ١١٣ ، ١٢٩ ، ١٧٥ ، ١٨٧ ، ١٩٤ ، ٢١١ .

الفولاني / قبائل : ٥٦ ، ١٠٥ ، ١٣٠ ، ١٥١ ، ١٦٢ ، ١٧٣ .

قولتا السوداء : ١٠٥ ، ١١٣ .

قولتا العليا : ٥٦ ، ٢١٢ .

الفونج [مملكة / قبائل] : ١٢٢ ، ١٢٦ ، ١٤٩ ، ١٥١ .

فيكتوريا / بحيرة : ٢١ ، ٢٢ ، ٥٦ ، ٥٩ ، ٩٥ ، ١٣٣ ، ١٥٢ ، ١٧٦ ، ١٧٩ ، ١٨٣ ، ١٨٤ .

فيكتوريا / ملكة المجلزا : ١٨٤ .

الفينقيون / فنيقيا : ٤٥ ، ٤٩ ، ٦٣ ، ٦٥ ، ٦٧ .

[ق]

القاهرة : ٨٣ ، ٨٥ ، ٩١ ، ١٥١ .

القبائل الجرمانية : ٦٩ .

قدماء المصريين : ٢٥ ، ٣٦ ، ٤٠ ، ٤٣ ، ٤٥ ، ٦٧ .

القرن الأفريقي : ٢٥ .

القرن العربي : ٢٥ .

القرطاجيون / قرطاج : ٨ ، ٤٥ ، ٤٩ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٥ .

القرن الأفريقي : ٦٠ ، ٨٩ ، ١٣٤ ، ٢٠٧ ، ٢٢٥ .

القردة العليا : ١٩ ، ٢٥ .

القرود : ١٩ ، ٢٥ .

القرود الأمريكية : ١٩ ، ٢٥ .

قرود الإيب : ٢٦ .

قرود البايون / الرنات : ١٩ .

قرود بابيون : ٢٥ .

قرود الجيبون : ٢٥ .

قرود الشاكما : ٢٥ .

القرود العنكبوتية : ١٩ .

قرود القشة : ١٩ ، ٢٥ .

قرود الليمور : ١٩ .

قرود المارموسيت : ٢٥ .

قرود المانكي : ١٩ ، ٢٥ ، ٢٦ .

قرود المكالك : ١٩ ، ٢٥ .

قرود الميمون : ٢٥ .

قرود الهبار : ١٩ .

قبيز : ٤٩ .

قناة السويس : ١٨٠ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٨٦ ، ٢٠٧ ، ٢١١ .

القوطيون : ٦٩ ، ٧٣ . القوقاز : ٨٧ .
قيصر / يوليوس : ٥١ ، ٧٥ .

[ك]

كاتسينا : ١٠٥ ، ١٢٢ .

كارل ريانندورف : ١٠ .

كازمبي / قرية : ١٥٨ .

كالنچين / قبائل : ٩٥ .

الكامبيون : ٥٥ ، ١٨٧ ، ١٩٠ ، ٢٠١ .

٢٠٣ ، ٢١٢ ، ٢١٥ ، ٢١٦ .

كانم / مملكة : ٧٩ ، ٨٩ ، ١٣٤ .

كانو : ١٠٥ ، ١٢٢ .

الكافوري / قبائل : ٧٩ ، ١٠٥ .

كردفان : ٩٥ ، ١٤٩ ، ١٥١ .

كريستوفر ده بچاما : ١٢٦ .

كريستوفر كولومبوس : ١٢١ ، ١٢٥ .

كرونيكال : ١٢ .

كمرتا : ١٧٣ ، ١٨٥ ، ١٩٤ ، ١٩٧ .

كلاريدج / البريطاني : ٩ .

كمبلي : ١٨٦ ، ١٨٧ .

كندا : ٢٥ .

كواي نكروما : ٢١٦ ، ٢١٨ .

كودوك : ١٩٧ .

الكوشيون / النوبيون / النوبة : [أنظر أيضاً النوبيين

والنوبة] : ٣٦ ، ٤٣ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٥٢ ،

٥٥ ، ٦٣ ، ٦٩ ، ٧٣ ، ٧٦ ، ٩٥ .

٩٧ ، ١٥٥ ، ١٦٣ .

كولين ماكيفيدي : ١١ .

كوماسي / قبائل : ١٤٩ ، ١٨٥ .

كوموروس / جزر القمر : ١٤ ، ٩٧ ، ١٧٣ ،

١٩٨ ، ٢٢٢ .

الكونغو [مملكة / ونهر] : [أنظر أيضاً زائير] :

١٢٩ ، ١٤٥ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٩٧ ،

كويلجاني / مدينة : ١٢٢ .

كيب تاون : ٣١ .

الكيب : ١٤١ ، ١٤٩ ، ١٥٢ ، ١٥٧ ، ١٦١ ،

١٦٩ ، ١٧٣ ، ١٨٦ ، ١٨٧ ، ١٩٤ ،

٢٠١ .

كيقو / بحيرة : ٢٢ .

كيلوا / مدينة : ٩٢ ، ١٠١ .

كينيا : ٢١ ، ٩٥ ، ١٤٩ ، ٢٠٣ ، ٢١٥ ،

٢١٦ ، ٢١٩ .

كينيث كواندا : ٢١٦ ، ٢١٨ .

[ل]

لادو : ١٩٧ ، ٢٠١ .

لاجوس : ١٨٦ .

لائدر / الأخوان : ١٧٥ .

لاوراسيا : ١٧ .

لبنان : ٦٥ .

لغة الأكان : ٥٦ .

لغة الإيجبو : ٥٦ .

لغة الجيز : ٤٩ .

لغة القرمة / الطقطقة : ٥٩ ، ١٦١ .

لغة الكرو : ٥٦ .

لغة الكوا : ٥٦ .

- لغة المالاغاسي : ٦٩ .
 لفتنجستون : ١٧٥ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨٣ ، ١٩٣ .
 اللغات الحامية : ٤٣ .
 اللغة الفولانية : ٥٦ .
 اللغة الماندية : ٩١ .
 اللو / قبائل : ١٣٣ .
 اللوزي / ملكة : ١٦٩ .
 لوالابا / نهر : ١٨٣ .
 لواندا : ١٢٩ ، ١٤١ .
 ليبيا : ٢٠٣ ، ٢٠٧ ، ٢١١ ، ٢١٧ ، ٢٢٢ .
 ليبيريا : ١٦٤ ، ١٦٥ .
 ليسوتو : ٢١٥ .
 ليوبولد سنجور : ٢١٦ .
 ليوبولد / ملك بلجيكا : ٩ ، ١٨٧ ، ١٩٠ ، ١٩٧ ، ٢٠١ .

[م]

- ماتابيليلاند : ١٩٤ .
 الماداي / قبائل : ٩٥ .
 ماراقي [ملكة / وعية] : ١٣٤ ، ١٦٩ ، ١٧٥ .
 مارقى / المؤرخ : ٩ .
 الماساي / قبائل : ١٤٩ ، ١٨٥ .
 ماسينا : ١٦٢ ، ١٨٥ .

- ماشونا لاند : ١٩٤ .
 ما قبل القدييات : ١٩ .
 الماكولولو / قبائل : ١٦٩ .
 مالاغاسي : ٩٧ ، ١٥٥ ، ٢١٢ .
 مالاوي : ١٦٩ ، ٢١٥ ، ٢١٦ .
 المالطيون : ١٧٣ .
 مالى [ملكة / وامبراطورية / جمهورية] : ٧٩ ، ٨٩ ، ٩١ ، ١٠١ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١٣ ، ٢١٢ .
 ماليندى : ١٢٢ ، ١٣٤ .
 المالينكى / قبائل : ٥٦ ، ٧٩ ، ٩١ .
 الماندى / قبائل : ٥٦ ، ٧٩ ، ٩١ ، ١٤٩ ، ١٩٤ .
 الماندينجو / قبائل : ٧٩ .
 مانزيكرت / موقعة : ٨٧ .
 مانسا كانكان / الملك موسى الأسود : ٩١ .
 مثلث عفار : ٢١ .
 مجموعة غرب الأطلنطي / لغات : ٥٦ .
 مجدلا / قلعة : ١٨٤ .
 محمد بللو : ١٦٢ .
 محمد تورى / الملك : ١٢٢ .
 محمد ~~عيسى~~ : ٧٣ ، ٨٣ .
 محمد العزب موسى : ١١ .

محمد علي باشا : ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٧٠ ، ١٧٥ ، ١٨٠ .

الحميات : ١٦٤ ، ١٨٣ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ١٩٣ ، ٢٢٢ .

مدعشقر [الجزيرة / والمدعشقيون] : ١٤ ، ١٩ ، ٦٩ ، ٩٧ ، ١٤١ ، ١٤٦ ، ١٦٢ ، ١٧٣ ، ١٩٨ ، ٢١٢ .

المديرية الاستوائية : ١٨٣ ، ١٩٠ ، ١٩٧ .
مدينة : ١٧٣ .

المرابطون : ٨٧ ، ٨٩ ، ٩١ .

مراكش : [أنظر أيضاً المغرب] : ٣٥ ، ٨٠ ، ٨٣ ، ٨٥ ، ٩١ ، ١٤٢ .

الروج العليا : ١٦١ ، ١٦٩ ، ١٧٠ .

مروى : ٤٩ ، ٦٦ .

مرينا / ملكة : ١٦٢ .

مصر : ٣٩ ، ٤٠ ، ٤٣ ، ٤٦ ، ٤٩ ، ٥١ ، ٥٥ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦٣ ، ٦٥ ، ٦٧ ، ٧٥ ، ٨٣ ، ٨٥ ، ٨٩ ، ٩٢ ، ٩٥ ، ١٢٥ ، ١٤٥ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٧٠ ، ١٧٥ ، ١٨٠ ، ١٨٤ ، ١٨٦ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ١٩٣ ، ٢٠٧ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢٢٥ .

مصوع : ٥٢ ، ١٢٦ ، ١٢٩ ، ١٨٣ ، ١٨٤ .

معركة الكزار الكبير : ١٣٣ .

معركة الملوك الثلاثة : ١٣٣ .

معمر القذاقي : ٢١٧ .

المغرب : [أنظر أيضاً مراكش] : ٣٩ ، ٦٣ ، ٦٥ ، ٧٥ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨٧ ، ٨٩ ، ٩١ ، ١٠١ ، ١٠٩ ، ١١٤ ، ١٣٣ ، ١٣٧ ، ٢٠١ ، ٢٠٣ ، ٢١١ ، ٢١٦ ، ٢٢١ .

مقدونيا : ٥١ .

مقديشيو : ٨٧ ، ١٠١ .

مكة : ٧٦ ، ٩١ ، ١٠١ ، ١٧٦ .

مكسيم / مدفع رشاش : ١٨٧ .

الممالك : ٩٢ ، ١٢٥ ، ١٤٥ ، ١٥١ ، ١٦٢ .

مناي / ملكة : ١٤٦ .

مناجم الملح الصخرى : ٧٥ .

المنصور : ١٣٣ ، ١٣٤ .

منطقة البحيرات : ١٧٥ ، ١٧٦ .

منظمة الوحدة الأفريقية : ٢١٩ .

منيليك / ملك الحبشة : ١٩٤ ، ١٩٨ .
المهدى : ٨٣ .

المهدية / مدينة : ٨٣ .

المهدية / والمهديون : ١٩٠ ، ١٩٤ ، ١٩٧ .

موتابا / ملكة : ١١٠ ، ١٤١ ، ١٤٥ .

موتسا / الملك : ١٧٩ .

موزمبيق : ١٩ ، ١٢٩ ، ١٣٧ ، ١٤١ ، ١٤٦ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٦١ ، ١٧٣ ، ١٩٤ ، ٢١٥ ، ٢٢١ .

مؤتمر برلين : ١٩٠ ، ١٩٣ .

- موبوتو / الجفرال : ٢١٦ .
- النوك / قبائل : ٥٢ .
- الموحدون : ٨٩ ، ٩١
- نوميديا : ٥١ ، ٥٢ ، ٥٥ .
- النوير / قبائل : ١٦٣ .
- موريتانيا : ٥٢ ، ٥٥ ، ٥٩ ، ٦٥ ، ٦٩ ، ٨٥ ، ٢١٢ ، ٢٢٢ .
- نياسا / بحيرة : ٢٢ ، ١٦٩ ، ١٠٥ ، ١٧٩ ، ١٩٤ .
- موريشيوس / جزر : ١٣ .
- نياسالاند : ٢١٥ .
- موسى / قبائل : ٥٦ .
- النيجر [نهر / ودولة / وأقاليم] : ٩ ، ٤٣ ، ٥٦ ، ٧٩ ، ٨٥ ، ٨٩ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ١٠٥ ، ١١٣ ، ١٣٠ ، ١٣٣ ، ١٥١ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٦٢ ، ١٦٥ ، ١٧٥ ، ١٨٦ ، ١٩٤ ، ١٩٧ ، ٢١٢ ، ٢٢٢ .
- موسى الأسود / الملك موسى مانسا كانكان : ٩١ .
- مونيخو بارك : ١٥٨ ، ١٧٥ .
- مومباسا : ١٠١ ، ١٢٢ ، ١٣٤ ، ١٤١ ، ١٤٦ .
- مونروثيا : ١٦٥ .
- موزمبيق / العراق : ٤٣ .
- مينا / الملك : ٤٠ .
- نيجيريا : ٩ ، ١٠ ، ٥٢ ، ٥٦ ، ١١٣ ، ١٤٥ ، ١٩٤ ، ٢٠١ ، ٢٠٣ ، ٢١١ ، ٢١٥ ، ٢١٨ .
- نيرون / الامبراطور : ٦٦ .
- النيل [النهر / والودى / والحوض / والمنايع] :
- ٢٩ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٩ ، ٥١ ، ٦٦ ، ٩٧ ، ١٠٥ ، ١٢٥ ، ١٥٧ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨٣ ، ١٩٠ ، ١٩٣ ، ١٩٧ .
- نميبيا : ١٤ ، ١٣٠ ، ٢٢١ .
- نباتا : ٤٩ ، ٥٥ .
- نمناو / الملك : ٨ ، ٦٧ .
- نظرية التطور : ٢٥ .
- نهر السمك الأعظم : ١١٨ ، ١٦١ .
- نيل الأبيض : ٤٥ ، ٥٥ ، ٦٦ ، ٩٥ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٦٣ ، ١٧٥ ، ١٨٣ ، ١٩٣ ، ١٩٧ .
- نيل نيكوتريا : ١٧٩ .
- نيوزيلاندا : ٧٠ .
- نهر لوالابا : ١٧٩ .
- نوسى بي : ١٧٣ .

[هـ]

هاستنجس باندا : ٢١٦ ، ٢١٨ .

هانيبال : ٥٢ .

هاواي : ٧٠ .

هايدلبرج : ٢٩ .

الحرير / قبائل : ١٣٠ .

مضبة الحبشة : ٢١ .

الهند : ٥١ .

هنري الملاح : ١٠٩ ، ١١٠ .

هنريش بارت : ١٧٥ .

هوازي بوملين : ٢١٧ .

هوافتيح : ٣٢ .

الهوتنتوت / قبائل : ١٤٩ ، ١٦١ .

هوتو / قبائل : ١٤٩ .

الموسا / قبائل : ١٠٥ ، ١٢٢ ، ١٦٢ .

الهولنديون : ١٤١ ، ١٤٩ ، ١٥٢ ، ١٦٤ ،

١٦٩ .

هيئة الأمم المتحدة : ٢٠٣ ، ٢١٢ ، ٢١٥ .

هيودوت : ٨ ، ٦٧ .

هياسلاسي : ٢٢٢ .

[و]

واحات قرآن : ٥٥ ، ٦٦ ، ١٦٣ ، ١٧٠ ، ١٧٣ .

واحة جنوب : ١٧٣ .

واحة الكفرة : ١٧٣ .

الوادي [مملكة / وقبائل] : ١٤٢ ، ١٧٣ .

وادي الأردن : ٣٩ .

وادي ذراع : ٧٥ .

والاتا / مدينة : ٨٩ ، ٩١ .

الوجه البحري / مصر : ٤٠ ، ٤٥ .

الوجه القبلي / مصر : ٤٠ ، ٤٥ ، ٨٣ ، ٩٥ ،

١٣٠ .

الولوف / قبائل : ٥٦ ، ١٠٥ .

وهران : ١٢٩ .

الويتو / قبائل : ١٩٠ ، ١٩٣ .

[ي]

اليمن : ٦٥ ، ٦٩ ، ٧٣ .

اليوروبا / قبائل : ١٠ ، ٥٦ ، ١٤٥ ، ١٤٩ ،

١٦٢ .

يوليس قيصر : ٧٥ .

محتويات الكتاب

٥	- مقدمة المترجم
١٣	- مقدمة المؤلف
		المؤلف . كولن ماكيفيدى
١٧	- منذ ١٧٥ مليون سنة
١٩	- منذ ٥٠ مليون سنة
٢١	- منذ ٣ مليون سنة
٢٥	- منذ ١,٥ مليون سنة
٢٩	- منذ نصف مليون سنة
٣١	- منذ ٤٠,٠٠٠ سنة قبل الميلاد
٣٥	- سنة ٨٠٠٠ قبل الميلاد
٣٩	- سنة ٢٧٥٠ قبل الميلاد
٤٣	- سنة ١٢٥٠ قبل الميلاد
٤٥	- سنة ٦٩٠ قبل الميلاد
٤٩	- سنة ٥٠٠ قبل الميلاد
٥١	- سنة ٢٠٢ قبل الميلاد
٥٥	- سنة ١ ميلادية
٥٩	- سنة ٢٠٠ م
٦٣	- التوزيع السكانى سنة ٢٠٠ م
٦٥	- الرقيب سنة ٢٠٠ م فى نظر الجغرافيين القدماء
٦٩	- سنة ٥٠٠ م
٧٣	- سنة ٦٥٠ م

٧٥	- سنة ١٧٥٠ م
٧٩	- سنة ١٩٠٠ م
٨٣	- سنة ١٩٧٥ م
٨٥	- سنة ١٩٥٥ م
٨٧	- سنة ١١٠٠ م
٨٩	- سنة ١٢٠٠ م
٩١	- سنة ١٣٠٠ م
٩٥	- سنة ١٣٥٠ م
٩٧	- أفريقيا في نظر جغرافىي العصور الوسطى [سنة ١٣٥٠ م]
١٠١	- رحلات ابن بطوطه [١٣٢٥ - ١٣٥٣ م]
١٠٥	- سنة ١٤٠٠ م
١٠٩	- سنة ١٤٦٠ م
١١٣	- سنة ١٤٧٥ م
١١٧	- الرحلات البرتغالية من عامى ١٤٨٢ - ١٤٨٨ م
١٢١	- رحلة فاسكو ده جاما إلى الهند ١٤٩٧ - ١٤٩٨ م
١٢٥	- سنة ١٥٤٠ م
١٢٩	- سنة ١٥٧٥ م
١٣٣	- سنة ١٦٠٠ م
١٣٧	- السكان والطرق التجارية سنة ١٦٠٠ م
١٤١	- سنة ١٦٦٠ م
١٤٥	- سنة ١٧٠٠ م
١٤٩	- سنة ١٧٥٠ م
١٥١	- سنة ١٨٠٠ م
١٥٥	- التوزيع السكانى سنة ١٨٠٠ م
١٥٧	- أفريقيا في نظر الجغرافيين الأوروبيين سنة ١٨٠٠ م
١٦١	- سنة ١٨٣٠ م
١٦٩	- سنة ١٨٤٠ م
١٧٣	- سنة ١٨٥٦ م
١٧٥	- أفريقيا في نظر الجغرافيين الأوروبيين سنة ١٨٥٦ م
١٧٩	- الاستكشافات الأوربية لمنطقة البحيرات بشرق أفريقيا [١٨٦٠ - ١٨٧٣ م]
١٨٣	- سنة ١٨٧٨ م
١٨٩	- سنة ١٨٨٥ م
١٩٣	- سنة ١٨٩٠ م

١٩٧	- سنة ١٩٠٠ م
٢٠١	- سنة ١٩١٤ م
٢٠٣	- سنة ١٩٢٥ م
٢٠٧	- سنة ١٩٥٠ م
٢١١	- سنة ١٩٦٠ م
٢١٥	- سنة ١٩٧٠ م
٢٢٥	- التوزيع السكاني سنة ٢٠٠٠ م.
٢٢٧	- فهرس تصنيفي بأسماء الأماكن والأعلام

كتب المترجم

أولاً: في الفن والأدب والتاريخ:

- ١ - ألوان من النشاط المسرحي في العالم .
- ٢ - خيال الظل والعرائس في العالم .
- ٣ - زرع النوى - « رواية أدبية » .
- ٤ - الرقص والحضارة - « دراسة تاريخية . فولكلورية . إثنولوجية » .
- ٥ - مساخر من العاصمة والأقاليم - « مجموعة قصصية » .
- ٦ - عذراء سراييوم - « مجموعة قصصية » [تحت الطبع] .
- ٧ - القودو .. وأعمال السحر في افريقيا - « مترجم » - تأليف : جيرت شيزي .
- ٨ - الإسلام في ممالك وإمبراطوريات أفريقيا السوداء - « مترجم » - تأليف : جوان جوزيف .
- ٩ - أطلس التاريخ الأفريقي - « مترجم » - تأليف : كولن ماكيفيدى .
- ١٠ - المؤسسة العسكرية المصرية في عصر الامبراطورية - « مترجم » - تأليف : الدكتور أحمد قدرى [بالانجليزية] .
- ١١ - مصر والنيل في أربعة كتب عالمية .
- ١٢ - أوليفر تويست - « مترجم » - تأليف : تشارلس ديكنز .
- ١٣ - الآمال الكبرى - « مترجم » - تأليف : تشارلس ديكنز .
- ١٤ - ثورة على السفينة بونتي - « مترجم » - تأليف : ولیم بلاي .
- ١٥ - نوم سور - « مترجم » - تأليف : مارك توين .
- ١٦ - مغامرات هكلبرى فين - « مترجم » - تأليف : مارك توين .
- ١٧ - رجال عظام ونساء عظيمات - « مترجم » - تأليف : ليزلى ليفيت .
- ١٨ - ديفيد كورفيلد - « مترجم » - تأليف : تشارلس ديكنز .
- ١٩ - حقوق الانسان - أسئلة وأجوبة - « مترجم بالاشتراك مع عزة ثعلب » - تأليف : ليا ليفين .
- ٢٠ - فن الرسم عند قدماء المصريين - « مترجم » - تأليف : ولیم بك وجون روس .

ثانياً : فى الاقتصاد والعلوم البحرية :

- ١ - اقتصاديات النقل البحرى - « طبعتان » .
- ٢ - أساسيات النقل البحرى والتجارة الخارجية « طبعتان » .
- ٣ - قاموس المصطلحات الفنية البحرية .
- ٤ - قاموس المصطلحات التجارية الدولية .
- ٥ - دراسة تحليلية عن عقد البيع البحرى « فوب » - « محاضرات » .
- ٦ - عمليات نقل البضائع على سفن الخطوط المنتظمة - « محاضرات » .
- ٧ - عمليات نقل البضائع على السفن المستأجرة - « محاضرات » .
- ٨ - أعمال الموانئ وعمليات الشحن والتفريغ - « محاضرات » .
- ٩ - قطاع النقل البحرى فى مصر - « محاضرات » .
- ١٠ - محاضرات فى البيوع البحرية .
- ١١ - سند الشحن .. دراسة تحليلية - « محاضرات » .
- ١٢ - القانون البحرى - « مترجم » - تأليف : إيمانويل دفورسكى .
- ١٣ - تأجير السفن - « مترجم » - تأليف : بيرجر نوسوم .
- ١٤ - انتاجية الرصيف - « مترجم » - تأليف : دى مونييه .
- ١٥ - الرقابة على الأعمال البحرية عن طريق الميزانية - « مترجم » - تأليف : ج . سيمونندز .
- ١٦ - سفن الحاويات والموانئ المعدة لاستقبالها - « مترجم » - تأليف : ا . إيثانسن .
- ١٧ - حساب الوقت والعوامل المؤثرة فيه - « تحت الطبع » .
- ١٨ - مصطلحات النقل البحرى والتجارة الخارجية - « أربع طبعات » .

المؤلف : كولين ما كيڤيدى

ألف أيضا :

- أطلس التاريخ القديم .
- أطلس تاريخ العصور الوسطى .
- أطلس التاريخ الحديث .

وألف بالاشتراك مع آخرين :

- أطلس تاريخ السكان فى العالم .
- [بالاشتراك مع رتشارد چونس]
- أطلس تاريخ العالم .
- [بالاشتراك مع ساره أطلس ما كيڤيدى]



مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الإيداع بدار الكتب ٨٧/٢٣٦٧

ISBN ٩٧٧ - ٠١ - ١٢٨٧ - ٩

بالرغم من صدور مئات من الكتب في أوروبا وأمريكا ، تتناول التاريخ
تعليم لقارة أفريقيا والتاريخ الخاص ببعض المناطق والشعوب الأفريقية ، إلا
أن الغالبية العظمى من هذه الكتب لم تترجم بعد إلى اللغة العربية .

وه أختس التاريخ الأفريق « يعتبر واحداً من أهم الكتب التي صدرت
في السنوات الأخيرة . وذلك للنسبة المتزايدة والتركيز الشديد في صياغة
المعلومات الواردة فيه . وهو أول كتاب يصدر باللغة العربية متناولاً التاريخ
الأفريق في شكل أختس مدعم بالخرائط ، ولانما على منج ، الكرونوكال ،
حيث تتابع المعلومات التاريخية طبقاً لتسلسلها الزمني . وهي طريقة تليد
القارئ العام كما تليد الباحث المتخصص ، لأنها تتيح معرفة التاريخ في
شكل علمي مستحدث ، ولي شكل حكاية تتوا أحداثها وشخصياتها على
مدى ملايين طويلة من الزمن ، من تاريخ أفريقيا والأفريقين